

Twitter: @alqareah  
2.6.2016

كريم محسن كرم

# انتقام الخيزران



قصّة وتاريخ

كرزم ملحم كرم

# انتقام الخيران

قصة وسايخ

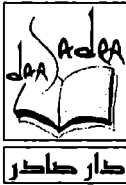
دار طائر  
بيروت

# انتقامُ الخِزْرَانِ

# جميع الحقوق محفوظة

1435 هـ - 2014 م

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة ممغنطة، أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت، لبنان

© DAR SADER Publishers

P. O. B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4. 910270 Tel: 910340

e-mail: [darsader@darsader.com](mailto:darsader@darsader.com)

<http://www.darsader.com>

Intiqām al-Ḥaīzarān  
(Karam Melḥim Karam)

p. 352-s. 22.5 x 15 cm

ISBN 978-9953-13-805-3



# الفصل الأول

## قاتل أبيه

١

في الفلوات الغبر الشواسع، المترامية كاجنحة الصقور عن بغداد القشبية، المهيبة، ذات المآذن والقباب - ولم يكذب ابو جعفر المنصور يطلقها من صدرها كاعباً غيداء - ثلثة من الفرسان تنطلق خبياً ، وسهام اقواسها مشدودة بالاوراق ، كأنها تندفع الى معركة . وهي تثب الى معركة . الا انها ليست مناظرة اقوام لاقوام ، بل اغارة على البعافير والآرام

وعرض للركب سرب من الفزلان والشوادن، فتبعوه، ونبالهم تتطاير برنين . وجيادهم تعدو بمحممة وصهيل . وتفرقوا عفواً ، وكلهم يهجم بالفوز بطريده . واوغلت الظباء في ادغال الفرات ، وعزت على الجياد ان تقتفيها ، فوثب عنها الفرسان يبقونها حيث نبالها الوعر، ويمعنون في العداء، وبغيتهم الرمايا . وما صخوا من حمى المصاولة، بعد طويل جهاد، وقد ظفر بعضهم بالطرائد ، والتوى عنها الآخر ، حتى بحث صاحب عن صاحبه ، فاذا بهم اشات ، ابايد

وما هالم الانتثار ، وقد تعودوه . ولجّ باحدهم الجوع فكادت قواه  
تخونه . واختلجت عينه برأى كدرة سوداء ، في منبطح الرمل ، فزحف  
اليها على ريث تعلت ، وهو يحسبها خيمة يقع فيها على طعام وشراب . ونهكه  
الجهد . الا انه انتعش وقد صدق تخمينه . اجل ، هي خيمة ثابتة في الاغبر  
الييس . واستنزف فضالة الوسع . ودنا على متلاشي الرمق من الحباء . وما  
تفتحت ، الا بعد لأي ، شفتاه للبيان . فاستفهم مكدروداً : اين اهل الحمى ؟  
فبرز له اعرابي جلف ، بادي الاطمار ، متوسل الشعر . يكاد وجهه يغيب  
في غداثه ، وحاجبيه ، وشاربيه ، ولحيته . ولاح له المستغيث في لثائه ،  
وهزيل نامته ، فحدجه بعينين تغرزان فيه حتى صيبه . وقال بصوت لا  
يتنكر للرحمة : إيه ، يا ابن اخي . ما دهاك من محنة فلجات البنا ؟

فقال المستجير ، وابشاراته تسبق في الايضاح لسانه المرئخي : طلبت  
وصحبي الصيد ، فتقاذفتنا المجاهل في معامبها ، فقاب بعضنا عن بعض . هل  
لك بشرية ، وبكسرة ، فأبلّ ريقى ، واقهر جوعى ؟

فنظر اليه الاعرابي وراعه منه حسن المنظر . لبس في المضرب الخاوي  
ما ينصر المستنجد النبيل الجهارة . على ان فرض الضيافة لا ينكس له في  
وسمة العرب جبين . فقال الاعرابي معتذراً : اراك سيداً اثيراً ، وليس في  
هذا البيت من الور ما يجمل بي ان ادعو اليه نظيرك . على انك اذا احتملت  
قربنا فلك ما يحضرنا !

فهتف عجلان : هات ما عندك . فان ما بي ليجد في قطرة الماء بجرأ طامياً !  
فاخرج له الاعرابي مقداراً من النبيذ في ركوة ، وهو يدعو الى استظلال  
الحباء . وصبّ له كأساً ، ولنفسه كأساً . فهفا الضيف الى الكأس بمهزة من

مستفعل الشوق . وجرع الحمرة بشرامة الهيوف . نجا من كابس العباء .  
وحدق الى الاعرابي يقول ببسمة الراضي ، المطنق الى حسن الصنيع :  
شكراً . انك لرحيب المنة !

فقال الاعرابي ، وقد شاقته في ضيفه انافة الملبس ، وفخامة المنطق :  
ولكن من انت ؟ ... فدتك نفسي !

فابتسم المستمع بالعصير المجي ، وقال يداعب الاعرابي ، الناظر اليه  
بلبكة من يحاول النفاذ الى السر ، وتقمده به عن طلبته لعنة من خجل :  
هل لك ان تدري من انا ؟

فرانت على الاعرابي بسمة غارت في لغائف شاربيه ولجته . وقال بحيرة  
الجاهل العابت بلبه الفضول : لا ، والله !

فقال الضيف : انا من خدم الخاصة في حاشية امير المؤمنين !  
فهنف الاعرابي متعسماً : ألا مرحباً ، مرحباً . كلنا فدى ابي عبد الله ،  
سيدنا وحامينا . اليك بكأس ثانية ترطب بها حلقك ، يا ابن اخي ا  
وعكف على الركوة يصبّ لنفسه كأساً ولخادم امير المؤمنين كأساً .  
فان للقابض على الامر في دنيا العرب حق الاكرام . وما الخادم سوى ظل  
السيد ، وفيه من مولاه متألق الاثر . وشرب الخادم ، وتلمظ ، كأنه يرض  
بقطرة ان تذهب سدى . واستلذ المضي في احراج الاعرابي ، فاستطلعه  
متخابئاً : لا اراك تدري من اكون ، يا وسيع الغناء !

فالتفت اليه الاعرابي ببعض الدهش ، واعلن : ولكنك ذكرت أنك  
من خدم الخاصة في حاشية امير المؤمنين . فهل تكون تبدلت عما أذعت ؟  
فتناهت الابتسامة إغرافاً في المباشطة ، وقال الغريب المجهول : لست

من حدثتك عنه !

فاستوضح الاعرابي بقلقى : إذن من تكون ؟ ... نصرتك القدرة !

– انا احد القادة في جيش امير المؤمنين !

فسرّي عن الاعرابي . وتعاطم فيه الترحيب بضيفه : ألا نعم الفتي .

انت رب المكان . هل لك في كأس اخرى ؟

ودفع اليه الثالثة . فشربها الضيف وقد اتسعت فيه البهجة ، واستعاد

قواه ، فسأل : يا اعرابي ، أتدري من انا ؟

فكاد الاعرابي يقسم بالله ثلاثاً انه حبال سكران . واجاب بنفرة : نعم ،

انت احد قادة امير المؤمنين !

وتأجج فيه حنينٌ الى الجدل . فما هذا المتكلم بالسليم النبهة ، وكأس

من الحمر تلوي فيه الرشد . فقال الضيف ينفي باستكبار مبطن بنديّ

الممازحة ما اعلن : لا ، لست من اوضعت !

فصاح به الاعرابي ناقماً : اذن من انت ؟ ... لا ابا لايك . أفلا يحتمل

صوابك نزفة من خمر ؟

فاجاب بدلال المستعز ، الراغب في الانفجار ضحكاً ، والمسك عنه

مغلاة في المعابثة : انا امير المؤمنين نفسه ، ابو عبد الله محمد المهدي !

ففتح الاعرابي فاه ، واستدارت عيناه . لم يبق لديه شك في ان جلبيه

نشوان . فالخمرة اضاعت لبه ، وجنحت به الى الهذيان . وابي عليه المزيد ،

فأمسك بالركوة فوكاها . فتهجّب من امره ضيفه ، بل شاقته في الاعرابي

بادرة الغيظ ، وقال مستبحناً : ولكن ما بك تمنع عنا قراك ؟ ... إسقنا !

فهدر الاعرابي غاضباً : لا والله ، لن ترشف منها حسوة !



– ولِمَ ؟ ... ضللت الهدية !

– سقيتك الاولى ، فزعت انك من خدم الخاصة . فاحتملتها لك .  
وسقيتك الثانية ، فادعيت انك من قادة امير المؤمنين . فقلت : « لا عليه ! » .  
وسقيتك الثالثة ، فرافك ان تسبو الى منصب الخلافة . واخاف ان اسقيك  
الرابعة ، فتدعي النبوة . ولا شك ، اذا رشت الخامسة ، ان تسمني انك  
الله ، جلّ جلاله . لا ، يا ابن اخي ، لنبتق من ابناء التراب !

فضحك الضيف حتى لم يكن يتاسك لفرط الطرب . وما هي الا هنيهات  
حتى اطلت الحبل ، وقد اهتدى الركب الى التائه . وانحدر اليه القوم ينحنون  
بين يديه اجلاً هاتقين : « الحمد لله ، وقد وفقنا للقائك ، يا امير المؤمنين .  
اقلقتنا البوادي ونحن نستبحثها عنك ، وكدنا نكون من امرك على هلع » .  
فطار قلب الاعرابي ، وافلتت منه الهمة ، وقد ايقن ان ضيفه لم يكن هازلاً  
في دعوى الخلافة . وشاء المنكود الهرب مخافة نقمة امير المؤمنين ، فقعدت به  
ركبته . ونظر اليه في بجرانه المهدي ، فقال ببسة حفية ، يزيل بها عن الحشيان  
الجزع : أفرخ روعك . ضياقتك الميونة غفرت لك كفرانك المقيت بنا !  
وامر له بصلة وبكسوة . فقال الاعرابي ، وقد ملك جأشه ، واستأنس  
بطول أناة الخليفة : اشهد انك صادق في الثالثة . اما في الرابعة والخامسة ،  
فلو شربتهما لعدوت الحلم !

فأوشك المهدي ان يهوي عن متن جواده لفرط القهقهة . وجهر ، وقد  
استعذب المفاكحة : انت بعد اليوم من خدمي ، فاتبعني . فيك من وضاءة  
الظرف ما تعذب به لدي !  
واردده بالركب . فران الذهول على الاعرابي ، وانسعت في صدره البهجة .

انه ليومٌ أغرّ محجّل . والاعرابي سمع بهذا الخليفة الشاب . فالرواة تناقلوا  
 محامده . والحدادة تغنوا بمدائح . فالعهد الرابع انجابت غمائه بموت ابي جعفر  
 المنصور . وصفت اكداره ، وقد اطلّ الابن ، محمد المهدي ، على الدولة العباسية  
 الناشئة يتولى امرها ، ويسدد خطاها . فالعبوس الطاغبي على الاساير ،  
 والذعر المسك بالدم في العروق ، حتى لم يكن للانفاس ان تبلغ مداها ،  
 طويابساطها ، واشرقت الوجوه بعد هول وكيدة . فالابن لم يكن من  
 طينة الاب الجبّير ، المتحكّم في مصير الامة العربية اثنتين وعشرين سنة ،  
 لم تقوَ فيها الشفاه على همسة تطعن بها على الرابع بدست الحكم عنيداً ، قهاراً  
 ولم يكن للدرهم منفذ من قبضة ابي جعفر ، وقد لقي ، حتى الدائق ،  
 في بيت مال الخليفة مدفنه . فانتهت اموال الدولة سيولاً ودوافق الى صناديق  
 السيد العاقي ، بما لم يكن به لبيت المال العربي سابق عهد . فلا المغني نعم  
 بالعطاء ، ولا المزدلف هنيء بالرغد . على ان المهدي ، الابن ، اقام هذا المؤرود  
 من رسمه ، وسخابه على الناس حتى كاد يفرقهم في المناعم . فانطلقت  
 افواه الشعراء في طيب القول وخبيثه . وما كانت لتهدأ لولا ان يستعين  
 عليها ابو عبد الله بجيلة تحفت الصرخة في صدر المتجاسر ، المتور . فانهم خصومه  
 والمتوقّحين عليه بالزندقة . واطاح منهم العدد الجمّ ، حتى كاد يعادل في  
 التنكيل بالارواح اياه الرهيب

على ان تهمة الزندقة ، مع هولها ، لم تطبع العهد الناشئ بطابع الوهلة ،  
 شأن الحشونة الماثورة عن الاب . فالجود المبسوط في المهدي ، ورحابة الفناء  
 البادية في مجالسه ، اناما المواجس والحفاظ ، وقد هرع القوم الى المعين  
 الغمر ينهلون منه الافاويق

وتوفر على شؤون الدولة رجل داهية في خطب المودات، وتدبير الامور .  
فاستشاره المهدي في الاحاجي الطارئة ، والمصاعب العارضة ، ولقي فيه رأياً  
ناضجاً ، وعقلاً حكيماً . هذا يحيى بن خالد البرمكي . استوزر اياه ابو  
العباس السفاح ، الخليفة العباسي الاول ، وادناه منه المنصور . ولن ينقض  
الابن ما أقرّ العم والاب . فأنزل منه يحيى منزلة ابيه خالد من أبي العباس ،  
وأبي جعفر . واكبر فيه ادبه وعلبه ، فعهد اليه في ابنه هارون يتقّف  
عوده ، ويرهف بصره

ولهارون في صدر المهدي عطفٌ راسخ . وما برحت الخيزران ، زوجة  
الخليفة ، تستدرج ابا عبد الله الى الشفب بهذا الابن الهنيء الطبع ، المتأجج  
الذكاء . فكانت تحمله اليه في ابيه اللحل ، وتميل بالغلام على ابيه يحدّثه  
باشهى منطق . فيناغيه المهدي بارقّ كلام ، ويمجّب منه بالصباحة المشرفة ،  
وبدمائة النفشة . فلا جفاء ، ولا عنف ، بل خضوع أمثل ، وأصالة رأي  
واعدة . وحادثت الخيزران مراراً هذا الاب العطوف في اثار هارون ،  
في ولاية العهد ، على اخيه موسى . فتصامّ المهدي ، كأنه لا يرتضي منها ان  
تجاوز في دالتها عليه الحد . قالت : الاثنان من اولادي . ولكن هذا طوع  
ايدينا ، وذاك جموح ، جهم . ففي موسى المشاكة ، وفي هارون الاذعان  
السح . وافي لاشئى ، اذا ما اطمت هواك ، في انالة موسى ولاية العهد ،  
ان تصاب الدولة العباسية باعمى يخبط فيها ، ويهدم ما بنى الآباء والجدود  
من منبع الركن . أيتراءى لك منه انه يقوى ، بما يثور فيه من جهالة ،  
على امتلاك أعتة الموقف ، وكبح جماح المثارئين الراغبين في تقويضنا ،  
من علويين ، وطالبيين ، وأذئاب الامويين ؟

فزوى المهدي ما بين عينيه . ليس يريد ان تثنيه هذه المرأة ، العزيرة عليه ، عن بغية يجبو اليها . ولاية العهد لموسى الهادي ، ثم هارون الرشيد . فالأكبر سناً يملك ، ثم يتلوه اخوه . ولماذا التفريق بين شقيقين يلمس فيهما معاً ابوهما مضاء العزيمة ، والقدرة على الحكم السوي ؟ ... فما كانت المشاكسة النطاحة في موسى لتعبه في عرف المهدي ، وهي الدليل على صلابه الرأي ، والاعتداد بالنفس . فان في الفتى روح جده المنصور ، على حين ان هارون ، شقيقه ، يشبه اباه في رقة الطبع ، وصفاء الضمير

وتعجب المهدي من أم جادت على ولديها معاً بالنور ، وغذتها بلبانها ، وانبتقا فيها من صلب واحد ، كيف تنظر اليهما بعينين متباينتين . فتتزوج لهذا ما تودّ لو اقام منه الآخر على خذلان . فهل تكون المودة في الام على اعتلال ، فيسودها الاجحاف ، وتكبل بكيلين ؟

والمهدي لقي في الخيزران اشهى متعة . فأغارت على كبده ترسو فيها ، وتمنع عنه الالتفات الى سواها ، من متعدد نساؤه وجواربه . وما كانت في بده عهدا سوى احدى اولئك الجواري . فاستقرت بالقصر أمة ، يزينا جلباب الحسن ، المخلوع عليها بزخرف فضفاض . غير أنها لم تلبث أن اضحت السيدة المختارة ، وقد عرفت كيف تنسل الى الحنايا ، وتستولي من المهدي على مكمن الصبوة . فأعتقها ابو عبد الله وتزوجها . وبانت سيدة نساؤه . بل هي مانعت في البقاء في البلاط . فانشأت لها صرحاً شبيهاً بصرح الخليفة . وفتحت ابواب هذا الصرح لوزراء الدولة ، وارباب الامر فيها ، يؤمونه كما يؤمون بلاط المهدي . فهي وبعلمها على مساواة في النقض والايام . والخليفة لم يكن ينأى طويلاً عن هذا القصر ، وفيه يلقي الغبطة . فما ان يرحل عنه

حتى يرجع اليه . وادركت الخيزران ما تستمع به من حظوة ، فقامت  
تفاخر نساء الخليفة بكونها الرأس فيهن ، قائلة ببعد الزهو ومورق الدلال :  
انا الاصل ، وانتن الفروع !

وذهبت الكلمة مضرب الامثال . فبات الناس يقولون : « الخيزران  
فاتنة المهدي ! » . وحمل صرحها اسم « اساس » ، وقد بات دعاة ، لا لمسة  
المهدي وحسب ، بل لسياسة المهدي في الدولة . فالامر ما تنهد اليه الخيزران .  
ووهب ابو عبد الله لهذه المستأسدة ، الريتا المباهج ، كل ما تملك يده ، وترخر  
به خزائنه . فلها الحلبي ، واكداس النزار ، والمزارع ، والضياح ، والعبيد ،  
والاماء . فاذا ما خرجت الى ضفاف دجلة ، تستنشق صافي الهواء ، وتجبل  
العين في روائح القدرة ، جرت في موكب اشبه بجيش يعزّ على الخليفة ان  
يبدو في ابيه منه . وتقف بغداد عن جانبي الطريق لتتهف لامرأة الخليفة ،  
وتحيها باغصان النخيل ، وتجمجم الافواه : هذه هي سيدة دنيا العرب .  
فالامر والنهي ملء يديها ، والخليفة يؤيدها في كل صوبة !

على ان الخليفة المطواع ظل يعاند في ولاية العهد . فلن يتقدم فيها  
هارون اخاه موسى ، بل تتسلسل من الاكبر الى الاصغر ، وتطوّق عنق  
الشقيين . فألحّت الخيزران في التفضيل . فتجهم المهدي ، واعان بنبرة  
غضوب : ألا يكفيك ان ارفع ولديك الى المقام الاعلى دون سواهما من  
ابنائي ؟ ... جبت الخلافة عن الجميع وفقاً عليهما . فما بك تدفعيني  
الى التفريق بينهما ؟ ... موسى ، ثم هارون . ولا جدال . أريدك على  
القناعة بما أفضتُ به عليك من نعمتي . حسبك ما ترتعين فيه مني !  
فهنت حانقة : وماذا لقيت منك كي تمنّ عليّ بالمعروف ؟ ... ألقبت

البك كل ما عندي . وانك لتأني عليّ حتى زهيد الرجاءة . فهل يضيرك ان نكل الامر في الدولة الى من هو بها جدير ؟ ... أقودك في المبيع الآمن ، فتردني عنك بازورار. أيشوقك ان تنتهي الخلافة الى من همون به، ويقوضها على نفسه ، فتندثر ، ويهلك ؟

فقهه ضاحكاً وهو الصافي الدخله ، وقال : أما أصابك طلّ من معروفي ، يا خيزران ؟ ... إنك لسكرهيني على القهقهة في ما تعالينيني به . ألا كم وهبت لك في هذا الصباح من الحشم ؟ ... كانوا يزيدون على الالفين ببابك ، وقد سقتهم البك صاغرین ، يلتسون ان تزودهم مشيتك . ولكنك تزددين حسن الصنيع ، كأنك من الطمع بما يجعل الخلافة ، على سوؤدها ، عطيةً زريةً لو طرحتها بين يديك . ذخر الدولة يصبّ في خزائنك ، ثم تجحدين الجبل . ألا غاليت في الكنود ، يا صفتي !

وأطبق فيها بقبلة سحرة يرصع بها شفتيّ هذه المغناج العنود . فأفلتت منه تشر عليه الجفوة ، وهي تعلم مبلغ اثرها فيه . فانه ليبدل في تبديد نفرتها اغلى الغالي . بيد ان المداورة لم تنجح الساعة . فولى المهدي مديراً وهو يجهر بغيظ : ان يكن نصيبي منك الاعراض ، بعد ذاك التاهي في الارضاء ، فدعيني اجت عن فجوة اتنفس منها . ضيقت عليّ مسالك الراحة حتى كدت اختنق . انا السيد في دولتي ، لا انت . هذا النشامخ على الخليفة طال مداه . فلست ربة الحل والعقد . أمة رفعتها من الحضيض اليّ ، فجهلت مقامها ، واستهانت بي !

وتطايّر فيه السخط . ان الخيزران لتذهب بعيداً في فرض مشيتها . وهو بما لا يسايرها فيه بعد كل ما اسبغ عليها من لألاء . فالطمع مدعاة

الى الفتور في المخالصة . وتألّت الخيزران وهي لا توفق للبغية . ولم يكن هذا الاصطخاب بينها وبين المهدي حديث العهد. فنذ زمن طويل والمغاضبة تفصل الزوجين بعضها عن بعض ، ونثير بينهما الاحن . فان حكاية ولاية العهد لتقلق فيها هناة الموامة ، والمهدي يقدم ابنه موسى الهادي على هارون الرشيد ، ناهجاً نهج الاستطراء ، الاكبر ثم الاصغر . والخيزران تميل الى المعكوس . بل هي تناع في ركوب ابنها البكر مقعد الخلافة . كأنها تروم محوره من دنيا المجد. فليس في عرفها خليقاً بالمعالي ليتبوأ المنصب الارفع . ولكن المهدي ، مع مبعته ازاءها في الجليل ، وفي الحقيير ، تصلب في اقرار ولاية العهد في هارون بمزل عن موسى ، يناهض فيها رغبة هذه المستأثرة منه بكل عزيمة ولب . فلا يحيد عن ركوب موسى مسند السلطان في الدولة العباسية ، ولو حالت دون الطلبة الدواهي الشداد

ونأى المهدي عن الخيزران الى جاريتها حسنة . وكان يستعذب الجلوس اليها وقضاء اويقات من اللهو بجانبها . وحسنة ناقمة على الخيزران ، ودلالها طفى على المهدي ، حتى سدّت عليه الى سواها كل سبيل . ولولا هذه النزوات المستحكمة من الخليفة وزوجته الاثيرة ، في صدد ولاية العهد ، للقيت حسنة نفسها ازراء المهدي بها . ولا قدر لذات طلالة بعد الخيزران . ولاحظت حسنة على الخليفة الكمدة والسهوم ، وما كان ليتأسك . ففزعت الى لقائه بحفيل الانس ، هاتفة : ألا مرحباً بامير المؤمنين ، سيدنا وموئل العز فينا . ارواحنا رهن يمينه ، وانفاسنا تجري في رضاه !

وصفقت عالياً تدعو كبيرة الخدم في قصرها ، وتصيح بها : ألا اسرعي في اعداد خوران الشراب ، يا سعدة . ولتقبل المغنيات بالزاهر والدوفوف .

امير المؤمنين انعم علينا بالثول فينا. فلنجتهد في بعث البهجة في نفسه الحزينة!  
والفتت اليه وهي تشدد في اطلاق الكلمة الاخيرة ، كأنها تميل الى  
ابلاغه أن ليس من فينة تجود عليه مثلها بالمتعة ، وتنعش فيه مهجته الذابلة.  
بل رغبت في معالنته ان الخيزران تنفت في روحه الالم. اما هي ، حسنة ،  
فتذهب عنه بكل شجن . وتجلو نفسه حتى يمسي من ذنياه في أنس. ولماذا،  
وهذه حالها منه، يفضل عليها من توجع ضميره، وترميه بالبلبال والنكد?...  
أيهم بالخيزران ، حتى مع قسوتها على كبده ، وطماحها المقيت ؟

وبما كان يجزّ في قلب حسنة ، ان المهدي ، حين ينسى بين يديها هومه  
وأثره ، ينطلق فوراً الى الخيزران يسترضيها. كأن للخيزران وحدها في  
حوانيه المقام الاسنى . وكأنها اذا ظلت غاضبة فلا يهنأ للخليفة عيش ، ولا  
يستسبح شراباً . مع ان حسنة لا ترى الخيزران تضاهيها وسامة . وان هي  
ضاهتها، فليست ترجع عليها في وهج الروعة . الا انه الحظ. وليس في الحظ  
بجال الى تبديل المقدور . وتأوهت حسنة حتى وهي تدعو اليها المغنيات من  
جواريا ، وضاربات الدفّ والعود، والراقصات . أفلا يدرك امير المؤمنين  
مبلغ تهالكها على اشباع ملذاته ، كي يرفع الخيزران الى حيث يغيب وجه  
حسنة، فلا يبدو له اثر?... لا ، ليس المهدي بالاعمى، ولا الاغلف القلب،  
الا انه ينسى حبال فانتته سواها . فكأن القدرة جذبتة الى ذات الجد  
الغلاب، وليس لحسن آخر ان يستهويه. فما ان يبغى الترفيه، والانشرائح،  
حتى يزحف الى الخيزران يستعديها على المتعة

ومن هي الخيزران?... ليست تريد على حسنة في كونها أمة . على ان  
هذه الامة، بلغت من مسنون الدهاء ، ما فرض على امير المؤمنين الارتقاء



بها الى مستواه ، ووقف ولاية العهد على ولديها دون سائر بنيه . ومع  
وثوبها الى القمة لم تكن بالراضية ، وما تزال تطمع في ما هو ابعد ، كأنها  
تطاول السماء . غرقت من معين الخليفة قلبه ، وماله ، وسلطانه ، ولا  
تبرح على لجاجة في الالتماس . امتلكت الضياع ، والخدم ، وما انفكت  
على جوع . فأطلقت حسنة الزفرات حسداً وغيرة . لقد اضنت الجارية  
اللعبوب نفسها في التأثير في المهدي ، وما كانت لتدرك وطرها . فما ان  
يخيل اليها ان النهضة سنعث لها ، وانها فازت بالارب ، حتى توقن انها تدرج  
من مرماها في اوض جدوب

ولم يغب عنها ان الخيزران تترصدها ، وتنسف لها كل ما تحاول بناءه  
من آمال . فحقدت على الخيزران . ونهدت الى تعكير الجو عليها . بيد  
انها لم تفلح . أم موسى وهارون لا تفتأ السيدة المطلقة في نية امير المؤمنين .  
فما ضاق بها استدراجه اليها في سوى منهج الخلافة . واي حائل وقف دون  
رجاوتها ؟ ... حصة وأنها أم موسى صخرة شاهقة ، مع كونها حجراً ضئيلاً .  
فالخلافة لن تخرج عن ولدي الخيزران . ولكن هذه المطامع تأبى الا ان  
ينفوق الصغير على الكبير في رحبة العز والسؤدد . وهو بما يقهر ابا عبد الله  
في مقدور الحق ، وحرمة الانصاف

واندفعت حسنة في إكرام أمير المؤمنين بما يفرض قدر الخليفة المعطاء  
من موفور الاجلال . وتناهت في درء الجهامة عنه بما ابدت من مرح ،  
وحضرها من مفاكحة . فلم يتمالك المهدي ان قال فيما بينه وبين نفسه : ليت  
شابهت تلك هذه في رضاء السريرة . فتوودد اليّ بلطف مهزة ، بدل ان  
تشامخ عليّ برعونة . على انها كانت مثلها قبل ان اعتقها واتزوجها . فبدت في

اكمل ذوق ، واهنا مظهر . غير انها ما جلست بجاني ، على سرير الملك ،  
حتى تنكرت لماضيها ، وبطرت فطفت . اننا لنتلقتن من السابلة ، ونخلع  
عليهن مطارف التيه ، فيطمعن في استبعادنا !

وكان قد نوى اعتاق حسنة ليرفعها الى مقام نائه . بيد ان صلف  
الخيزران ضعف به عن اعادة الكرة . فلن يحشد في موكب زوجاته كل  
جارية مغرزة النسب ، مخافة ان يتردد اللثم ، وقد رتع في مجبوحة اليناس .  
واطلت الجوارى يرفلن في اروع الحلل ، وقد اشرق في قسامتهن الاستهواء .  
وانشدن فور وقوفهن بين يدي امير المؤمنين نشيد الدعاء بدوام النصر  
والاقبال . فزال عن المهدي الغمة حيال الرواء المدود . وما استطاع الا  
ان يبتسم بفيض ، وان يميل على حسنة فيمتدح فيها وافر الكياسة ، وسرعة  
المبادرة . فما ان ظهر في مقصورتها حتى هبت الى الاحتفاء به ، بما يجمل  
بالاعوان والاصفياء حيال ارباب السلطان . فقال مرتاحاً الى الحفارة : اراك  
ابداً على أهبة ، يا حسنة . فكأنك تذكريني في كل حين !

فأعلنت يجزيل الغبطة : نفسي فدى مولاي . ان نحن لم نفكر فيه ففي  
من نطلق الفكر ؟ ... هل لنا سواه من ذخر وسند ؟ ... لا كان من  
يزعج امير المؤمنين في روحه ، وينكد صفوه !

وسددت النبلة الى الخيزران ، فتعاطم في المهدي الجذل . وافاضت  
المنشدرات بالاغاريد . ونقرت انامل الغواني النضرات المزاهر والدفوف .  
وتمايلت القامات الصباح ، في صدر القاعة ، على رقصات موانع ، مستكلمة  
ضروب الفن . وانبسط الحوان ازاء الخليفة يضيق بالافاويه ، وبزجاجات  
الحمر البواسم . فشرب امير المؤمنين ، واكل ، وطرب . وغابت عنه ،

خيال هذا الحفل الباهر ، مواهة الخيزران على مشرق طلعتها . بلى ، كان يتخيلها حيناً بعد حين ، فيتسلسل . الا انه لا يجرع الكأس حتى يغور في برادي النسيان

وما تجلي خيال الخيزران بقوة لعينيه الا وهو يقبض على معصم حسنة ، الجالسة بلفقه بفواتنها الحضلة ، وقد فاحت منها رائحة الطيب . وتدلت في جيدها عقود اللؤلؤ . واضاءت في يديها الاساور والحواتم المرصعة بنقيّ الماس . فلم يقوَ ، فيما يمسك بحسنة ويجذبها اليه ، الا ان يتمثل تلك . فاضطرب . كأن طيفها يؤلمه في صميم هنائه ، بعد امعانها في المخاشنة ، والسعي للاكراه . ونفتت شفتاه قوله : وددت ، يا حسنة ، لو حققتُ امرأ . الا اني لعاجز عنه ، يا أخت الهلال الطرير . اي والله ، اني لعاجز ، يا ابنة امي . واحسبك تدرकिन اي سيد ضخم ينادي بعبزه عن بلوغ ما يريد ! وكان قد غلب على نهيته الشراب . وكان حسنة درت من نبرته اللهي ما يروم بيانه ، فساقته ببلوغ حنكتها الى الجلاء . قالت بمخموه صوتها ، وقد اطلقت في الخليفة الطروب ، الحزين ، فواتك لحاظها المتأججة في عينها السوداوين ، المستطيلتين : وعمّ يعجز امير المؤمنين ، وفي طاعته تنحني الدنيا على بكرة ايها؟ ... لا اري الشمس تعانده في الانحباس عن الغروب اذا ما صاح بها : « قفي ! » . والبر والبحر في خدمته ، حتى الفلك يطأطئه الرأس خشوعاً للسيد الوقور !

فابتسم ابتسامة صفراء ، دل بها على انه لا يزال مالكاً رشده ، وعلى ان البخور مها تصاعد الى انفه ، فلن يخذ اعصابه ، ويميل به الى الايمان بالمحال . قال بوضع انه مع هيامه بالتدليس لن يؤخذ به : بالعت في التقدير ،

يا حسنة . امير المؤمنين، محمد المهدي، لا يجهل مدى سلطانه . فلا القمر ولا الشمس يجريان على امره . حتى ولا الخيزران . عمرك الله، ان امير المؤمنين، مخاطبك، ليقوى على ضرب اعناق مئات الالوف من الناس، ولا يحجم عن افتتاح البلدان ، وتوسيع آمامد دولته، ولكنه كليل عن امرأة . فالخيزران، يا حسنة ، تتيه على من تحسبن الفلك يطأطىء له الرأس !

وتنهذ من صدر مكجوم يطفح بالاشجان . فأطلقت حسنة صيحة الجزع تبالغ في تجسيم هفوة خصبتها . وازجت القولة اللبنة على ما تطفح به من تحريض : أيالي امير المؤمنين جموح قينة ؟ ... لست اجد من تخضع له الارواح ، في المشرق والمغرب ، قاصراً عن امرأة ، مها تفاقمت فيها الصولة . فالخيزران ، وغير الخيزران ، لا تثبتان على نظرة من نظرات رب العرش ، المالك سيداً في القلوب . ولكن الطمع في الحلم الوسع ييب بذوي الدالة الى الاستنار . الا انه استنار الزرايزر ، يا امير المؤمنين . رفقة هدب منك تبيد شعباً، فهل تضعف عن أمة ؟ ... من كانت الخيزران، لولا المهدي ؟

فتهف ، وقد ضاع صوته بين الاناشيد ، ورنات الزاهر ، وخشخشات الدفوف : صدقيني اني دون الخيزران بأساً ، يا حسنة . هذه الامة ، الواثبة الى الذروة ، تكاد تحجب المهدي . فهي ذات مشيئة شسوس . فلا تقف دون رغبة . ولا تحفل بسلطان . فتخاطبني بجلافة وغطرسة . وتصبح بي : « أريد اء » ، كأني لديها العبد المطيع . ولا اراني املك العزم على اخفات صوتها ، ودفع إلحاحها . إن من تبصرينه يقبض على ناصية الدنيا ، ليصفر حتى يكاد يكون هباءة، حيال تلك الضاربة كبد الدهر بالزئير والوعيد .

فليس لشهواتها حد. ولا لذواتها سكون. فلو ابتلعت البحار، على منتهي  
بسطتها، لظلت تشكو العطش. آه منها!... إنها لحاجز دون منى نفسي.  
وكلما هممت بالعدول عنها اراني ارجع اليها. لست اعلم ما يكرهني فيها  
على الرجعة. فكأني اخاف منها وانا اجنح الى سواها. وكم من مرة شئت  
ان تكوفي من نسائي، يا حسنة، وشعرت بعين الخيزران تحدجني كالنبلة  
المسنونة، فاثنت على متأجج الفص!

ونطق بما كانت موقنة انه سينطق به. بل بما رامت ان تستله من  
مطاري صدره. واضاءت سحنتها وهو يعالنها تفكيره في ان يعقد له عليها.  
فبعثتها، ويتزوجها، شأنه في الخيزران. وودت لو بلغت هذه الرجاءة،  
واليها يتقد في حسنة الحنين الجياش. قالت، وقد غفلا معاً عن مجلس  
الانس المنثور الراية: ما يزال يدهشني من امير المؤمنين اكثرائه لامرأة  
حياتها وموتها بين يديه. فهل كان لها ان ترفع الصوت، في حضرة الخليفة،  
لولا يقينها ان لها من رب العرش هبة من سماح؟... ليس من مشيئة  
تنافس مشيئة امير المؤمنين في الابرام والنفاذ. الا انها المكرومة الراجحة  
الندی. لبشأ المهدي، وليتجرأ كل ذي نامة على اطلاق النفس، لا  
على الكلام!

وليس له ان يدحض ما تلقي اليه. اجل، هو السيد المباح الرأي، لا  
الخيزران. فما استفعلت في الخيزران الاستطالة الا بعدما تكشف عنه  
ازاءها من انقياد ولين. ولم يكن منه الا ان جبجم: صدقت، يا حسنة.  
انا رب هذا المطئن من الارض. ولكني حبال الخيزران عبي. أما صارحتك  
بهزيمتي تجاه رغباتها؟... والله، لست ادري كيف استخذي في مغالبتها.

فلو طلبت مني ان تقبض على زمام الامر ، في دولتي ، لالقيت بين يديها  
الاعنة . واني لمسيحها لها ، وما تكتفي !

وألقى رأسه الى يده جازعاً . وجعل أنه في مجلس طرب ، فاطلق الزفرات  
الحرار ، وهدر : أندرين ما يطيب لها ان تتدخل فيه من اموري بعدما لم  
تدع امرأ الا تدخلت فيه ؟ ... انها لتصرّ على عزل ابنها موسى الهادي عن  
ولاية العهد ، ليخلو الجو لهارون الرشيد . وما هي الحكمة من نقض ما  
جزمت ، وموسى ابنها كهارون ؟ ... هل تجلي لك السر ؟ ... انها لتخاف  
من صلابة موسى ، فيسنعها من مد اصبعها الى شؤون الدولة ، على حين تجدد  
في هارون الفتى المطواع ، الرضي !

فأعلنت حسنة تطمع في اذكاء النار ، وكل ما تتوق اليه ان تحل في  
قلب امير المؤمنين ونعمته محل الخيزران : يدهشي من امرأة ذكية ، حاذقة  
التدبير كالخيزران ، افتئاتها بحق ليس لها . فما يحفزها الى التظلم ، وقد ملكت  
من السعد ما لم يكن لها ان تزجو ؟ ... هل دار في خلدتها ، وهي تلك  
الأمة المنسية ، انها ستسلق يوماً شامخ الرفعة ، فتبيت في رجة العرب  
سيدة الجميع ؟ ... لقد وهب لها امير المؤمنين من سخائه ، وبرّه ، ما ليس  
يدرك بعضه غير من صلت لهم امهاتهم في ليالي القدر . ولا اراها ، وقد  
رتعت في هذه الكرائم ، إلا تبالغ في الابتزاز والطلاب ، كأنها تأتي الا  
الاستيلاء ، في تمتد الوسعة العربية ، على ينابيع العظمة والرفد جميعاً . فلا تبقي  
لمن دونها فطرة يبلّ بها اللسان . وادركت ما تروم ، وقد باتت الزوجة  
الفضلى في نساء الخليفة . وورست في قبضة ولديها ولاية العهد . وهل  
من امنية حثت اليها الا فالتها ، واستمتعت بها ؟ ... ولكنها ما تزال تنشئ ،

وتبدي من ضروب الدلال ما لا ارى الخليفة مجبراً على مسايرتها فيه . واني  
لا تعجب من أم تؤثر ولدآ على ولد ، وهما من لحمها ودمها . فكما ولدت  
هذا ، ولدت ذلك . وكما ارضعت الاول ، جادت على الآخر بلبنها . الا  
انه الافراط في الطماح ، والامعان في مناكدة امير المؤمنين !

فهتف الخليفة مؤيدآ : والله، أصبتِ ، يا حسنة . ان هي الا المناكدة .  
والخيزران تجيدها . فليس يطيب لها الا الايلام واللسع ، كأنها تعيش في  
جعر الثعابين . وهل كان لها ان تحلم بالسؤدد الرويّ تغوص فيه ، ورجال  
الدولة يقفون بباب صرحها ، كما يقفون بباي ؟ ... لقد استأثرت بكل  
نعمة ، حتى كادت تكون الخليفة ، وما تفتأ نهم بالمزيد . فماذا تستطيب ؟ ...  
أيشوقها ان أتعري من كل سلطان ، وان انزل عن عرشي لتتولى الامر  
دوني ؟ ... والله ، كدت افعل ، يا حسنة ، وما هي بالراضية . بل انا  
فعلت ، كما عالنتك ، وما تبرح مبرطمة . وكل ما عانديتها فيه ألا اعتدي في ولديها  
على شرعة الحق . فأثبتت في مسند الخلافة ابنها الاكبر ، ثم شقيقه . فأرغت ،  
وازبدت ، تشدد في اهبال موسى ، كأنه لم يكن ، وفي اقرار هارون  
دون الجميع . ولكن لا . لن اعرض عن موسى ، وانا ارى فيه زينة دولتي .  
ففي ملاحته وجلاله ما يثب منه لعيني مثال جده المنصور . وهو في طباع  
جده ، يا حسنة . فالحزم والعزم يتقدان فيه . وطول القامة ، وعرض  
الكتفين ، ووقار السيادة ، كلها تنلأ في هيكله الانيق . مع انه ما يزال  
فتى ، ولم يجاوز العشرين . ان فيه من جده صلابة المكسر ، ومن ابيه  
نداوة الراحة . فلا يمسك يده عن ذي مسألة ، ولا يعرض عن هيف . وان  
تكن الخيزران ترى فيه قناة لا تلين ، وليست تقوى على تسخيروه لمآربها ،

فاني لا طرب وانا ألس فيه نخوته السبوح ، واوقن انه سيصون الامر من عبث العابثين . ركبت الخيزران متن الشطط وهي تنطلق في هذا المهه اليبس !

وجرع كأساً ، ادنتها حسنة بيئناها من شفتيه . ومضغ لقمة من اللحم المقدد ، دفعتها الى فمه يبار الجارية البارعة في الممالأة ، بل الوائبة الى التمليق بباعث غيرتها اللهي من الخيزران ، مزاحمتها العنود على قلب الخليفة . فاذا ما تم لها ان تبعدها عنه ، فالامر ينتهي حتماً اليها . ولن نجد من يقف حائلاً دون المنشود . وسعت لانتهاز الفرصة المفورة ، والخلاف بين الزوجين على اشدّه في صدد ولاية العهد . ورأت حسنة ان تنصر لموسى الهادي ، فقهر به مقاصد الخيزران ، وتكسف اشعتها المائلة فسحة العباسيين . قالت والمهدي يزدرد لقمة اللحم المقدد ، ويتلمظ بنهية احيائها فيه الشراب : وهل لهذه الدولة غير من اتسموا بطابع المنصور ، يا امير المؤمنين ؟ ... ان النار لتتقد تحت الرماد . ولن يطفئها غير من ملكوا جرانك ، وقسوة ابيك . فتظل الرؤوس على انحناء ، ويعتبر المتحفز بما كان من المتجرى ، فيصفو الاديم . هارون شعله من ذكاه . الا ان موسى جمع القاهرين ، الذكاء والمضاء . فهو اقصى عوداً ، واصدق مخبراً . لا تركزن الى ملتس الخيزران ، وفي ملتسها مصلحتها ، وبها تطمس الحق . وما كان لامرأة ان تقبض على الدفة في الدولة ، وتوطد دعائم الحكم !

فراقته فيها حدة الذهن ، وصاح : عوفيت ، يا حسنة ، عوفيت ! وانتزع من بنصره خاتمه ، ورضع به بنصرها . ونادى حاجبه الواقف بباب المقصورة يصيح به : غداً تحمل الى حسنة من بيت المال عشرين الف



درهم ، عدا اللحل والمؤن !

وألقى الى كفها يده يتلذذ ببضاعة جسها . والخيزران شعرت بعداء حسنة لها ، وبسعيها للحاق بها في خاطر الخليفة . الا انها ضحكت من هذه الخنفساء المهدة بالتنافس ، وليست تقوى على لكزة تجبها بها أم موسى وهارون . بيد ان الخيزران ، وهي العاملة ان البعوضة تدمي مقلة الاسد ، لم تنم عن الجارية الالعبة بالنار . فاقامت عليها إلعيون ، وأحصت فيها حتى الانفاس . فانسلت الى مقصورة حسنة عشرات من الجوارى ، هن جواسيس الخيزران على الحظية المرموقة . بيد ان حسنة ما زالت تؤمن بسامق قدرتها . فلن تهي دون مناهضة زوجة الخليفة المختارة ، وسلاحها غدوبة حديثها ، ومجاهدتها في تضيد كلوم امير المؤمنين ، وقد اثختت بها قلبه الخيزران الصخوب وسعت الخيزران للامساك بالمهدي عن ولوج مقصورة حسنة ، ومناها ان تضرب على الحظية نطاقاً من عزلة تختنق فيه . فيستل ابو عبد الله للرغبة المعلقة ، فيما يقيم والخيزران على صافي المودة . ولا يكاد النفار يتلظى ، حتى يثب المهدي الى الجارية الوسيلة الطلعة والروح ، لينهل من مبسها السلوان النجيع والنفار بين الزوجين بات مزمناً . بما تعدد به الدخول على حسنة . وارنجت الجارية ، الزاهرة الصدر بدفاق العلالات ، ان تملك من الخليفة الوطر المأمول ، فخيبت بها المقادير . فما ان يترأى لها ان امير المؤمنين اضعى مرهوناً بسطانها ، حتى يهدم فيها الواقع كل زخرف من امل . فليس للخيزران الا ان تتأيل ، ازاء ابي عبد الله ، كي تبدد في ذهنه ما علق فيه من اثر حسنة واخوانها الجوارى ، على ما يتلظى فيهن من رونق وولوع واطالت حسنة النظر الى من تطمع في قربه حتى تكسف مودته لها كل

من تحفل به يمينه من النساء . وتنهت كأن صدرها ينوء بفمرة الاكدار .  
فرقّ لها المهدي ، وهو يسيل عطفاً حين يمتزج بروحه عصير الارواح . ومال  
على هذه المتوجعة ، مع جلوس امير المؤمنين ، ركن الدنيا ، اليها . وسأها  
بصوت جريح ، مدهوش : ألا ما يشجيك ، يا حسنة ؟ ... سلمت مهجتك !  
فنفثت عيناها الدمع الشاكي . فالتاع المهدي وهتف : أتبكين ، والحليفة

بجانبك ، وما منع الخير والسعد يلتس لديك صفاء البال ؟  
فجادت بالانين المكروب ، وغنميت : روحي فدى امير المؤمنين .  
لست ابكي النعمة الماطلة التسكاب . بل ابكي ذهابها عني . فلا تكاد تخلع  
عليّ المن ، حتى تنساني لدن تجاور الخيزران !

فابتسم واطمأن . حسنة ترجو ابدأ التفاته اليها . فهي اشبه بجميع نساته ،  
تنشهي ان تكون في طليعة المحبيات اليه ، ظافرة منه بحصة الاسد . وانحني  
عليها حتى التصق رأسها بصدرة ، وقال : ألا يكفيك اني جعلت منك عديلة  
الخيزران ، واني انقض بقربك كل ما تحشو به تلك صدري من غم ؟ ...  
بل انت ارجع منها عندي قدراً ، ولست ألس فيها غير العناد والجوع .  
فتأكل زادي ، ولا تشبع . وناخطبها بالكلام الهادي ، فلا تستنم الى حلم .  
وماذا ترجين بعد كل ما لقيت من نعمتي ؟ ... هل من وثبة لا تزالين منها  
على حيث اشواق ؟

وضحك لها . واستطاب تقيلها وقد هزته اليها ففتنها الساطعة . فاعلنت ،  
وقد ايقنت ان مجال الطلب يتسع لها : ولماذا لا اكون من امير المؤمنين  
كالخيزران نفسها ، فبعثني ثم يتزوجني ؟ ... انه ليعزني ويخجلني ان ابقى  
ابداً في مصاف الجوارى ، فلا اتبوا في رحبة مولاي مرتبة الخطر !

فتناهى في القهقهة . حسنة تتوئب الى الذروة . وضما اليه فرحاً ببرطمتها ،  
وبثها قوله : سائحين السوانح لتحقيق اربك ، يا حسنة . فصبوراً ، صبوراً  
ريثاً ننتهي من دلال الخيزران !

وعاد يتذكر موقف الخيزران منه ، وهي تلك الجارية المغمورة . لقد خاطبته  
بما تخاطبه به حسنة الآن . على انه ندم وقد اجابها الى المنشود . أفلا يندم  
وهو يرفع هذه الى حيث يببت من الصعب ترويضها وارضائها ؟ ... وفزع  
الى بمطول الوعد يذيعه في مسع الجارية الوثبي : نعمى عينك ، يا حسنة !  
فالايام وسبعة ، فلماذا يضيقها على جارية يغلي فيها الطماح ؟ ...  
وتماوجت الغبطة في معارف حسنة . عوارف امير المؤمنين لا ينقطع لها  
غيث . وانقضت الليلة على خضل المتعة . فطرب امير المؤمنين ، وتنعم  
بمستفيض اللذة ، فيما يقف خادمه منارة البربري بالباب ، يرقب ساعة فساعة ،  
وهو على مضّ التهويم ، ان ينسلخ امير المؤمنين من مجلس الانس المعطر  
الاردان ، الفضفاض الذبول

صرح « اساس » في حنق ووجوم . فالخيزران على غيظ ، ومثلها كل من حوى قصرها من الانصار والخدم . ونادت اليها جاريتها عتبة بصوت أبحّ تقول : عليّ الساعة بيعيسى بن خالد البرمكي ، يا عتبة . اريده على المجيء فوراً ، وانا في اشد الحاجة اليه . فلا يتأخر عني لحظة ا فامتثلت عتبة ، الجارية النضرة ، الرائعة في صرح « اساس » في اعلى مقام ، وقد جادت عليها الخيزران برأفتها ورعايتها ، واثقة بيقظتها وولائها . على انها كانت تجتاز برهبة طرق بغداد الى دار الوزير البرمكي الداهية ، كأنها تخشى مفاجأة مقلقة . فلقد وقعت ، من ابي العتاهية الشاعر ، موقع ايثار ، أقام الولهان في خطاها ، كأنه ابدأ بباب صرح « اساس » ، يرصد الجارية في مهزتها

وما كانت غتبة تمنحّ اليه ، وليست تريد ان يهاها بائع جرار ، مع كل ما ذهب له في دولة الشعر من باذخ المكانة . فانقت مرآه ، وحاذرت ان تلقى في جولاتها شبهه البغيض . غير ان ابا العتاهية لم يكثر فيها للجفوة الكابسة . فتغزل بها ، وتعرض لها ، ينشدها ما اوحت به اليه من سنيّ النظيم . فتتأفف عتبة وتبكي . وتندفع الى سيدتها الخيزران تشكو لها بليتها بالشاعر الفائر الوجد . فتضحك الخيزران حيناً ، وتغضب احياناً . وتنادي الشاعر اليها فتوبخه ، وتنهاه عن احراج القينة الحفرة . ولكن ابا العتاهية ، وقد ركب هواه ، لم يكن يقوى على انامة قلبه الجموح . فما ان تبدو له عتبة ، حتى يجري في اثرها مستعظفاً متبساً

والآن ، فيما تندفع الجارية الى دار يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت بعيدة عن صرح اساس ، كرهت ان يصددها الشاعر الهائم بقريضة السبيل الحنين . فوثبت وثبات الظبي النفور الى وكر الوزير البرمكي ، متعامية عن كل خيال يعرض لها . بلى ، كانت تقف لمحة لدى كل منعطف ، وتطلق العين فيما حولها ، حتى اذا ما أمنت المباغثة ، درجت الى هدفها بوجلين تتسابقان في انتهاب السبيل

وبلغت دار يحيى البرمكي باطمئنان . فكأن أبا العتاهية شغل في ذلك النهار عنها . فما رصدها يتملى قسامتها ، ويتلذذ بمطاردها . وقرعت الباب بعنف ، واعلنت نفسها : عتبة ، جارية الخيزران !

ولم تكن بحاجة الى الجهر باسمها ، وكل من في صرح البرمكي يعرفها . ودعيت فوراً الى المثل بين يدي الوزير الاريب ، البادي البشاشة ، الدمث القولة . وهتف يحيى وقد ابصرها : ألا مرحباً بك ، يا عتبة . ماذا تحملين الينا ؟ ... أتكون سيدتك على حفيّ الانس ؟

فاجابت وقد شمعت بالامان يكسوها : نفسي فدى سيدي . مولاتي حفزتني اليه كي استعجله في اوتباد صرحها . أراها اليه في امسّ حاجة ! وتكلمت بجد . وادرك يحيى بن خالد البرمكي من جفاف قسامتها ان الامر جلل . فقال يستبحث : وماذا هناك ، يا عتبة ؟

فدنت منه حتى بات لا يفصلها عنه خطوة ، وهست في أذنه : لا نبرح حيث تعلم . مولاتي على خلاف وامير المؤمنين في صدد ولاية العهد . ووقعت بينهما في هذا النهار واقعة جيّاشة بالشحناء ، انصرف على اثرها ابو عبد الله مغضباً ، ينتهي دار حسنة . ومولاتي تقيم على جزع ، وتسألك المشورة .

فلا تمسك عن الاجابة !

فقلب شفتيه يستكبر الحطّب ، واستطلع : وهل بدا من امير المؤمنين

انه على نقمة ؟

فاوضعت الجارية : ما كنا نقوى فيه على اقناع . فتاظى حنقاً ،  
واقسم انه لن يدخل صرح اساس ، ما دامت الخيزران تلجّ به في الخروج  
عما ابرم . وانطلق الى جاريته حسنة ، يبحث لديها عما يعيد اليه راحة  
الخطير المرضوض . ولا احسبك تجهل كم يؤلم مولاتي ، ان يتحوّل عنها  
امير المؤمنين ، الى حسنة الجارية المنطلعة الى شامخ السدرة !

فاطرق بحبي يفكر في الجارية المشوّفة الى معاذلة الخيزران في بسطة  
المجد ، وتجلّى له فيها الخطر . فاذا حالها موسى الهادي ، فقد تكون حربة  
قاتلة في صدر الخيزران ، وليس لها الا ان تميل بامير المؤمنين الى الرسوخ  
في ما اقرّ في ولاية العهد. وبحبي نفسه دفع الخيزران الى اتقاء صولة حسنة ،  
الجارية المليحة الوسامة، النازلة من المهدي في جانب عزيز . وهو من اوصى  
بايفاد رهط من الجوارى الى مقصورتها للتجسس والاستنباء . وهاله ان  
يشخص المهدي الى حسنة كلما صدّ عن الخيزران . فقد يزيد اعراض امير  
المؤمنين عن امرأته الاثيرة بجنوحه الى ايلامها . فيعزل هارون عن ولاية  
العهد ، بعد موسى ، ويقبئها في فتي آخر من بنيّه ، امعاناً في قهر  
الخيزران الناشزة

وتفتحت شفتا البرمكي بقوله : لست بتردد ثانية في اجابة مولاتنا ،

يا عتبة . فاني لمنطلق توّأ الى صرح اساس !

وسار في رهط من رجاله الى الصرح . وطاب لعتبة ان تسير على

خطوات من الموكب ، فنتقي مباحثات ابي العتاهية . وانسلّ بجيى الى  
مخدع الخيزران ينحني ، وبسلم على امرأة الخليفة ، ويقول : ها انذا في  
حضرة سيدتي الجليلة . فعلى مّ يقوى في خدمتها بجيى البرمكي ، المتهالك  
على كسب رضاها ؟

فالتفتت اليه التفاتتها الى من تؤمن بثاقب رأيه ، ومكين اخلاصه .  
وقالت بصوت غضبان : تروّعني تلك الصلابة الفاشية في امير المؤمنين ،  
يا بجيى . فكلما حدثته عن ولاية العهد ، جبني بالمخاشنة . فلبس يطبق ان  
يشبع عن موسى . وانت ادري الناس بما بيني وبين ابني موسى من مكيدة .  
تزوج على رغمي ابنة عمه لبابة بنت جعفر ، الساخرة بي ، وما برحت  
تعيرني كوني أمة . وشاطرها امتهاها اباي ، بل هو منها من ان تحييني ،  
وان تحضر مجالسي . ولست في معتقده ألتق بان اكون امرأة خليفة ، ولا  
أم خليفة . ألا ماذا يعرف عن أم جده المنصور...؟ فهل كانت سلامة البربرية،  
أم ابي جعفر ، ركن العباسيين ، غير أمة مضمورة ؟

وكادت السيدة الباسطة جناحها ، على المطئن العربي العريض ، تذيب  
الدمع . فقال بجيى يناهض فيها صارخ الاسى : ألا رويد سيدتي في لوعتها .  
فما موسى سوى ابنها ، بل شطر من روحها...؟ وان للابناء طمعات تقرض  
على الآباء ان يحتملوها . هذا هوس الشباب ، يا مولاتي ، وعلينا ان نصبر  
في اولادنا على رعونة الجهالة . لست أكابر في ما يباعد بين موسى وهارون  
في متناقض الطبع . ولكن هذه يدي، وهذه يدي . ومن المحال ايثار يد على  
أختها . واذا جاز ابداء الرأي ، فلست اؤيد احراج المهدي في مطلب سوف تميل  
الايام الى افئاعه بالحكمة في اقراره . لنصبر ، يا ذات القدرة . فالغد قريب .

وسيجعل البنا الفرخ والفرج !

فأعلنت بمرارة : والى متى اكره نفسي على الصبر ، يا يحيى ؟ ...  
فالخليفة ماضٍ في ما اعلن ، لا يلتوي له عود . وان تكن تريد لي الويل ،  
فليربع موسى بسدة الخلافة وليسحقني باحتقاره ، وليحبسني في قفص . لا ،  
يا يحيى . فالموت اهون عندي من ركوب موسى المنصب الاول في الدولة  
العباسية . فارشديني الى مبيع اتقي فيه العثرة . فلماذا لا يكون هارون ،  
ذلك الكبّس اللبيب ، رب المقعد المنيف ؟

فعار يحيى في استنباط الحيل . ولم تكن الخيزران تعتم بالسكون .  
فهي في حديثها ، وصلابتها ، اشبه بالخليفة زوجها . قال البرمكي يداوي فيها  
الفورة : علينا ان نجهز هارون للغد البهي ، يا ذات الجلالة ، وهو يفرض  
نفسه على المنصب . فعلى من تربن ان نعقد له من بنات اعمامه ، وقد بات  
في عمر الزواج ؟ ... وما ان يمسي في حلقة الرجال حتى ندفعه الى الفتوح ،  
على رأس الغزاة المغاوير . فيعلو شأنه لدى ابيه ، ويمجد امير المؤمنين نفسه  
حيال سيد رهب الصولة ، مقتول الساعدين ، يفاخر به بنو قومه ، وكلهم  
يريدون للغد الازهر !

فلمست الهدى في مقال البرمكي . ليس يحيى على ضلال في السعي لتزويج  
هارون . ومن تصطفي له الخيزران ؟ ... انها لتجد في زبيدة ، بنت ابي  
جعفر ، ضالتها . وما زبيدة سوى اخت لبابة ، زوجة موسى . ولكنها  
اختها من ابيها ، لا من امها . وأم زبيدة أمة ، وهي سلسيل . فلا خوف  
إذاً على الخيزران من استعلاء زبيدة عليها ، واستهانتها بها ، اذا ما زفتها الى  
هارون . والاثنتان تنبعان من بطن غريب عن المعتد العريق . قالت



الخيزران توافق على رغبة يحيى : صدقت ، يا ابا الفضل . ساعد لهارون على من يهنا بقرها . ولقد ظهر لي منه انه يحنّ الى زبيدة ، ابنة عمه . وزبيدة اخت المتغرسه لبابة . ولكن بين الاثنتين سحيق البون . لبابة تتأمل على غليظ عجرة ، كموسى نفسه . وزبيدة تجبو على رسيل طبع . لبابة تعرف اذا ابصرتني، ولا تجلّ في شخصي رفعة عمها الخليفة . وزبيدة لا تبعد عني، وتتوفر على اكرامي، وتتودد اليّ . ثم هي لا تطلق في اصلي داعر القول ، شأن لبابة الحديدية اللسان ، المتقولة عني ما ليس لذي مسكة من رشد ان يؤمن به . فكأنها ، وقد زفت الى موسى ، وافقته في خشونة الخلق ، وجفاء الدم !

وتأوهت الخيزران . وما تراهي لها ، وقد بلغت هذا المقام المنيع ، ان الالم سينجراً عليها . ولقد نجراً الانكد ، وادمى فيها المهجة الناعمة المشوى . فما تنفك ، منذ طويل الليالي ، تصارع فيها كيد القدر . أتشقى في الامنية السامقة ، وهي اغلى ما ترجو من زمنها ؟ ... اذن ليست من تتحدث بفيض ، عن قدرتها وجلالها ، افواه العرب والعجم ، ومن تشخص اليها الابصار ، كأنها قبلة الدنيا . قبل فيها انها المهدي نفسه ، وان امور الدولة لا تجري بسوى ايماءة منها ، فاين العز المديد وهي دون تحقيق رغبة ؟ ... وامت اقرار مصير ولديها ، فسقط في همتها

وتجلت حسراتها ليحيى البرمكي . وبدت له تشتعل في كآبتها . فاشفق عليها . الا انها تشتعل على حقد ، ككل قوي مقهور . فما ذلت ، وقد نزلت بها الفاشية ، بل جاهدت في درئها والتغلب على اللوعة . ستظل بالمهدي حتى تملك منه مطلق المشيئة . فلا يمارضها في مطمع . ولكن ابن السبيل

الى هذا المرام الصلود ، وخصوصها يفسدون عليها كل وثبة ؟ ... فهناك موسى ولبابة ، لبابة المقيمة بباب المهدي كأنها احدى نساته ، والمتزلفة اليه حتى تكاد تشغله عن حوله من الرجال والحظايا . وهناك حسنة ، الجارية الزنخة الدخلة ، المتصايبة الى الحلول في الطليعة ، والمشتتة على الخيزران مقاصدها . بيد ان الخيزران لن تستسلم الى الهزيمة ، وفي صدرها عزم ، وفي رأسها ادراك . ستقاوم حتى تفوز ، او تتحطم ، فتتناثر اشلاء . قال يحيى ، يستصوب فيها الميل الى زفاف زبيدة الى هارون : اعتمدت مولاتي على الطريق الحق في اختيار زبيدة لابنها هارون الرشيد . ففي زبيدة من شهية المؤانسة ما لا تنعم ببعضه لبابة ، على نضيد روعتها . وعندني ان لا يطول يوم الزواج . فتحبي ، في صدر امير المؤمنين ، الجبور ، وندبه منك . فلا تستحكم بينكما نواشز القطيعة . بل نسير ، ونحن على اطيب الصلات بالخليفة ، خطوة فخطوة الى المرجى . ارى التأيي خيراً من العجلة ، يا مولاتي . فلماذا نحرق انفسنا حيث نقوى بالتزودة على بلوغ الارب ؟ ... سوف توقنين ان يحيى الهرمكي صادق النبوءة حين يعالئك بان الغد لنا !

فاستطابت فيه مواعع الرأي ، واستطلعت : أندعو الى العقد لهارون على زبيدة ؟

– بلا ابطاء ، يا مولاتي . فالافراح تزيل الحوائل دون المواءمة . علينا ان ننتفع برضى امير المؤمنين عنا !

فقلت ، وهي الحريصة على الامساك بعطف المهدي ، مخافة ان تكبر في صعيد السؤدد ، وينفض عنها الملتقون عليها : اذن عليك بان تذيع الساعة ، في طول الدولة وعرضها ، ان هارون سيتزوج ابنة عمه زبيدة ،

وان المباحج ستشمل وسعة العرب ، حتى مترامي اطرافها !  
فارضح ببصيرته الوقتادة : بل علينا ان نستأذن امير المؤمنين في  
المشهى . فاذا ما اجاز لنا نشر النبأ ، نفخنا في الابواق البشرى ، وزفناها  
الى كل مسمع !

فراقتها فيه فطانته ، واطمأنت الى سداد بيانه ، معلنة : لا عجب اذا  
حللت من هذه الدولة في المقام المأنوس ، يا يحيى . فان لك ، من راجح  
نهيئك ، ما يقودك في مهجع تأمن فيه العثرة . أصبت . سنطلب الى امير  
المؤمنين ابداء رغبته في العقد لابنه هارون على ابنة اخيه زبيدة . ومن  
الراهن انه لن يشيخ عما نعرض عليه من خبير الرأي !

وفادت اليها جاريتها الصفيّة عتبه . فاطلّت الجارية ، البليلة الطلالة ،  
تقبل الارض بين يدي مولاتها ، وفتتح اذنيها لالتقاط الامر المطاع .  
فاستفهمت الخيزران : أيكون امير المؤمنين في قصره ، يا عتبه ؟ ...  
اوفدي من يسأل لنا عن ابي عبد الله !

فانتفض في الجارية الشجو النعّار ، وقالت باكتئاب : امير المؤمنين لا  
يربح في مقصورة جاريته حسنة . ولقد اسرعت اليّ احدى جاسوساتنا على  
الجارية ، المعنة في اغتيالنا ، تذيع في مسعبي ما لقي هناك سيدنا من فائق  
الاجلال . احيا لدى حسنة ليلة من أمتع الليالي وأسناها . فنقرت بين  
يديه الجوارى المزاهر والدفوف . وجلس الى حسنة يصفي فيها الى الشهوة ،  
وبجاملها برضى القول . وبما صارحتني به ناقله النبأ ان حسنة همست في اذن  
امير المؤمنين اشياء . وما اكنفت من الافاضة بالالتماس الا وقد عاهدها  
امير المؤمنين على ائالتها الصبوة . وبلغ من تناهيها في ارضائه ما حمله على

ان يقضي لديها يومه . نحن في منتصف النهار، وما يزال أمير المؤمنين يتوسد  
المهرك البغيض !

فارتجفت الخيزران وبلعت ريقها . اي مكيدة تجلجل وتوشك ان  
تجرفها ؟ ... حسنة مزاحمة تخيف . والتفتت امرأة المهدي الى يحيى البرمكي  
تستجير به من الكارثة ، هاتفة وهي تلهث : هل سمعت ، يا يحيى ؟ ...  
هل سمعت اي غدر يعربد ويهددنا ؟

وما كان يحيى ليهرب الكوارث على فعولتها ، فاطلق المقال الديمث :  
ليس لنا ان نبالي امر جارية . امير المؤمنين لن يصدف عن أم ولديه، وولاية  
العهد معقودة لهما . لتنتطق حسنة بما شاءت . فان نظرة من السيدة الاثيرة  
في حرم المهدي تهدم كل ما يتعب اعداؤها في تشييده من مكاييد زريّة .  
حسنة طلبت ، والمهدي وعد ، ولكن ابن الانجاز ؟

فاطلقت عتبة واخز القول : وبما اقلقت به الجارية خاطري ، اعلانها  
انها سمعت اسم مولاتي ، الخيزران ، ينتفض مراراً في شفاء امير المؤمنين  
والحظية حسنة !

فهدرت الخيزران ، وقد ضاق وسعها عن الجلد : أندعوني الى الاتناد ،  
يا يحيى ، والدسائس تحاك للقضاء عليّ ؟ ... لا ، يا ابن امي ، عليّ ان  
اقوض الليلة بهذه المنكودة حسنة مأواها . لن تظأ لها قدم شبراً من  
الارض . في هذا الليل سادف انصاري الى هدم سطح مقصورتها عليها ،  
والى دفنها في بؤرة اعمق من لحد . بماذا تتناولني المشؤومة الوجه واللسان ؟  
فابتسم يحيى ، وقال بهدوء دل فيه على سعة الصدر ، ومناعة الجأش :  
عفواً عن إلحاحي في الاعتصام بالتأني، يا مولاتي . فالموقف لا يبيح الغضب .

ليس الظافر من يدعن لفلان كبده ، بل من يطفىء في نفسه الجمر ،  
ويسمى لطلبه بالحنكة والدهاء . فمن هي حنة كي نقيم لها ذرة من شأن ؟ ...  
كل ما علينا ان نستدرج ابا عبد الله الى جانبنا باحياء الافراح في فسيح  
دنياه ، وباستنكار كل ما عداه ، فنتجاهل حسنة ولفيفها ، كأننا ازاء  
بعوض في صحراء !

فصاحت والنقمة تسدل على وجهها غشاوة كثيفة ، تسدّ عليها منفذ  
النور : ولكنك ترهقني بما تدعوني اليه من احتمال ، ايها البرمكي . حنة  
حشرة موبوءة علينا بسحقها بنعل طحون ، لا تبقي منها على خلجة ، حتى ولا  
على اثر !

فابتسم وقال : ليس لنا ان نذكر انها تعيش . وجلّ ما علينا ان نمثل  
في حضرة امير المؤمنين ونسأله ان يعقد لابنه هارون على ابنة اخيه زبيدة !  
وزعزع بطول أناته الصخب الزاعق في الخيزران ، فجهرت بقولتها  
المتأففة مع جنوحها الى التأييد : انك لتغلبني على امري بيرودتك ، يا يحيى .  
فما تندلع من حنايبي النار حتى اراك تعمد الى اخمادها . أتريدني على  
السكوت عن الحبيثة ؟ ... ساسكت عنها كرمي عينك ، وساشغل عنها  
نفسي بزواج ابني هارون . الليلة سابدو بين يدي امير المؤمنين واحبي فيه  
مأنوس الرضى ، وابدد وحشة الجفاء !

فاعلن بمتألق البشر : وهو خير ما تفعلين . سيعود اليك امير المؤمنين  
بقلبه وبروحه وانت تحدثنه عن مجالس الصفاء ، وتهبين له متعتها . ففي طبعه  
من الميل الى المفاتن ما يذهب عنه بكل اضطغان . لا تحجمي عن المسير  
اليه الليلة ، كأن ليس بينكما قطعة ، ولا مسكة من نفار . ولا بأس

ان يصحبك هارون وزبيدة ، وأن يقيا عن جانبك جناحين خفّاقين . فلا بد ان يغتبط بها امير المؤمنين ، وان يزيل عنه مرآهما كل مضم . وليس في قلبه مضم الا وانت تلجّين في ابرام مصير ولاية العهد على هوانا . لنعد الآن ولاية العهد في اقمطتها ، ولنعتكف على العقد لهارون على زبيدة ، ابنة عمه . وفي الغد سوف نملك من سيدنا وحليفنا ما يعجز عنه كل مطاع !

فما وقعت على رأي اوفى . وتجهزت للشول بين يدي الخليفة . ودعت عتبة الى مصارحته بالرغبة . قالت : اندفعي اليه ساعة يبدو لك في ابوانه ، وعالنيه بافي سأكون اللبلة في حضرته يصحبي ابنه هارون ، وابنة اخيه زبيدة ! وهي لا تجهل ما يكون من وقع النبأ في نفس امير المؤمنين . فالمهدي ، مع غليانه في النعمة عليها ، لا يلبث ان يهدأ ساعة تحتلج باسمة في ناظره . فالبسمة فيها تبدد منه كل حرد وجهامة . ولم تكن الجارية حسنة على شطط في المعتقد ، وهي ترى في الخيزران ماحبة كل غائبة سواها من مودة ابي عبد الله ، عندما يستويان على رطيب الالفة . وانسابت عتبة الى بلاط الخليفة تستوضح : هل اقبل امير المؤمنين ؟

وكان قد قعد للمظالم ينظر فيها ، وينصف الشاكي المضم . واضاءت نفسه بوسامة اللبلة المتفضية في مييت الجارية حسنة . اذاب ساعات تزخر بفتيق الصبابات . على انه لا يكاد يذكر الجفوة القائمة بينه وبين الخيزران ، حتى تساوره كمدة لا يطبق لها دفعاً . فكأن كل ما ذاق من هناة ، في كنّ حسنة ، لا يتماسك حبال التفكير في الخيزران . وكأن الخيزران اذا رضيت ، فلا شأن لغضبة الدنيا ومن فيها ، ولا لازدلاف خير من في الدنيا

الى امير المؤمنين

وظهر منه في مخاطبة الواقفين بين يديه انه لا يوشك ان يطئن حتى  
يعتكر باله . فما ان يذكر الخيزران الجافية حتى يعلو وجهه القطوب .  
ولما انحنى بين يديه خادمه منارة البربري ، رفیق الرحلات والمؤمن على  
الامرار ، اعاره اذنأ صاغية : كأنه يرقب منه ان يحدثه عن الخيزران ،  
وان يرفع عن عاتقه عبئاً كابساً يرضيه . وابتدره بشوق الى الاستطلاع :  
ماذا ، يا منارة ؟

وحشه على البيان الرشيك . قال الخادم ، وما كان يخفى عليه حين  
سيده الى نظيرة نسائه : عتبة بالباب ، تستأذن في تقبيل الارض بين يدي  
امير المؤمنين !

فاتسعت عيناه ابتهاجاً ، وتولاه حفيّ الاطمئنان ، وقد احس بالخلاص  
من مرهق الغمة . قال وكل ما فيه على مرح : وماذا تريد عتبة في مثل هذه  
الساعة المخرجة ، يا منارة ؟

فاجاب العبد ، وهو لا يزال على انحنائه ، وليس يجرؤ على النظر الى  
سيده : جاءت تذييع ، في مسمع امير المؤمنين ، ان مولاتي الخيزران تلجأ  
الى سراح الخليفة في موعد يضربه لها . ستحبو اليه في موكب يزدان بهارون  
وبزبيدة . فتى يرى سيدي ان تقبل اليه ؟

فذهبت عنه وساوسه ، والبشرى تتوانب الى وعيه . وقال كمن  
يلتمس توكيد النبأ : أترجو الخيزران المجهء اليّ ، يا منارة ؟... ألا كرم  
مشواها ، لتكن في العشية في البلاط . فما ان ينفصّ عني المستنصفون حتى  
اكون لها !

فترجع منارة الى عتبة يفضي اليها بمشيئة رب الدولة العباسية، ويداعبها بقوله : ألا كيف نحن من معابثات ابي العتاهية ، يا عتبة ؟  
فابتست الجارية اللعوب . وركنت الى الهرب كأن الحديث عن ابي العتاهية لا يلفتها اليه . وهتفت وقد بلغت مقر سيدتها الخيزران في قصر اساس : مولاتي ، مولاتي ، امير المؤمنين يرحب بمقدمك . فانت من خاطره على سعة ا

فاستأنست الخيزران بمبتشر الحفاوة . وشعرت بان مكانتها لدى المهدي لا تزال راجحة الكفة . وقالت يجذل : ألا كيف وقع منه الالتباس ، يا عتبة ، هل لقي فيه لناً وعطفاً ؟

فاوضعت الجارية : بلغت البلاط وامير المؤمنين يجلس للمظالم . فما أوتيت حظوة الوقوف في ناديه . على ان منارة البربري حمل اليه ما تطلب مولاتي مجاهرته به . وعاد منه بالجواب الرضي . في العشية يفسح امير المؤمنين لمولاتي اليه ا

فضاقت الخيزران بالحبور . ونهضت الى خدمها وحشها تأمر فيهم وتنهى : أعدوا لي الكسوة ، والطر ، والكحل ، والحضاب . واحذروا ان تغفلوا عن الظهور في بلاط امير المؤمنين في اكل زينة . ونادوا لي هارون وزبيدة ، وليرفلا في ابي الحلل . علينا ان نجتاز طريقنا الى مثنى الخليفة في افخم موكب . ملوك يتهادون الى اكرم الاقبال ا

وماج صرح اساس بالفوالي . فتفتحت الخزائن عن حلل الحرير والبرفير المزركشة . وفاحت الطيوب ، فترنحت بنشوتها الانوف . ولعت الدمالج والاقراط والخلخل تزيد في وضاعة الصرح الوهاج . وشخصت



العيون الى هارون وزبيدة تتيين فيها الجلوة والقسامة . فكأنها زهرتان  
خيلتان في مرج حفيل بالازاهير العطرة ، وقد كسفا كل ما حولها من  
جلالة ولألاء

والتفتت اليهما الخيزران تقول بفرحة صياحة : لست ارى في بسطة  
الرواء من يضاھيكما وسامة وانسجاماً . فكأنكما ، وقد فقمتا الانس  
ازدهاراً ، جمعتما الملاحه والمواھة من اطرافهما . وليس لهذه الفتنة المتوهجة  
فيكما الا ان تتجاذب وتهاوى . ولكأني بكما على وجد وهيام ، بعد كل  
ما اختلج في عيني من تقاربكما وتمازجكما ، وقد تعادلتا ميلاً وهوى .  
وسنبدو الليلة في بلاط امير المؤمنين ، لنزف الى الخليفة نبأ تألفكما ،  
ونستأذنه في زواجكما . فكونا منه على اخضلال مظهر ، وفنون منظر .  
فالخليفة يستعذب روائح الشباب !

فضحكا . ولمت في اعينهما ومضة الكلف . ان الخيزران من امرها  
لعلى جليّ بيّنة . فالحب يمور في حناياها عاصفاً هادراً . وما كان ليلقى  
الصدمة ، وقد وقع في ارض لبنة، بمراع . واضاءت في وجنتها النضرة ،  
المتوردة ، العافية النصح ، وقد اقتعدا بهرة الفتوة . وما كان الناظر  
اليها ليرتوي من التعديق الى صباحتهما، وكل ما فيها يرشح بالرونق والسمو .  
قالت الخيزران في نفسها ، وهي تنو اليها ، معجبة بالبرعين المتوقدين حياة  
وجهارة : هذان سلاجي في كل من يزاحني على امير المؤمنين . فهل  
لعين ان تبصر الكوكبين النيرين وان تتواني في الاستضاءة باشعثهما  
الساطعة ؟ ... انها ليساويان في طلالتهما دولة ريتا . فكأن امير المؤمنين،  
وهو يضمها اليه ، يبسط جناحيه على دولتين أيديتين ، دولة القوة

## ودولة الجمال ا

وانحنت عليها تقتطف من معارفها النديّة القبله المشبعة ، وتقول بمندلع  
الارتباح : عثما ، يا حبيبي ، قرة لعين الخيزران ا

فهي تعقد عليها بعيد المأمول . فاذا ركبا مقعد الخلافة فالامر في  
الفسحة العباسية امرها ، وليس لأنمة ان ترتفع بالمناوأة ، ولا لمهزة ان  
تتكب عن جادة تشقا الخيزران ، البين الهادية ، والمشيشة الطاغية .  
وان هي اخفت ، فيا ويلها ، وابنها موسى الهادي ، وامرأته لبابة ،  
سيقصيانها حتى عن المثول في حلقة السعداء المرموقين . فتعود الى ما كانت  
فيه من خمول شأن . جارية منسية . ويبيت صرح اساس طلالاً في قفر .  
ولكنها لن ترتضي هذا الهبوط الصاعق ، ويدها ستظل قابضة على الدفة .  
فلا ترخيها الا وقد تراخت عزمتها ، واضحت غنيمه الفناء . واذا خطر  
لموسى الهادي ، ولللبابة ، ان يقهراها ، فستشير عليها حرباً اكرولاً لا ينطفئ  
ضرمها ، الا وقد ذهبها وقوداً . فليست الخيزران بمن ينام على ذلة .  
واذا اتفق لها ان تمحترق في المناضلة ، فلن تأكلها النار الا بعد اجهازها على  
الحصوم الساعين لتقويضها . ومشت تقول في ليفها : هلموا الى بلاط  
امير المؤمنين ا

وزحف قصر اساس الى مشوى الخليفة . وكان الشفق يلون الافق  
بخضاب من حمرة قائمة ، تدل على انطفاء الشمس في الدكنة . وسكنت  
بغداد واستنامت الى الراحة ، وكل من فيها تعب من كفاح النهار . بيد  
ان هذه الابواق النافخة ، والطبول الهذارة ، دفعت القوم الى الاستبعاث .  
فمن يروّع هدوه المساء بالضجة السارّة ؟

ووقف من هاجهم الفضول في الشرفات ، والسطوح ، والارصفة ،  
يتساءلون عن الباعث على التزمير والتطيل. فاي فرحة تهز الدولة العباسية ،  
فتشجيبها ؟ ... على ان موكب الخيزران تمّ على نفسه . فدرى الجميع ان  
السيدة الاثيرة تشخص الى بلاط المهدي. وابتسم من يروقهم تعليل المواقف ،  
وقالوا مباسطين : عتقد الصلح بين البلاطين !

وافاضت العيون بالنظرات المشرقة الحبيثة ، كأن بغداد مطلعة على  
خفايا السادة . فلا ينتقض مقر الخليفة بنبضة حتى يذهب لها في السامع  
الصدى المرنان. وسار حملة المشاعل في طليعة الموكب يتلوهم حملة البنود.  
وبدت الخيزران على بغلة مزدانة بالطنافس . وجارتها زبيدة فاعتلت بغلة  
اخرى . وامطى هارون فرساً . ودرج في اثرهم الجند والخدم يملأون  
السبل والشعاب

وثقبت زعقات الابواق وفرعات الطبول اذن الجارية حسنة . فاوفدت  
من يستجلي لها النبأ. وما علمت ان الموكب موكب الخيزران الى المهدي ،  
حتى استدارت عينها هلعاً. وتصاعدت زفراتها. كل ما اجتهدت في توطيده  
تداعى ، كأنها تبني على الرمل. واحست باللكمة في قلبها . انها لعاجزة عن  
كسر شوكة الخيزران . وادركت فوراً ان امير المؤمنين سيجري في مشيئة  
السيدة المدللة ، الملباج . وشعرت بالبرد يلسع كل جارحة من جوارحها .  
فالغلبة افلتت منها بعد كل ما رفعت لها من دعائم وابراج

وسمع المهدي الصخب والطنين ، فشاقه وقعها ، وثقلت اليها نفسه .  
فالخيزران تتمايل اليه في طبل وزمر . ولس مبلغ شغفها بالفخفة . فتأبى  
الا ان تضارعه في أبهة الملك . على انه لم يغضب ، ومجيء الخيزران اليه

اعاد الى نفسه منشور السكينة. فما يساوره التعب والقلق الا وهذه الرابعة بصيحه تقيم منه على خصام

ونض لها وقد امت باب البلاط . بل هو مشى اليها ، وقد توسطت ابوانه ، يعينها على الجلوس بجانبه ، في صدر المكان . قال يرحب بها بمختار الالفاظ : ألا نعم البادية لعيني بدلّ وروعة . والله ، ما ان تلوحى لابي عبد الله حتى تغور وساوسه ، وتمحي اشجانه . فكأن العيش لا يصفو الا وقد نعمتُ منك بلدونة الوثام !

فراقها عذوبة المصالحة ، واعلنت بغبطة واجلال : مكاننا من الخليفة مكان الجسد من الهواء والماء . فاذا نجحنا عنا عدمنا الحياة . اندفعت الى امير المؤمنين في أبرّ تحية ، واندى بشرى . ونحن ، كما يعرف عنا ، لا نبغي سوى اعلان الطاعة ، وبذل الاكرام !

فارهف لها اذنيه فيما يستطلع بشوق : ألا ماذا تحملين الى المهدي من قشيب طريف ، يا منية النفس ، وبهجة العين ؟... أبيض بشواذي النجوى ! فالتفتت الى هارون وزبيدة التفاتة الاكبار ، واعلنت ببسة مشرقة : ليس لي الا ان اميل بامير المؤمنين الى الاستماع بمراى هذين الشاذنين البليين . اعتقد ان في طلعتها ما يجلو الشجن عن الحسير المفؤود . فماذا يتراءى لامير المؤمنين ونحن نعقد لابنه ، على ابنة اخيه ؟

فتأملها المهدي بفائق المسرة . انه ليستشق فيها عطر النعيم . وجلسا قبالة لا ينسان بكلمة ، مكتفين بخضيب البسات . وراق امير المؤمنين فيها التآلف والاتساق ، فاعلن : هما درتان في خاتم ، يا خيزران . فالقاسمة في كل منها تمة للآخر . فكأن لا غنية لبعضها عن بعض . كالعينين ،

والشفتين ، والحدين ، والبدين . اصبت في الاختيار والجمع ، والله . ان  
زبيدة هارون اشبه بالزهرة في الصدر . ألا اقتربا مني . حيا كما الله !  
فكما اليه يلويان في حضرته العنق . فامك بمعصم زبيدة ، ابنة اخيه  
جعفر ، وجذبها اليه ، وهو يقول : في قامتك شم ، وفي باصرتك موئل  
للنعمه ، يا ابنة اخي . ارى هارون هنيء الموئل وانت في حوزته ، تهين له  
الجذل والنصرة . جعل ربي اياكما مرتع خير وصلاح ، وافاض عليكما  
باليمن والبركة !

وقبلها في جبينها . واهدى اليها من بيت المال عشرين الف دينار ،  
مهرأ لها عن ابنه هارون . وقبض على ساعد هارون قائلاً بمستفيض البشاشة :  
أأنت من لقبك جدك ابو جعفر بالرشيد ؟ ... والله ، ان للرشد في جنانك  
ونهيتك مقراً . ما لاح لي منك غير الخضوع والهدى . فلا حرد ، ولا غنج .  
وهو ما يمنح بي الى الايمان بتوفيقك في كل خطوة . ارجو ان يحالفك  
السعد في العقد لك على ابنة عمك الفضلى !

واختبرت اساريه بالبهجة . فما اسى المشهد تغلي فيه الفتوة على كرائمها .  
والتفت الى الخيزران يقول : ان في الرشيد لطالع اقبال ، يا خيزران .  
سوف يتسع الرغد في عهده ، ويعمّ الجبور . اني لاثمته في حظوة العز سيداً  
وازناً ، خطيراً !

وضه اليه يعانقه ، ويتبين في ألواح كتفيه مكامن المنعة . فودت  
الخيزران لو خلع عليه ولاية العهد ، واستلها من ابنه الاكبر ، والريح  
مؤاتية . وكادت تذيع شهوتها . الا انها خشيت العودة الى المناكرة .  
وذكرت وصية يحيى البرمكي . فانثنت عن اضرام النار بعد خمودها .

واكتفت بالقول الرفيق : دام لنا امير المؤمنين سنداً نكتم عليه في ما يرفع من شأننا ، ويجود علينا بالقوة . هذان غصنان رطيبان في دوحتك الميلاء ، فتدبر امرهما بما ترى فيه صونها من الشدة . ما كان لهما ان يخافا جور الدهر ، وانت ترعاهما بسديد الحكمة ، وجزيل الحنان !

فنادى خادمه المفضل منارة البربري ، هاتفاً به : منارة ، عليك في صباح غد ان تنادي اليّ وزيرى ابا عبد الله الاشعري، كي ينشر على الناس، في وسعة دنيانا ، نبأ العقد لهارون الرشيد على ابنة عمه زبيدة ، ابنة اخي جمعفر . فالافراح ستدوم في بغداد شهراً كاملاً !

وصاح بالفتى والفتاة: هنبأ لكما ما نحييان من يوم أغرّ، وما يرقبكما من غد ازهر !

واستوضح الحيزران: أراضية أنت، يا ذات الأمانى الرحاب، عما أبرمنا؟ وضحك ملياً . فما لقيت غنى عن الموافقة . حسبها الآن ان تنعم برضى المهدي وعطفه لتسد عليه المجال الى خصومها . وبعد ذلك سوف تنفذ منه الى المطمع الانور . قالت : اني لراضية كلما منحني امير المؤمنين منه الرفق والسماح !

فادهشه فيها اللين في النبوة ، والاحتشام في النظرة ، وقال مفاكهاً : لكأني اراك تبدلت ، يا خيزران !

فتنهدت واطلقت لاشجانها جهير البيان ، معلنة : ان الزمن ليفرض علينا التبديل ، يا امير المؤمنين ، ما دامت يدنا قاصرة عن المرجى . والحمد لله على كونها قاصرة في عهدك ، وانت ذو شعّ بنا ، لا في عهد سواك ، فتعرونا الشماتة الذابحة !

وحوت لهجتها وكلماتها من مرّ الالم ، وسخّيّ التنديد ، ما زرع كل  
قسوة في كبد امير المؤمنين ، فتهف : وحقك ، يا خيزران ، لست بمن  
يريد لك في جلالك المنقصة . فانت ابدأ في متألق الرفعة ، سواء عاش المهدي  
او هلك . فلن أبقى تحتك سرير العز مصدوعاً ، ولا متقللاً ، بل يظل الامر  
امرك في كنفني ، وبعهد محو ظلي . لبشده الله ان ليس للخيزران في  
نفسى عديل !

فاذرت الدمع . أيجهل ما كان منه في ابنها موسى ؟ ... فهفا اليها يهوى  
على عنقها بذراعيه ، ويطفئ به صدره لهبة جزعها ، معلناً بتأثر لهيف :  
أتبكين ؟ ... ما كنت احسبك تبذلين عبراتك ، وقد اعطينك منى كل ما  
استطيع . أتميلين بي الى مغالبة الانصاف في ولديك ؟ ... ولكن هبي لي  
بعض ما يصون في ضيرى مناعة الحق ، ورجاحة العدل !

فلم يكن لها ان تكابر في ما يدعوها اليه ، والثمره لم تظفر حتى الساعة  
بجلاوة النضج . ورأت ان تسكت ، فلا تؤيد ولا تعارض ، وان تسكن ، فلا  
تألم ولا تنوح . يكفيها ان تخطو الخطوة الاولى الى قبر موسى ولبابة ، فتزفّ  
زبيده الى هارون . والايام طويلة لبلوغ الامنية على رحبها . فلن يجيب ، من  
يعتمد على الحنكة والتأني ، في اجتياز الطريق

بغداد تدرج على مستفيض اللذوى ، والبشر يموج في معارفها ويتوسد حوانيها . فالخليفة المعطاء ، المباسم ، يعقد لابنه هارون الرشيد على ابنة اخيه زبيدة . وعلا التكبير ، كأن في النبا ما يبهج القلوب ، وتترنح به الاعطاف ، وكأن فرحة الخليفة غبطة الدنيا

وجاوزت المسرة بغداد الى هرة الاقطار المترايمية ، المستظلة العلم العباسي الاسفع . فان نجائب البيت السائد لتنزل جوارح الرعية بلسماً وسلوى . وشخصت الابصار الى البلاط ، والجذل يطفو عليها ، ويمتد الى اعماقها ، فيلهب فيها النشاط ، كأن الخليفة الطروب نفخ عدواه في كل نفس من نفوس الامة المنحنية في عطفه ورضاه

وهفت الوفود الى القصر، والى صرح «اساس» ، تؤدي فروض التهنئة . عاش الاميران الفتيتان في ظل امير المؤمنين . ولهارون الرشيد ، الليل العين واليد والمبسم ، مودة في الافئدة صدفت عن اخيه موسى الهادي . فاندفع القوم الى مجاملة الخيزران، محور العقد، متهاككين على ابداء الجبور والتبريك . هذا يوم صفا فيه العيش ، وطاب المرح . وليس في بغداد من يجهل سلطان الخيزران الباذخ ، واثرا الركين في نفس المهدي . بل ليس في الرحبة العربية ، على مديد وسعتها ، من لم يلمّ بالحزازات المستفحلة في البلاط . فلا موسى على مذهب اخيه هارون، ولا الخيزران على هوى ابنها البكر . وهمس ذور الرأي والنظر ، وفيهم الحففات من المتخابثين : ما اقدم على عقد هذه الصفقة غير الخيزران . ومناها ان تصدم لبابة باختها



زبيدة ، كما صدمت موسى بشقيقه هارون . فهي تحاول ترسيخ ولاية العهد في الرشيد ، وسلخها من الهادي . فالأوتار في البلاط على فوران . والمهدي تتجاذبه قوتان جيّاشتان لا تلتفتان الى مهادنة ، وقد نبا عنهما كل لين !

ومال الظن بالكثرة الى ترجيح كفة الخيزران ، وما كانت لتشيل في نزال . فالسيدة المتغلغلة ، في خاطر امير المؤمنين ، تملك النصر في المناورة . فان يكن ابنها الهادي صلب المكسر ، فستعاربه بهذه الصلابة الناثئة فيه . وتعرضه على عين ابيه غضوباً ، ارعن ، فظير الرأي ، مقوضاً ، لا بانياً . وندّ عن هؤلاء المعالين في التخمين ان نمة لبابة وحسنة ، وان للثنتين بعض الدالة على امير المؤمنين . فاذا رام ارضاء الخيزران ، فلن يتجاهلها . ولللبابة من الفطنة ، وقوة البادرة ، ما يرضى عنه المهدي . ولحسنة من سوّد الفتون ، ما يذكره ابو عبد الله بمستشفّ الخنين

وللبابة وحسنة نهدتا الى المؤانسة . فحال امرأة موسى الهادي ان تجمع الخيزران ، بين هارون وزبيدة ، لتناهضا وتكايد بعلمها . ففزعت الى الجارية حسنة ، السيف المسلول ، تصاول بها الخيزران . وما غاب عنها اي مكانة لل تجارية المغناج ، الجليلة الصبحة ، من امير المؤمنين ، وهي تلو الخيزران في أسر اللب ، واجتذاب الشهوة . وحسنة ، وقد اغضبها ان يتناساها محمد المهدي ، بعد تلك الليلة العابقة بجميل المخالصة ، لم تمسك عن الاغاثة . فاستطابت التحالف ، ليقينها انها لن تقهر الخيزران ، وتخزيها ، بسوى مناكحتها في اكرم بنية عليها

وعالنت لبابة ، وقد ضمها مجلس تمهدت اليه السبل ، بقولها الناضح بالضعف : لا ارى هذه الجشمة على اكتفاء ، وقالك الله الطمع . فكل ما في

هذه الدولة السامقة، من عز، وجاه، وخير، لها. وقد حجبت امير المؤمنين،  
تأبى الا الاستئثار بكل تليد وطريف. وليس لسواها الا ان بعض التراب،  
كانها وحدها تعيش !

وهذا الرأي في الخيزران، تبديه حسنة، لم يكن يشطّ عن نظر لبابة  
الى امرأة عمها المهدي، وأم زوجها الهادي. بل لم يكن يخرج عن آراء جميع  
من ازدهت بهم دولة العباسيين من ارباب الحصافة. كلهم قال في الخيزران  
انها تتونّب الى احتكار كل جليل. وافصحت زوجة موسى الهادي، وهي  
تكابد واخز الغيرة من اختها زبيدة، المقبلة الى مشاطرتها سنى البلاط، عن  
هذا المعتقد، معلنة بنقمة: ليس بيننا من تخفى عليه مطامع الخيزران،  
يا حسنة. فان هذه المنتبقة من الرغام تتوقد حيناً الى المعالي. ولقد  
ادركتها. على انها ما تزال تغص منها بيهاء يمضها ان يستمسك بها الهادي،  
وهو ابنها. هذا ابنها البكر، يا حسنة. غير انها تكرهه. ولست ادري  
ما يحملها على كرهه وقد حبلت به، وارضعته، وناغته، ولقيت فيه متعة  
ازدلاف الخليفة اليها. انها لتشتهي له العدم. فهل سمعت بوالدة تريد فلذة  
كبدها على الملكة؟... موسى لا يركن اليها، وهو يمت فيها سيطرتها على  
ابيه، وتدخلها في ما يعدو طورها. على ان سعيه لردعها عن طغيانها لا  
يجيز لها خنق عاطفة الامومة فيها. أتكون اشبه بالهرر، فتأكل اولادها؟  
فاوضحت حسنة بجفوة دلت على شديد كرهها لربة الامر الكشود:  
هذه امرأة تشدّ عن طباع النساء، ايتها الاميرة الحليفة. فنشأت لتكون  
رجلاً. بيد انها رجل يتكالب على الاثرة. وتجمع به اهاؤه الى الابتلاع،  
دون ان يصاب بتخمة. فالحسن والقيبح، والصلب واللدن، والحلو والمر،

تهضمه المعدة الطعون ، كأنها حبر الرحي . فعلى امير المؤمنين ان يسكب عليها مننه جمعا . وليس لسواها ان يبلّ ريقه بنضاعة . ويدهشي في ابي عبد الله هذا الاستسلام الاخرق الى امرأة تدفعها شهواتها الى الاستعلاء ، وفرض المشيئة . هل عبي سيدنا عن استباحتها المدى ؟

وتناثرت الاحقاد نبأاً جائحة . ولن تتلاشى الا يوم تتلاشى الخيزران ، وتبيت جيفة في رمس . قالت لبابة : ولكفي سمعت عنك ، يا حسنة ، انك تتكئين على وسادة الدلال في رضى الخليفة ، وان امير المؤمنين يجد بجانبك وثير الرفاهة . فما بك تتمللين من البرودة... هل استطاعت الخيزران ان تسلبك ما يتلظى في ابي عبد الله اليك من لاجع الحنين... هل وفقت الغريبة عن نبعة النبل ، لحبس دفقة الشغف ، الناهرة من سويداء الخليفة ، على الوقوف ببابها لا تعدوه ؟

فتأوهت حسنة ، وقد اذاب فيها الاسى متعالي الزهو . واطلقت الالفاظ مخضبة بالهفة ، فقالت : يتراءى لي ، يا ابنة الخير ، كلما ضمني المهدي بين يديه ، اتي نعمت منه بالقلب ، والنظرة ، والنهية . غير انه لا يكاد يرحل عني حتى ينسى . بسمة من الخيزران تودي بكل ما يجيل اليّ اتي بلفت من نفس هذا الوديد المضطرب الشوق . فلا يذكر حسنة الا وهو يدفأ بلهبة انفاسها . ومتى يذكرها... عندما يجانب تلك ، ويشيع عنها ملذوعاً بفطرتها . ولكن الاشاحة لن تطول ، وللخيزران اساليب في الجذب والعنبي لا تملكها انثى . فما ان يبرح هذا المثوى حتى تتلقاه ببشاشة واستهواء تمحو بهما من ذاكرته كل ما عرف عندي من لذة . فتخلق له جواً من المرح يذهل به حتى عن نفسه . ويبيت لا يرى في قلبه وعينه غير تلك الجائحة الى استعباد

الدولة العباسية وخضختها بما تنفت من إحن بين الاخ واخيه . أيشخص لك ان بسطة هذا الملك ، المتناهية القرار ، ستبقى في عصبة بني العباس ، والخيزران تثير الواقعة بين موسى وهارون ؟ ... لا ، يا ابنة الاكرمين ، هذه الدوحة الغضيرة لن تجبه ما سوف يب عليها من عواصف ، ما دامت الخيزران تضرم العداوة في القابضين على النواصي . والمفي على السدة الوثيرة تتقوّض دعائمها ، وعلى التاج يتدحرج عن الفرق العريق في النبل والمكرمة . امرأة التقطها البلاط ، من قارعة الطريق ، توشك ان تثلم وتلوي ما تعب العباسيون سمعين سنة في استعادته من غاصبيه . امس كان المهدي في مقصوري ، تغني له القيان ، وترقص له ذوات الطلالة ، فعاهدني على البقاء على كلفه بي . الا انه ما بصر بالخيزران تمس في عينيه حتى شغل بها عني . أتحمظ له الخيزران ومنضة من شعلة اخلاصي ؟

واغرورقت عينا حسنة . ولملت فيها حبات من الدمع ذهب لها بصيص تبينت منه لبابة شفاء الجارية في حب امير المؤمنين ، ونفرتها المستعرة من الخيزران ، الكارعة في ضمير المهدي حتى لا تبقي منه ثالة . وتألّت زوجة موسى الهادي لبؤس هذه الجارية الريّا ، المغبوظة على نعمتها ، وهي الشقبة في ما يخلع عليها امير المؤمنين من عطف ورخاء . واجلّت فيها حرقه الامسى ، فامسكت عن ان تهزّ سكوتها الحزين بنأمة . غير ان حسنة لم تطق الصت ، وهي المكلمة الحاطر ، فافاضت بالقول الجازع ، المتظلم : حدثته عن موسى الهادي ، يا ابنة جعفر . قلت : « ليس لامير المؤمنين ، لاسترضاء امرأة ، ان يرجع عما اقرّ . والا استهان به ذرو اللب ، ورأوا فيه سيداً لا يملك امره ! » . فعالني ان كلمة جهر بها لن يعدل عنها ، وللخيزران ان

تتعامى مجاولته في ولاية العهد اذا شاءت ان تنها بنعمتها . ولست ادري ما يكون منه ازاءها بعد التفرير بالعقد لهارون على زبيدة . فما هذا الزواج ، تتوفر الخيزران على إحكام عروته، في مصلحة هارون ، يا ابنة الهداة . بل في مصلحة الخيزران نفسها . فهي من تزوج ، لا هارون ولا زبيدة . جمعت بينهما كي ترقى بهما الى طلبتها . فان هارون لحاتم في خنصرها . وزبيدة ابنة أمة نظيرها . فلا تلقى منها ما تعاني فيك وفي زوجك من ازورار . على ان هذه الوثبة ستتحطم بها رجلاها . بنفسى ساحول دون الطماح الوقيح . فليست الخيزران الدولة العربية باسمها كي تسود على هواها . فالمربوءة عدت طورها بمراحل شاسعات ، وما زالت تلجّ في التماس الارحّب . فما تعقد لهارون على زبيدة الا لتطاولكما في ولاية العهد، وتعزلكما عنها . فاحذرا لسعة العقرب . انها لمتنفخة بنقيع السم !

فارجع لبابة ما ترجي اليها الجارية المنيفة . على انها لم تكن نجعل ان حسنة تفضي بالواقع اليقين . فالصدق ما تبدي . لم تقدم الخيزران على العقد لهارون على زبيدة لارضاء القلبين المستهامين ، بل لتضم موسى ولبابة . فاذا عالنها المهدي ان ابنه موسى تزوج لبابة ، ابنة اخيه جعفر ، قالت : «ولكن هارون تزوج زبيدة اختها ، فلماذا ايثار ذاك عليه ؟ » . وايقنت لبابة ان المناوأة خرجت من الظلمة الى النور ، وكشفت عن جبينها العريض تنضض جهاراً . قالت : لسنا غافلين عن اللؤم الغاشي ، يا حسنة . وانا لنندّ اليك يدنا لنستنجد بك على الخيزران ، وما تخفى علينا منزلتك من امير المؤمنين . وانت تعلمين ان في فوز الخيزران قهرك ، وافول عزتك ، وفي اذلالها سعدك ورفعتك . فكوني عوناً لنا عليها ، والغنيسة قسمٌ بيننا !

ففاضت حسنة بصوت اجتهدت في دفع البعة عنه، فما اوتيت القدرة:  
لن اتردد في دره الفاشية . فلا بد ان يقبل اليّ امير المؤمنين فتكون بيننا  
وقفه لن تخرج منها الخيزران سالمة . ساحطها حتى لا تبقى منها جارحة في  
عافية . فلست عاجزة عن دهاثها ومكرها أسيطرهما على نية المهدي !

وفوجئنا بموسى الهادي . درى بخلوتها فاقبل ينضو عن احقاده الستر .  
وجلس ازاءهما وكل ما فيه على جفوة وانتفاض . هذا العيش لا يبيح له  
الهناءة . ما يزال في العشرين ، والاشجان توابه بعنف وسخط . كأن  
المقادير ناقصة عليه، وليس يعرف لها عنده ثأراً . فالقطيعة شاحطة الامد بينه  
وبين أمه، وما ترتضيه الخيزران ولياً للعهد، وقد فضلت عليه اخاه هارون .  
مع انه اكبر من هارون ، وهو ابنها البكر . فهل من أم تستنكر ابنها  
كأنها لم تلده ، ولم تخلع عليه من حنوها فضلة ؟

وتأجج الغيظ في الهادي، الفتى السامق القامة ، المنيف القسامة ، المطلّ  
على الدنيا بأمال عذاب . دعتة القدرة المذركوب ولاية العهد في دولة تكاد  
تنشر جناحها على الكون المستطيل، فعاندت امه الحظوة، تأبى اقرار الامور  
في مظانها . فهل من أم تقسو على ابنها حتى تحرمه السعادة والرفعة ؟

وشعر موسى بانه اساء الى هذه الام في طماحها . بيد ان الاساءة لم تبدر  
منه الا وقد سمعت الخيزران لتقوده في مهب شهواتها . فرغبت في ان يكون  
بين يديها آلة صاء ، لا يبيد . ولا يعيد . وهو بما تتمرد عليه نفس الفتى  
الحرّة ، وقد رام اعلان مشيئته غير مبذول المقادة . فان تكن امه ولدته  
عبداً في حشما ، فلقد طاش معتقدها . ففي هذا الابن من صلابة الرأي ،  
والاستقلال بالهزة ، ما لا يطبق فيه مكابرة . واستمر النزاع بينه وبين

امه . وخافت امه على نفسها من وثبته الفيحاء ، فاعتزمت اقصاه عن ولاية العهد لثقتها لشقيقه هارون ، المستنيم اليها في كل طلبه . ستخلع العاصي لتقيم المستكين . بيد ان المهدي صاول هذا الشوق الملح في الام العاتية . اما الآن، فهل يمضي في المصارلة ؟... الآن، وقد جمعت الخيزران بين هارون وزبيدة زوجين وديدين ، هل ترسخ قدم امير المؤمنين في رد لاجحة امراته الظلوم ؟

ما يقن الهادي أن اباه يملك مضاء الايمان في المكافحة . فلا بد من الزلتي في حفرة الخيزران . وهذه الحشية اقلقت في موسى رباطة الجأش ، فتطاولت فيه النزوات الحمر . وطاف في بغداد بوجه عبوس ، وعينين عمشاورين ، كأنه لا يبصر احداً من هؤلاء المستبشرين خيراً بالعقد لهارون على زبيدة . بل كأنه يبصرهم فيمضه ان يشاهدهم في حفيّ الجدل . ونأى عن بغداد يلتبس العزلة في الفيافي، فلا يبدو له خيال . على ان الوحشة نفسها لم تكن ترضيه ، كأنه لا يجد في دنياه ما يبعث فيه الانتعاش والتؤدة

ونظرت اليه امراته لبابة نظرة تنضح بالاسى . على انها خافت عليه من خشونة الالم ، فقالت ترفه عنه : وعدتنا حسنة بالنصرة . فهي معنا على الخيزران . وعاهدتها على تأييدها لدى امير المؤمنين . فتكون واياها يداً واحدة في درء الطغيان !

فجلجل من فم يعربرد فيه الضغن : هل من نكبة غشوم تعادل هذه النكبة ، فاجد في أمي عدوي ؟ ... لقد استشرى جشع الخيزران . فاذا سكتنا عنها طحنتنا بانباها المواضي . ومن الجبن ان نسكت . فان لم نكن على قدر المعالبة ، فلسنا على جدارة بالحياة . بات النزال بيننا وبين الخيزران

على ضوء وعلن . واذا لقينا في حسنة النجدة ، فلقد استندنا الى دعامة مكيئة .  
ومن الخير حسنة ان تقف في جانبنا ، وليس لها سوانا من اعوان امناء .  
فالمصيبة جمعت بيننا . غير انها ستجري بنا في التألف حتى المنتهى . نحن في  
كفة ، والخيزران وهارون وزبيدة في كفة . وسنرى ايها ارجح !

واطلق زفرة التهمك ، وجهر بامتعاض : أتريد الخيزران ان تحصر ولاية  
العهد بذلك المختث ، الاثلّ ؟ ... ألا من هو هارون ، هذا الرعديد  
الشبيه بالنساء ؟ ... انه ليلتق بالحدور لا بالعروش ، بالاختباء في اذيال أمه ،  
لا بمخوض ساحات الطعان . شفرة السيف تذهب عنه بالرشد . فيبيع حيا لها  
كانكد جبان . هذا خشي ينبو عن فعولة الكماة !

ونض يمك بقبضة حسامه ويهدر زاعقاً : والله ، لولا حرمة الامومة  
والاخوة ، لانقضت الساعة على الخيزران وهارون اذري منهما الانفاس !  
فنهضت اليه حسنة ، وقد راعها فيه بهاؤه ورجولته ، وقالت وهي تنشر  
في منخره فوح طيوبها : لا تقضب . لن نكرهك على امتشاق الحسام ،  
وسنكفيك اذى شانتيك . فلا الخيزران ولا هارون يقويان فيك على احراج .  
ان يكن امير المؤمنين يجاريهما في عقد الزراج ، فلن يوافقهما على ما يرومان  
من ايلام . ولاية العهد لك على رغم الكارهين !

فنبه ، وما زال على احتدام : الزواج المعقود يبيت لنا الدواهي .  
فالخيزران تمضي فيه الى بغيتها الفاجرة . هي تريد ، وقد زفت زبيدة الى  
هارون ، ان تعدله بي . والمهدي قد يلين . أتجهلين المهدي ، يا حسنة ؟ ...  
متى كان يتاسك حبال المرأة الجباشة الجبروت ؟ ... اسمعه يقسم بالمحرجات  
على الثبات في ما افضى به . وما ان ينفش في لحظة خيال الخيزران حتى يلتوي



عما أبرم . واخشى ان يقف في ولاية العهد وفتته من كل ما تنهد أمني الى التدخل فيه . فيعزلي بعدما اقرني . وعندذاك ، يا حسنة ، لست تدرين ما يكون . وانا نفسي لا اريد التفكير في ما سوف يكون . على اني ، والله ، ساعدت في الخلافة سابقة خطرة لا ارى الوجه العربي الصحيح يطمن اليها . والدافع الى الاضلوة امرأة رعناء ، ورجل ضعيف . امرأة تنزع الى الخروج عن حدها كامرأة . ورجل يغلبه هواه . فلا يستسك ، حبال عاتية هوجاء ، بالرأي الاصيل !

فجلجت حسنة : تبا للمرأة المستسلمة الى الطامح الاغلف . فما كان اجل الخيزران لو عقلت وعدلت . الا ان نظرتها الى الدنيا تعدو كل امد . هي ، ثم العدم . فليس بعدها لروح حساب . ولست ادري كيف يبيع امير المؤمنين امره لهذه الطامعة في حجب الجميع عن برّه ، وحنانه . على اننا سنتعاون على بتر العود الاعوج . انت ولي العهد ، لا هارون . لا كانت حسنة ان لم تذلل لموسى الهادي كل حائل عنود !

وقالت لبابة والغيرة تلسعها ، فتبدد فيها طول الاناة : علينا بان نسرع في التبديد . فنظهر للمهدي أن الخيزران تريد بالدولة شراً ، وهي تجهز هارون لمنصب الخلافة . ومن الضرورة ان يسقط ، في ظن أمير المؤمنين ، أن تدبير زوجته الاثيرة يهد للفرس في دنيا العرب ، وأن يجيى البرمكي هو الموحي والمنظم ، انتصاراً لدم ابي مسلم الخراساني ، المندثر بحسام جدي المنصور ! فصاح الهادي ، وقد شاقه الرأي المعلن : أصبت ، يا لبابة . سنبلغ أمير المؤمنين أن الدعوة الفارسية تجول في البلاط جولتها الفتاكة ، وان يجيى البرمكي ، الموكل اليه امر هارون الرشيد ، احد اركانها الابرار ، وهو من

المنع الحراساني ، الناثر في الانتقام لابي مسلم ، على مكين صلة . ليكن المهدي على حذر . ولنا من حسنة اليد الصاعدة في البث والاعلان . فتذيع في سمع ابي عبد الله ما يبئت ، في ليل أليل ، الكارهون للعرب . دم أبي مسلم الحراساني يصرخ مطالباً بالثأر . وما العقد لآخي هارون ، على ابنة عمي زبيدة ، غير المقدمة للتقويض والنسف !

ورسا في طلعتة البشر . هذا كلامٌ يبقي في نفس المهدي الاثر الوجيع . بل يهز هذه النفس حتى يذهب عنها بكل أصالة وحلم . ونبر الهادي بطربه الميآد : ما رأيك ، يا حسنة ؟ ... أما اجادت لبابة إحكام النصلة ؟ ... انها لتخرق بها اكباد الحانقين وتصيهم . فالمهدي لن يرتضي التأكيد ، وهو الفيور على سلطانه ، غيرته على دينه وحرمة . فما ان يلقى اليه ان الخيزران تنتصر للدعوة الفارسية ، حتى يخلعها عنه ، ويجبسها في صرحها ، ويقم عليها نطقاً متمسكاً من الارصاد . فهل لك ان تتولي ايغار صدره عليها بما تروين له من مشاينها ، ومن دسائس يجبي البرمكي ؟

ووقعت أعين الهادي ولبابة على شفتي الجارية البانعة الطلالة . أتوافق ولي العهد وامراته على الطلبة الوعرة النهج ؟ ... أتملك الجراة ، وثمة الخيزران الداهية ، المترامية السيطرة على مهجة امير المؤمنين ، والواقفة بمن حولها على احتراس ، كأنها موقنة ان لها من خصومها وحاسديها قوة تسمى بها ، وتعكر عليها نقاوة الجو ؟ ... وبلعت حسنة ريقها . أتحاول ، وفي المحاولة خطر يتوائب مزجراً ، ولا بد فيه من التحطيم اذا زلت القدم ، وطاشت النبلة ؟ ولكن الاعين الاربع ، الراسية النظرات في مبسم الجارية الندي ، تلح في الاستطلاع . وتراوى لحسنة ان المجازفة لا غنية عنها ، والا ظلت حيث هي

من الذلة . فتسبها ابدأ الخيزران في مودة امير المؤمنين . وهو بما تضيق عنه الجارية المستميتة في الفخفخة والمجد، شأن الخيزران في السؤدد والطغيان . وجنحت حسنة الى التأيد. ستناهض الخيزران حتى تفنياها، او تفتنى . إما هي، وإما السيدة اللهم . فالاسترخاء يطبها ، ويحط من مكانتها . ولقد اخذت تحس بالمهانة تلطمها كلما نأى عنها المهدي، ليرتمي في موالاة أم ولديه، الهادي وهارون

— قالت حسنة تستطيب الاقدام على التهشم : سأقصّ على امير المؤمنين ما تشتهيان من ضروب التعريض . فلا محيد عن الخطوة . بات البلاط لا يتسع لي وللنهامة . فإما انا، وإما هي . اراني صبرت طويلاً على القهر المضني . في اقرب موعد سيعلم المهدي أن الخيزران ضيعة الفرس، وأن يجيى البرمكي ، نصير المنقح الحراساني الثائر، يذكي النار ليهدم الدولة العربية ، ويعيد الى بني قومه مجد كسرى، وأبهة الايوان . ما ان يبدو ابو عبدالله، في مقصورتى، حتى اطلعه على المكيدة المبطنة بالقدر والويل !

فاطربتهما الموافقة . ستنهه عنهما الخيزران الناهدة الى حرمانها روعة السيطرة ، ورحابة العز . كأنهما في خاطرهما حربة ناخعة . وجهر الهادي بمديد الابتهاج : عشتِ ، يا حسنة . ليس يخفى عليّ ما ستعرضين له نفسك من ملة . على ان الفوز يوقبك . فلا تخشي . نحن في جانبك على المدى . اذا نالك من أمي الحسف ، فلن نسكت عنها . وليس موسى الهادي بمن يكلّ عن مناوأة الخيزران ، والوقوف بها عن سعايتها وبذخها . فسيعلم جميع من تضمهم هذه الوسعة أن الظلم وخيم المرتع ، وأن من لا يشحّ بوجهه على اللطمة ، لطمته يذّ قاسية . لا ، وحقك ، ما الهادي بالقصير الباع ، ولا

الابله ، كي يطفىء الرأس لامرأة يقودها الزهو الالهوج . ليس موقفي من  
أمي بمختلف عن موقفك منها ، يا ذات القسامة . واني لاردد قولك فيها :  
« إما انا ، وإما هي ! » . فاني حليفك في الوثبة . لن يصيبك خدش الا  
وقد هدمت الدنيا على جميع من فيها . كوني على ثقة أيّدة بموسى الهادي ،  
المازىء بالبغاث والزرزير !

ورشح مقول لبابة بالبيان المطمئن : حسنة ، سنجيئك بالادلة على كون  
الخيزران تنصر الفرس على العرب . فما دام اذئاب ابي مسلم الحراساني يصبون  
الزيت على النار ، لزعة الدولة الناشئة ، فالفتن تتحفز للاتقاد في خراسان .  
والقوم ، هناك ، يرون في ابي مسلم صاحب الفضل الغلاب على اقالة العباسيين  
العثرة ، وإبادة الامويين ، اصحاب الامر في العهد المطوي الكتاب . فالاعتداء  
عليه ، وضرب عنقه ، بتحريض جدي ، ابي جعفر المنصور ، عدّهما الفرس  
تطاولاً عليهم . ففضبوا وانتصبوا منا على حقد فيّاح ، سنعاني وشيكاً مضه .  
فان هم رهبوا الشعب في عهد المنصور البطّاش ، الطاغية ، فانهم ليتجرأون  
عليه في زمن المهدي الحليم ، الرفيق . وليس من المستبعد ان يكون يجيى  
البرمكي على نواطؤ وهؤلاء السود الضائر . فيحوك للسلطان العربي احولة  
يخنقه بها . ويعتمد الخيزران آلة مسيرة في بلوغ المأرب الوجد . وهل لنا  
ان ننفي عنهما الدس والنكال ؟ ... انا اعرف الخيزران ، يا حسنة . انها  
لتبيع المهدي ، وما يرتع فيه من صولة ، لادراك مقصد من مقاصدها الباغية .  
فإن تبسط يدها للفرس في قهرنا ، فليس في البادرة ما يبعث على الدهش .  
اطلعي على سريرتها الدنيئة امير المؤمنين ، ولا يقلقك الخوف من الكذب .  
فما انت بالكاذبة ، والله . وما نحن بمن يجنح عنك وقد شددنا ساعدك .

فستقسم جميعا السراء والضراء. إن اخفقت ، فلن ننكر لك ، وسنجاهر باننا نؤيدك في كل ما أذن به منك ابو عبد الله . وإن تفلحي ، فالظفر لنا معاً ، وستنعمين منه بالحصاة الراجعة . حسبك أن تذلي نخوة الخيزران !

وبايعاها على المساندة . لن يجمعا في سبيلها عن جهد. ورأت حسنة ان لا تردد، فأوضحت: ساندفع ملياً في ما تدعوانني اليه . فالحاجز دون استقرارنا بعطف امير المؤمنين لا معدى فيه عن الانهار . فاحدث المهدي بما يقلل اعداءنا ، ويبيحهم لفتكة حمامه . فالخيزران تستند الى الفرس في مناكدة الهادي الضليع. وقد زخرف لها يحيى البرمكي محالفتهم ، كي تقوِّض الدولة العربية ، وفيها كتبت ولاية العهد لموسى . وتجاهد في انشاء دولة فارسية يقبض على زمامها هارون الركيك. هذا كله سيسقط الى امير المؤمنين . ولا احسبه ، وقد ذاع في سمعه النبأ ، الا سبهوي بشفرة منده على هامة الخيزران فيفرعها . ويحسم عنق يحيى بن برمك ، وهو من الزنادقة الكفرة . وإن ابي أن يصدقني، دلته على اللهبة المتصاعدة من احشاء خراسان ، تهدد بانفجار البركان . والا اجت له عنقي كي يستأصله . ولن اتمل من حلول نعمته بي ، وقد اصبحت بشوق الى الخلاص بما انا فيه ، إما بالموت ، وإما بالفلاح !

فصاح موسى ولبابة معاً : بل ستفلهين . فالنجم مكتوب لك . ان الفتنة لتندثر بالشبوب في خراسان . ولا نرى يحيى بن برمك ، ذلك الثعلب الحيث ، يريء الذمة منها !

ورعد موسى متوعداً : والا ، يا حسنة ، والا ايتها الروعاء ، الجديرة باحتلال قلوب النخبة من ارباب القدرة، كان لموسى الهادي ان يستعين علي

اربه بالقوة القاهرة . فاجمع اخواني ، واهجم بهم على امير المؤمنين في كبد بلاطه ، واكرهه على الرسوخ في ما اقرّ ، وعلى نفي الخيزران من بغداد، بل من المطئن العربي . فما للحية الرقشاء ان تخرج بالحق عن نصابه ، وتفتي بالظلم في دولة يدك الحيف والمدوان صرحها الاشم !

وارغى وازبد وهو المصاب بكبده ، المروّع في اغلى امانيه . وودّ لو استطاع ان يطاول الخيزران في أيامها ، وان يقف بها عن التشنيع عليه ، والنزول به عن مرتبة رفعه اليها ابوه . ولكنه ما يزال يصون هذه الام السؤوم من نعمته ، حرصاً على رضی المهدي ، المستمسك به في ولاية العهد . وانه ليخشى ، اذا ما نال من الخيزران ، الناعمة بعطف امير المؤمنين ، حتى لتكاد تقصيه عن تنظيم الامر في الدولة ، وتدير الاحكام برأيها الاغلب ، ان يتنكر له ابوه . فيعزله عن الولاية ، ويثبت فيها هارون . وما تمالك ان دمدم بغيظ مستفيض : ألا يكفي الخيزران ، وهي في نشأتها أمة مغفورة ، ان يرتقي الى سدة الخلافة ولداها معاً ، وان يسكت عن هذه الشهوة سائر ابناء المهدي ، وفيهم رهط من كرام النبعين ؟ ... الا انه الجشع . وهو بالوعة لا يملأها خضم . ان الخيزران لتكفر بنعمة اسبغتها عليها السماء ، في ليلة رضي فيها الله عن لا يجوز لهم ان يظفروا برغبة ، ولا ان يدركوا ذرة بما يتوهج فيهم من لاعج الطماح !

وشعرت حسنة بما يعرفه من ألم . واشفقت على نصرته بما تحاول فيه أمه من تنكيد . فهتفت تؤاسيه : لن ارقب ريثاً يبدو ابوك في مقصورتني ، ايها الامير بل ساندفع بنفسي الى البلاط استأذن على امير المؤمنين ، واسرد له ما اتفقنا على محادثته فيه . ولا ريب ان المواقف ستبدل وقد اطلع

المهدي على النيات الفاسدة . فنبلغ من امرنا ما نشتهي . ونقيم بنجوة من  
الخطر . اذا استطعت ان افق الساعة ، في حضرة ابي عبد الله ، فاني  
لانطلق على الفور اليه ، واوضح له الحقي !

فشاقيما هذا الاندفاع الجموح . قد تكون حسنة تمشي الى حتفها في  
الظفرة المجهولة العقبي . ومع يقينها ان الموت يرصدها ، لم تكن تحفل  
بالصرعة تجتاحها بعد كل ما عانت من احتقار الخيزران . فانها لتذوق ابدأ  
الموت ، وتلك القابضة على لب الخليفة تزي بها . فإن لقيت حمامها ، لآخر  
مرة ، فليس ثمة ما يقلق مهجتها ، بل تقفي في وثبة واحدة بؤس الغد  
الطويل . ومن يدري الى اي مهيع تقودها رثبتها?... ربما انقذتها من النكد،  
ودفعتها الى حيث تنهأ بما تعلق به الروح . على ان لبابة دعنها الى الاتناد  
معلنة : لا تدخلني على امير المؤمنين الا وقد مهدت لك اليه ، يا حسنة .  
فاذا ما فاجأته بالاستئذان عليه ، تراهى له ان غيرتك من الخيزران حفزتك  
الى الوشاية بها ، ويبجبي البرمكي !

فاوضعت حسنة : بل ان الارتباب بي يسطو على ابي عبد الله وهو  
يسمعك تستأذنين لي عليه . فيخالج ضميره اننا التقينا وتواضعنا على نفث  
الاباطيل . وليس من جميل الرأي ان يدري اني بكما على صلة ، وانا أُلقي  
اليه نبأ المكيدة . ساباغته بمتولي في حضرته كي يؤمن بان لا شريك لي في  
الرواية ، واني ما كدت اسمع بها حتى حملتها اليه !

فهتف الهادي : والحكمة في ما أعلنت ، يا حسنة . حرصك على هناة  
امير المؤمنين ، وعلى دوام عزه وسعده ، دفعك الى ارتياد البلاط ، والجر بما  
سقط اليك . وستقف بجانبك . ولكن دون ان نتظاهر باننا نلّم بما تنبئين

به الخليفة من فاضح السرّ !

واضطرت لبابة الى الموافقة على رأي الجارية الحضيف . عليها ، وعلى زوجها ، ان يتنكبا عن الظهور بمظهر المطلع على ما وقع في مسع حسنة من القواصم . والا بدت فوراً للعيون الدسيسة الزائفة البواطن والذبول . وانتقمت الخيزران الانتقام الذريع من السماء المخرقين . فتقبض على يديها على النهزة العارضة . وتنزع الهادي من ولاية العهد ، كما تنزع حبة من سبط . وتفري اياه بدمه . وتنهض بهارون الى القمة الشاخحة ، وما تهرب ان يزاحمه عليها ذو وكد . فكأن موسى ولبابة وحسنة ، وقد شاؤوا نفس الخيزران ، وهبوا لهذه المنتقمة القهارّة رجاءتها بسخاء . قالت حسنة : على كل منا ان يتجاهل الآخر . وليس لذي بيان ان ينسب بانه ابصرنا على خلوة . والا استنشقت الخيزران رائحة الكيد . وذهبت بنا ضحايا بلائمن . وهو جلّ ما تطمع فيه . فانها لتكرهنا جبيماً وتستحل دمننا . وقد تكون ترقب السانحة بنافذ الصبر لتزعزع ، في صدر المهدي ، رأفته بنا . فلتنتق غدورها ، وليست ترحم فيك آصرة الامومة ، يا موسى . وانت ، يا لبابة ، فلن تصون فيك تسلسك من رهط الكرام ، ولها عليك حفاظ وسخائم لا ينطفئ لها جبر . وكلنا لاحت لك ازدريتها . واطلت عليها اللسان في الحاشية . اما انا فانها لتري في سخنتي العدوة الجبيرة . وتميل الى سحقي بنعلها للخلاص من شبحي الديم ، ولي من مودة المهدي بعض النصيب . انا وحدي ساعرض نفسي لبقمة المقادير ، وأقف في حضرة امير المؤمنين لاجلو له الكارثة المتحفزة للانفجار . فاذا شعر بالتزوير ، دهمني عقابه دون سواي . وكان لي في النجاة من عبء الهوان عزاء . وان جاز فيه النبأ ، تقاسمنا الهبات والمئن . وكبنا



من غلواء الحيزران !

فقلت لبابة تفيض بجشية طارئة : أتربان أن نثقب سمع امير المؤمنين  
بالرواية المتأكة، وهو في خضيب رفاهته، وقد عقد لهارون على زبيدة?...  
أليس من الحنكة ان نثريث حتى تنقضي في البلاط الافراح ؟

فتأت عينا الهادي، وجلجل بغضبة العجول، الراغب وشيكاً في انقشاع  
الكدره: ولكن روعة الضربة في انقضاها على القوم وهم يحسبون انفسهم  
في طمأنينة . فتسقط عليهم وتبددهم في خفضهم وجذلمهم . ومن المحال ان  
يستفيقوا منها على هدى، وستجتاح نهاهم. ليعلم اليوم امير المؤمنين ان اعداءه  
يستأسدون تحت سقف بلاطه ، وانه يرقد على اجحار العقارب والثعابين  
المعششة في سريره. وكيف تلك القدرة على البسة، وخصومنا يتهادون على  
بساط الرغد والانس، ونحن نشقى حتى نكاد نلتوي في خطونا وحجانا?...  
لن نفوز الا وقد افيننا . والافسنظل نكابده احوال الضنى . وربما فجعنا  
باعز الصبايات !

وتصاعدت كلماته الاخيرة تنظلم . فهو يئن . قالت حسنة وقد ازدادت  
عليه اشفاقاً : لا تجزع . ساكون الليلة في بلاط امير المؤمنين، وقد جللت  
عنه الحيزران الى صرح اساس . وسابلق المهدي أن خوفي عليه شد بي الى  
حرزه الركين . وأثثل في وعبه النبأ . رلك ان ترصدني لتلم بما اتفق لي  
في حضرة ابيك. فان لم ابرح البلاط، فقد تكون نزلت بي الطعنة المصور،  
واني لاستودعكما الله !

وابتمت ابتسامه حزينة ، مبطنة بالوهلة، وسترحل عن خيرات مواع  
خضال. على انها رأت نفسها مكروهة على المجازفة، ولن يصفو لها العيش ما دام

خيال الخيزران يقف بينها وبين امير المؤمنين حاجزاً صفيقاً ، لا ينفذ منه نور ، ولا يأذن في فرجة . وليست تختمل هذه الشدة الناهكة ، المنقصة عليها متعة الاستقرار بكنف الحليفة المريء الظل . اجل ، بلغت من دنياها ما يجاوز الحلم . على انها ، وقد توقلت الى الهضبة ، واوشكت ان ترسخ في الذروة ، فانها لتلجّ في ادراك الاسنى . ولن تكت عن تدويخ من صدها عن المتنس . وما دامت الخيزران تحرض عليها ابا عبدالله ، فستعرض ابا عبدالله على الخيزران . فالمركر يداوى بمثله . وستكشف النهاية عن الكفة الراجحة . قال الهادي ، وقد آله ان تنمى اليه حسنة نفسها : ولكنك ستظفرين ، يا حسنة . فليس لمجتهد انهزام . ولا تنسي أننا في عونك . فلا نفرق عنك حتى الاجل !

فضحكت في نفسها من هذا الباذل لها العون ، وهو لا يملك القوة على مناهضة أمه في جيش ، ولا في عزة . وماذا يستطيع اذا اباح ابوه دمه عقاباً لها على نيمتها ؟ ... أيردّ عنها مكروهاً ؟ ... انه لحسير . بيد انها اعتمدت على وكدها وهزأت بالمقادير . فان اقصى ما سينزل بها هو حكم الموت . وستنحني ازاء قسوته غير متبرمة به اذا عدا عليها الاخفاق . فلن تتلف على شبابها ، ولا على اشراق سعدها ، وقد هصرت فيها الخيزران رفاغة البهجة . وكل ما تحنّ اليه ان تطلق نبلتها دون ان ترقب غوث احد ، وما تتكل على سوى ساعدها . فاذا دانت لها النعمة السامقة فازت من ايامها بما تستطيع ، والا فلا أسف على الدنيا . ونهضت وهي تججم : الليلة تسعان اخباري ! ولوت رأسها خيال الهادي . وصافحت لبابة وبستها الوجلة تنتشر في معارفها . واعلنت : الى اللقاء ... او ... وداعاً !

وما عليها اذا ودعت ، وربما تبصر ، لآخر مرة ، في وقفها الخاشعة ،  
هذين الوجبين البادين لها، وقد جمعت بينها وبينهما المصلحة. اجل ، لا عروة  
غير المصلحة . وهي في جهادها لاجلها تجاهد لنفسها . فلن يدركا الرفعة  
دونها . وتوارت من باب خفيّ دون ان تكون برفقتها احدى جوارها .  
فانسابت وحدها الى المجلس المكنون، وهي موقنة ان الاحتجاب مفروض ،  
وثة هدر دماء، وخطف ارواح. وضاعت في ازقة بغداد طائرة الى مشاها .  
وما اعارها شأناً كل من ابصرها في طريقها الى ميبتها ، وقد خلعت عليها  
اطماراً بالية تتنكر بها . فكأن نفسها تحدها بان الحيزران تقيم عليها العيون،  
وتحصي عليها كل نعشة تبدر منها ، حتى اطلاقا النفس . ودخلت المقصورة  
تسأل جاريتها سعدة ، الواقعة دون سواها على نيا براح سبدها الدار : هل  
من اقبل لزيارتي ، يا سعدة ؟ ... هل من خبر عن امير المؤمنين ؟

فاوضعت الجارية ببسة صافية : ما دقّ احدّ الباب ، يا مولاتي .  
فالسكينة تغمر المقصورة وانت بعيدة عنها !

فادركت القصة حسنة . ليس من يحفل بها والمهدي يدلل سواها .  
فكانها ليست من الاحياء . قالت بكاروي المضض : أعدّي لي زينتني ، يا سعدة .  
عليّ ان اشخص فوراً الى امير المؤمنين !

وانها لتصبو الى مضارعة صرح اساس في عظمته، وازدحام الوفود ببابه .  
فتعادل الحيزران في وفور الشهرة والجاه . وتحتل من امير المؤمنين النبية  
والبال . ولماذا تسبقها في الشوط أم موسى ، وهي مثلها أمة في نشأتها ،  
وليست تتفوق عليها في عذوبة ولا في وسامة ؟ ... ان من وهب الحظوظ،  
لهؤلاء الدارجين في الارض ، قد يكون وهب لها حظاً نضراً ، يحتاج منها

الى بعض السمي لنتمزق عنه الفشاوة ، وتنجلي الطلالة . وهذه الفشاوة  
تجاهد حسنة في شقّ برقها . فإما تكتب لها الفوز والجلال ، وإما تهوي  
حتى اعماق الحضيض  
أمة زربية نشأت ، وأمة زربية تموت . ان الالفدار كلمتها الفصل في  
توجيه الخطو ، وابرام المصير !

لا ينفك البلاط يعقب بشذا الجبور . فالعرس تتوالى مواكبه ، وتتكاثف حلقاته . ابن الخليفة ، وابنة اخيه ، في ابيه مظهر من اللدونة والالفة . ولقد وثبت اليها دنيا العرب قوافل ، تلو قوافل ، متقلة المناكب بالهدايا . فمن الهند والسند ، حتى الاندلس ، تقاطرت الوفود تلقي بباب امير المؤمنين رحالها ، وأحمالها . وما نصبت الاندلس ، ولا خلا المغرب ، من شيع تساند العباسيين ، وتقرّ لهم بالسيادة والامامة ، مع ازورار ارباب الامر فيها عن بغداد ، مبعث الشأو المديد ، والجلال العريض

وأحس ، في هذا اليوم ، ابو عبد الله محمد المهدي ، بالوهن يدب اليه لفرط ما احتشد ببابه من المهنيين والمزدلفين . فوصلوا الليل بالنهار في الدعاء والتبريك ، وتقبييل الارض بين يدي الخليفة ، الهائي بالرغد المنشور . ومال المهدي الى الرفاد يستريح به من عناء يومه . فأمر باطفاء الانوار في البلاط ، وبركون الجميع الى ساجي الغفوة ، يستمرثون نعيمها . فالافراح ستعود الى فورتها بعودة النهار المتحفز للوثوب

وسادت الغبشة ، وليس في بلاط امير المؤمنين بصيص نور . فكأن قصر الخليفة شبح يتضائل في كبد الظلمة . بل كأنه خيال يتقلص ، فيغيب . وتطوى معالمه ، فتغور . واقام بالباب الحرس . وطاف العس بالمكان يردون عنه العيون . وسكنت بغداد على مترامي بساطها ، كأنها في غيبوبة . بلى ، كان يتصاعد من احشاء خماراتها غناء وعريضة ، الا انها لا يجاوزان العتبات . ويمرج ، في الآذان الواعبة ، هدير الفرات ودجلة ، وما يفتأ

يصاول الآباد . والتمعت ، في منازل بعيدة عن دور السادة ، اضواء متوجرجة . كأنها على خبعل من نفسها . وقد ابت ان يلتهب فيها الزيت ، بعدما انطفأ في مشوى الخليفة السراج . فادر كها تمويم وغصة ، يكرهانها على الشحوب ، فالكسوف

وتواثب في الازقة والجدادات خيال مجتج ، يبت الهواء فاغم الطيب ، كأنه معطرة سيارة ، مسرفة في الجود . وحبا الى بلاط الخليفة ، وقد جرى على مقربة منه خيال آخر ، بادله الكلام لماماً ، كأن في نفسه ما يشغله عن هذا السائر بجانبه . ووقف بباب البلاط مستأذناً على امير المؤمنين . فتبرم به رئيس الحرس ، مع كل ما فاح منه من عابق الارج الشفيح . واستوضح بلهجة تنكر للسماح : أستاذن لك على امير المؤمنين ، وفي مثل هذه الساعة ، وقد نام ابو عبد الله نومة لا سبيل فيها الى ازعاج ؟ ... ألا عودي ، وفاك الله العثرة : من حيث اقبلت . امير المؤمنين ليس على أهبة للاصغاء ، حتى الى الخيزران ، على ما تستمتع به لديه من منيف اللحظة . باب البلاط لا يباح الآن لقريب ، ولا لغريب !

وما ندد عن رئيس الحرس أنه إزاء امرأة ذات خطر، وكل ما فيها يدل عليها . وما جهل ان هذه المرأة من ذوات السنى الباهر، والعذوبة المراع . ففي كلماتها رنة من استهواء . وفي قامتها بعث صباية . وفي عرفها اغراء . ولم يستطع ان يتبين ملاحظها والانوار منطفئة . الا انه ادرك، بثاقب بصيرته ، انه خيال روعة جاذبة ، اقبلت في الليل الفاحم تعرض مواهتها على امير المؤمنين . غير ان المهدي لم يتحدث عن طارقة في ليلته الذهباء . فكل ما اذاع انه ينبغي المبعوع الهنيء . فكيف يستجيز رئيس الحرس خرق الامر

المعلن؟ ... أيجبل ما يلقي من ابي عبدالله اذا روعه في يقظته السبوح ؟  
على ان المرأة - وما كانت هذه اللاطمة بخطوها وجنة الليل غير امرأة -  
لم ترهب شأنك المقال . فاوضحت بثقة جازمة : صارحه بان جاريته حسنة  
تدلف اليه في امر خطير ، لا بد فيه من عاجل الابلاغ . فهناك ما يجاوز  
السر والمؤانسة . ان في ما احمل اليه حياة دولة ، ومصير عرش !

فارتعد رئيس الحرس . بمّ تتفوّه صادعة الليل ؟ ... وخشع حيالها  
وقد عرفها . هذه من تتلو الحيزران في مودة امير المؤمنين . ولكن المهدي  
شدد في منع الناس من اطلاقه في غفوته . فليس حتى للمقربين اليه ان  
يدهموه بانتباهة . فكيف يتخطى رئيس الحرس النواهي ، ويفسح للجارية  
الفراء الى الخليفة ، فيوجع روحه ؟ ... ان غضبة ابي عبد الله ، على طيب  
سريره ، لتعدو الحلم

وارتبك رئيس الحرس . ازاهه حسنة الجارية المختارة . وما تقبل فيه  
من مهمة يتذر بمستفعل الغواشي . فان يكن الاقدام على ايقاظ امير المؤمنين  
بيلية ، فالسكوت عن اطلاقه على الفاجعة شرّ البلايا . ولم يرَ رئيس الحرس  
معيداً عن دق باب الخليفة ، مع كل ما سيناله من نعمة المهدي . فما دامت  
الدولة في خطر ، فكيف يتهاون في نشر النبأ في مسمع القابض على  
ناصرتها ؟ ... ولكن أنتطق حسنة بالبيان الصادق ، السليم ؟ ... واستفهم :  
أتبين حقاً ، يا حسنة ؟ ... أفتنعم باب ابي عبد الله واصبح بالفاجعة ؟ ...  
ان لم تكوني على بيتة بما تملنين ، فلا تلعي بدمي . انا ذو عيلة ، وموردي  
هذه الجمالة يتكرّم بها عليّ امير المؤمنين . أأفجعاً المهدي بالبلاغ الكاذب  
وانا احده بما تروين ؟

فابانت وهي تتعرق شوقاً الى رؤية ابي عبد الله : لن تنطق بسوى  
الصدق . افعل ، ودمك في عنقي . فالتبعة عليّ في كل ما يصيبك من غضب  
الخليفة . ثم ما لا يأذن في رقاد ، يا ابن امي . ان الدولة لعلى فوهة بركان ،  
فليحذر المهدي !

– وهل احدته انك ترومين المثل في حضرته لجلاء اليقين ؟

فضحكت من غباوته ، وقد اضاعت الوهلة روعه . وقالت بلهجة تنضح  
بالسخر : ألا ماذا جئت افعل ، في مثل هذه الساعة ، ان لم يكن في نبي  
الوقوف بين يدي امير المؤمنين ؟ ... حسبك ان تعالنه أني هنا كي يرضى  
عن مثولي بين يديه !

فمشى رئيس الحرس الى باب الخليفة وهو يرتجف ، ورجلاه تعاندانه في  
المسير . امير المؤمنين دعاه الى سد مدخل البلاط دون الجميع ، فكيف  
يستهن بالرغبة القاهرة ؟ ... على انه استند الى حنسة ، والى ما ينطوي عليه  
صدرها من نبأ فاجع . فسئس المهدي حبال ما تلقي اليه كل خروج على  
النهي الغليظ . واقترب رئيس الحرس من الباب على رؤوس اصابع رجله .  
هنا يرقد ابو عبد الله . وتنصت . هل من حركة ؟ ... وارتفعت يمينه توشك  
ان تدق . فنبت عنه الجرأة . انه ليحاول ما تتلاشى دونه الطاقة . وكاد  
يعود ادراجه . ولكن حفزه الى البقاء والانذار كون الدولة في خطر .  
وغالب نفسه على طرق الباب . وهوت يده على الحشب تدقّ دقات خفيفة  
لا ينساب وقعها الى أذن . فما سمع جواباً . فاعاد الدق بقوة امضى . لن  
يرجع الى حنسة الا وقد نبّه امير المؤمنين الى الرزية . ولهت ، كأنه يتسلق  
قبة . وعلا صوت يستوضح بنفرة : من ؟



فانخلع قلب رئيس الحرس . استبقيت الخليفة المهيب . فيا للويل ! ...  
واجاب بنبرة استخذت فتضاءلت حتى كادت تضهل : رئيس حرسك ،  
يا امير المؤمنين . جاريتك حسنة تستأذن على مولاي . أجز لها الدخول؟  
فتعجب المهدي بما يسمع . أتكون حسنة ، نظيرة حظاياها ، بالباب ترجو  
رؤيته ، في ساعة لا يتشهى فيها الاستماع الى ذي شجن ؟ ... ألا ما للجارية  
اللعوب تبغته في جوف الليل ؟ ... وساورته الخشية . هل من نكبة ؟ ...  
واستطلع : وما يهيب بها اليّ ؟ ... هل من شر يساورها ؟

فخشي رئيس الحرس الايضاح . قد يحنق امير المؤمنين ، فيتناول رئيس  
الحرس المسكين بما يزيل عنه بسمه النعمة . واكتفى الشقي بان يعلن : هي  
تقول انها تحمل الى مولاي من الانباء ما لا غنية فيه عن ابلاغ !

فارتعش الخليفة . أي أنباء هذه في حلقة الليل ؟ ... أليس في صدر  
حسنة بقيا من صبر ريثما يطلع الصباح ؟ ... وتراءى للمهدي ان الغيرة  
اضطرت في حسنة ، فدفعتها اليه شاكية ، عاتبة . وهزأ بضعف النساء ،  
وقد هاجتهن الغيرة . على انه ما لبث ان غفر لهن النزوة ، وهو منها في  
ابعد مجال . فما كان يحتمل سماع عاشق يتحدث عن هواه . بل لم يكن  
يرتضي ان يكشف شاعر عن صباياته في ابيات من الشعر . فالحب والغرام  
وقف عليه وحده ، هو ابو عبد الله المهدي ، الجالس على سدة الخلافة في  
ربوع العرب . فليس لامرىء سواه ان يهيم بانثى ، ولا ان يدركه الى الجمال  
نزراً من حنين . فالحسان كافة للمهدي . والموذات باجمعهما له . والا نقم ، لفرط  
غيرته ، على الوهان وتوعده . وليس له ان يعشق ذات مواهة ، والمهدي في  
بلاطه سيد الرقاب والقلوب . ومع فجاءة البقظة رضي عن الخطبة الواثبة

اليه في كبد الليل ، نجرّها غيرتها الفائزة. وقال وهو يتسم: لتدخل حسنة .  
فلن نجبها بمنع . انها منا لعلى سعة !

وانظرها ، وقد اضاء بنفسه في حجرته المصباح . وانقل رئيس الحرس  
الى حسنة يقول، وهو يتنفس بنشوة من ارتياح، كأنه خاض عباب الاهوال  
وخرج منه ظافراً : اسرعي اليه . اسرعي . ما ايقنت انك ترتمين منه في  
المقام المنيف الا وانا اسمعه يرحب بك في هذه الهدأة. كأن الطارقة احدى  
الاماني السان . والله ، كنت امسك قلبي بيدي لثلا ينتثر ، وانا أدقّ  
الباب ، وقد ابى علينا امير المؤمنين ايقاظه ، حتى اذا خربت الدنيا .  
ولكنها حسنة ، ساكنة الفؤاد ، فلا يعز عليها مرتقى، ولا تقفل دونها الجنة  
على ضيق درهما !

فلم تكن تانس بمديح . وألقت في يمينه صرة من المال وانطلقت الى  
ابي عبد الله تصحبها جاريتها سعدة . فرأت ألا تبدو وحدها في حضرته ،  
وهي تعلم ما يتوهج فيه من ملتهب الغيرة . فقد يعبّرها براحها مقصورتها  
في لقاء حرام ، ويزلزل بها الارض هادراً دما . ودخلت تنحني بين يديه،  
رتسلم عليه بخشوع رقة . فابتسم لدن تلالآت ازاءه فواتنها . وتعطرت  
بطيوبها حجرته الثرية التنضيد، المتوهجة بخالص الذهب ، في السرير، والحزائن،  
وقواعد الشموع ، والمصابيح ، والمقاعد . وبسط لها يده فتبركت بلشها ،  
وهي ما تبرح على خشوع ، كأنها لا تبدو حيال امير المؤمنين لشؤونها ،  
بل لامر يجارز الوله، ويفرض اليقظة والحذر. فاستطلعها ابو عبد الله بصوت  
يغلّفه الدهش ، وقد راعته فيها الرزانة المغالية في الجدّ : ألا ما بنا ،  
يا حسنة ؟ ... انك لتقلقين في نفسي هنامتها . هل من نازلة تخدش

بعواثها اسماعنا ؟

فالتفتت الى جاريتها تقول : بوسك ان تحتجبي ، يا سعدة . انظريني  
ريثا يأذن لي في الانصراف امير المؤمنين !  
فاغلق المهدي الباب ، وطوّق خصرها بيمينه ، وهو يقول جانحاً الى  
المزاح : أترومين الانصراف ؟ ... ولكن ستبقين الليلة عندي . والا فما  
جاء بك اليّ ؟

فسمت للافلات منه . وقالت ورزانتها لا تنفك ترسو فيها : ما طرقت  
باب امير المؤمنين حباً لنفسي ، بل حباً لمولاي ، ولدولة يسوسها !  
فاطلق فيها عينين جاحظتين . أما تزال جادة في الترويع ؟ ... وصاح  
بها بقسوة اهتز لها قلبه : طرقت بابي حباً لي ولدولة اسوسها ؟ ... ألا ماذا  
تحملين اليّ ، وبحك ، من بائس جهنم ؟

وكاد يلتهمها بباصرته المشتعلتين وهلة وحنقاً . لتفصح عما يسوقها اليه .  
فاجابت وقد رأت ان تصدمه فوراً بنبا الكارثة : سميت اليك في ما يقيمك  
على احتراز من اعدائك الطامعين في هدمك . في دارك من ينظم المسكايد  
للبل منك . فان للخراساني المقنع ، النائر عليك في خراسان أخذاً بثأر ابي  
مسلم ، شركاء في هذا البلاط ينصرونه عليك ، وانت عنهم في غفلة . وليس  
لمثلي ان تقف على النبا الهالع ، وان تسكت عنه . فوثبت اليك في الدهمة  
ألحّ عليك في اتقاء الدسيسة الجارفة !

فازدادت فيه مخاوفه . وزجر وقد تشنجت اعصابه ، وتضرم قلبه بالغاشية  
الدامغة : ماذا ؟ ... ماذا تعلنين ، لا ابا لايك ؟ ... أيكون للمقنع  
الخراساني انصار في هذا البلاط ؟ ... والله ، لازعزعن الكون بمن استحل

الجرأة الكفور . ألا من هم الاوغاد ؟ ... هل لك ان تستي ، بل هلا  
سميتِ ؟ ... اني لا قدر عليك النطق بكل ما تعلمين . فلست ارضى عن  
كتمان حرف بما تحفل به حوانيك !

وتطايير شظايا من سخط . وودّ لو يستطيع الانقضاض ، بمنع يديه ،  
على هذه الملوحة باسرار المكيدة المتقدمة تحت رقاقت من ساتر الرماد .  
فيقبض على الاحشاء ويذروها ، ليتمّ بما تبطن من غامض رهيب . وسرّ  
الجارية حسنة ان تكون هاجت فيه الحقد والبغضاء . قالت ، وقد اعترمت  
ان تجازف بكل عزيز لادراك الاعزّ ، او للانطفاء في حفرة والحلاص مما  
ينهشها من إحن : مولاي امير المؤمنين يعلم مبلغ اخلاصي له ، وكلفي به .  
فما كاد النبأ المصور يتأرجح في سمعي ، حتى هفوت الى البلاط لفضح الدسيسة .  
قبل لي ان ليحيى البرمكي اصعباً في الفتنة المحتمدة في خراسان !

فتولاه الجمود فيما تلتفظ باسم يحيى . ليس يعتقد ان لابن خالد البرمكي  
ميلاً الى هدم الدولة القائمة ، وهو يستمد منها القوة . فما لمع في رجبة  
السلطان الا وقد اسرف في موالاة العباسيين . فان تكن نفسه تحدته بالقضاء  
على مكانته ، فلينصر النافع في بوق الفتنة في خراسان . ثم ان المهدي ،  
بعدهما لقي من نفرة الفرس من العرب ، لدى اجتثاث هامة ابي مسلم  
الخراساني بسيف ابي جعفر المنصور ، فتر في الركون الى سادتهم المواليين .  
وكان قد اعترم ان يكمل الامر الى يحيى بن برمك . فيعهد اليه في شؤون  
الدولة ، كبيرها وصغيرها ، ليقضي في الجليل والحقير . واورشك يحيى ان  
يستوي في المنزلة السامقة ، في كنف المهدي . بل هو استوى فيها لبعض  
الزمن . الا ان سوء الظن - وهو من حسن الفطن - اهاب بالخليفة الى

الاتحاد. فجنح بجيبي الى الاهتمام بامر هارون الرشيد، واستوزر أبا عبد الله الأشعري . وما يخفى على المهدي ان حنين البرمكي الى الوزارة يأكله . بيد ان الزمن ليس بالمؤاتي . ولم يغب وفر الدهاء عن مجيبي ، النائم ريثا تدق الساعة ليستولي على الدفة . أما ان يستعجل الوقت، ويعرقل سير الامور، شوقاً الى السؤدد الحثيث ، فما يرتاب به امير المؤمنين

ولكن الحكمة تدعو الى التحقق بما تذيع الجارية . قال الخليفة وهو لا ينفك يسهو بما يطرق اذنيه : أموفنة انت ان يجيى البرمكي يغدر بي ، يا حسنة?... ولكنه ما فتىء ينال في حضرتي من المقنع الخراساني الارعن. ولقد عاهدني على ان يأتيني برأس المشؤوم . فكيف يكيد لي ويخدعني?... ان في ما تبلغيني اياه لشرّ ما يصاب به الجبل من ازمة . غير اننا نعوّدنا بمن نحسن اليهم نكث العهد ، والحث في اليبين . أما يجيى بن خالد البرمكي ... فلست اراه ... يقدم ... على الحيانة ... والنكر !

وافضى بكلماته الاخيرة متقطعة، لضعف ايمانه بما يأذن به . لا ريب ان حسنة متأثرة بما ينتشر تحت سماء بغداد من اقاويل تنبو عن الحلم . قالت حسنة، وقد ابت الا ان تستسك بما أبلغت ، كأن ما استنبطت وموسى الهادي ولبابة اضحى لديها حقيقة راهنة لا سبيل فيها الى دحض وبطل : ولكن من نقلوا اليّ الخبر لا يكذبون ولا يفترون . ثم ألا يجد امير المؤمنين، في العقد لهارون على زبيدة، مقدمة لانقلاب يطاول الدولة في مناعتها، ويمهد الى اتساع فتنة خراسان?... ارى يجيى البرمكي ينظم المكيدة بمصانعة تغالي في التويه . على ان ذوي الوفاء لا تفض عبونهم عن اللؤم المكتسبي نصاعة البراءة . ففي نية مجيبي ان ينادي بهارون الرشيد ، وهو صنيعته ،

خليفة في هذه البقاع المستظلة لواءك ، ليموت على العرب بكون الخلافة ما تزال فيهم ، وقد حلّ محل المهدي ابنه ، ويسير بالدولة الى حيث ارادها ابو مسلم ، فارسية صرفاً ، ويطمس كل اثر للعباسيين !

فأوغرت صدره على يحيى وهارون. ليس يخلو بيانها من خلبة الصواب . ولاح له في الخيزران نزوع الى المناكرة . فان مناوآته اياها، في عقد ولاية العهد لهارون دون موسى ، أمالتها الى مظاهرة الفرس ، كي تنجو من شبح موسى الهادي ، ابنها البكر . وتتمتع المهدي في قوله ، والهواجس تستيقظ فيه . فاعلن باضطراب سحيق : ان يكن ما تنبئين به حقاً ، يا حسنة ، فانك لتدفعيني الى مجزرة لم يشهد لها العرب مثيلاً ، وسادعو الى الفتك بكل فارسي . فابدأ بيحيى البرمكي ، والمقنع الخراساني ، وانتهي الى الفطيم والوليد . ولكن أعبيدي الرأي في ما تبدين . ربما كنت تتجنين على الابرياء ، وما يشوقني سفك الدم النقي !

فهمت ، وقد وضع لها انها تغلبت عليه : وابن التجني ؟ ... أنكون بعيداً عن انباء فتنه خراسان ؟... ألا ينتقل اليك عمالك ، في بلاد فارس ، ما يتسخض به الجو من كره ومقت للاقوام العربية ؟ ... ابو مسلم لا يزال حياً في مطاوي الصدور . ولماذا نار على الامويين ؟ ... هل نار عليهم لكونهم خصوم بني هاشم ؟ ... لا . ليس للخليفة الذكي ان تحده الحجة المتداعية الاسانيد . ما قامت قيامة ابي مسلم ، على الامويين ، لسوى كونهم من العرب الاقحاح . وأمضه ان ينتقل الامر من العرب الى العرب ، بركوب العباسيين سدة الخلافة ، فنهد الى احراج موقف ابيك ، ابي جعفر المنصور ، ليستتب له الامر ، ويمتلك السلطان في دولة خيل اليه انه بانها . غير ان

اباك قلم اظفاره ، وفلّ من غربه . فرهب الفرس ابا جعفر واستكانوا .  
اما وقد قضى المنصور، ومشت الخلافة اليك، فتجرات المطامع على التحفز،  
والانياب على التكشير . وقام المنع الحراساني يطالب بأخذ الثأر . ومن  
هو المنع الحراساني ، هل لك ان تعرفه ؟... ان هو الا ظل يجي البرمكي  
المخائل ، اللثم !

فارتبك . ربما كانت على علالة من صدق . هذه المفاجأة، بالعقد هارون  
على زبيدة، تفرض الروبة واليقظة . فكيف اسرعت الخيزران في الابرام؟...  
وكيف اقدمت على الموامة العجلى بعد القطيعة الكاشرة الناب ؟... ثمة ما  
يدعو الى ازاحة الستار عن الاحجية . فقد تنطوي على حفييل الشكوك .  
وليس ما يمنع الفرس ان يتعاضدوا بعد مقتل ابي مسلم الحراساني بسيف المنصور،  
وان يجاهدوا في الاخذ بالثأر ، وهم يحسبون انفسهم ارباب اليد الطولى في  
تقويض الامويين ، وتحرير سدة الخلافة من ظلهم البغيض . فما كان  
للعباسيين ، ولا للطالبيين ، ان ينتقموا من فاهريهم ، لولا السيف الفارسي .  
ومما بلغ الولاء من يجي البرمكي ، للبيت العباسي السائد ، فهل له ان  
ينسى انه فارسي قحّ ، وان في جلاء الكابوس العربي سؤدد الفرس ، ونشور  
عرش كسرى ، وبعث الايوان ؟

والتفت الخليفة الى الجارية المقلقة فيه صفو الخاطر يقول : نزعته من  
نفسى البهجة، يا حسنة ، في ما جهرت به من بلاء . والله ، ان يكن يجي  
ابن برمك ، ذلك القادر المنافق ، فما هو بالطويل العمر . سابطش به كما  
بطش عمي، ابو العباس، بابي سلمة الحلال . وكما ضرب ابي عنق ابي مسلم،  
سيصيب يجي مني . هي لي بعض الزمن للتفكير ، وفاك الله . مزقت عن

عيني غشاوة كانت تجعب عن بصري الافق البعيد !

وشغلته عن الاعتكاف على ملاطفتها . فهر في سهوم ، وقد انصرف باله الى انعام النظر في الحيانة العاصفة ببلاطه ، بل بعرضه ودولته . وكاد يثب الى حاجبه كي يدعو اليه رئيس شرطته للقبض على البرمكي . اما الخيزران ، وهارون ، فسبكون لها منه موقف وعر . الا انه تريث . فالعجلة مدعاة الى الندم . لا عليه اذا رقب طلوع الصباح . ونهض من مجسه ، وقد ضاقت به حجرته على فسحتها ، واخذ يجتاز عرضها في ذهاب ، واياب ، ماج فيها الحنق ، والاضطغان . ان يكن يرتبي في حجره الافاعي والتاسيع ، فيا له من خاسر ، اعمى !

وما برحت حسنة تنظر اليه بلذة من اجاد اضرام النار ، وهي ترجو ان يظفر الحراساني النائر بتأليب بني قومه على الخليفة العباسي ، وان يقهر قوات المهدي ، كي تتوهج في ابي عبد الله الضعيفة على يحيى البرمكي . وبودي به . ويجرّ الخيزران الى سهوة النقمة . فيطمس منها في نفسه كل اثر من ولوع وحلم . وتراهى حسنة انها الفائزة في النضال ، وان السيادة معقودة لها في حواني امير المؤمنين . وستنتظر ريثا ينبجج البكور . فالانباء المتطيرة من خراسان لا تدل على ان النائر الحراساني مهزوم ، بل تشير الى استناره ، والى احتشاد القوم في طاعته ، ونفرتهم من السادة العباسيين

وتكلمت الجارية فقالت بمصانعة تخفي ما تتقد به الاحشاء من غلّ : ما كنت ارغب في ايلام مهجة مولانا ، حفظها الله . الا انه السعي لالتقاء الكارثة اهاب بي الى الانذار ، في ساعة تنبو عن البيان ، ولاسيا بيان السوء . فعفواً عن اخرجت فيك غفوة الهناء ، يا امير المؤمنين !



فلم يجب . انه لعلى زفير يكوي الحجرة والخلق والشفقين . أنتنظىء  
فتنة الفرس ، في عهد ابيه ، وتمب متأسدة في عهده ، ويكون من ادناه  
منه ، حتى بات المؤمن على النجوى ، احد النافخين في ابواق العصيان ؟...  
اذن لقد استضعفه يجيى البرمكي . ولكن لا . سيعلم المفسدون انهم سيذهبون  
ضحايا مكابدم الحبيسة . فليس المهدي دون ابيه المنصور . ومال على حسنة  
يقول : ومن اطعمك على هذه القواصم ، يا حسنة ؟ ... هل استقيت انباءها  
من مورد مصون ؟ ... أخشى أن تكوني خدعتني ، وفي الخدعة ما يخرج  
بي عن الهدى . فاحذري أن تضليني ، وأن تدفعيني الى تحطيم من لا يزال  
لهم عندي بعض الكرامة . فالمعاقبة ستكون وخيمة . فاتقي الله !

فاعلنت بقوة في الاداء : لست افترى . فلو لم يكن مذيع النبأ بمن  
يقدرون عليّ الثقة بما يجهرون به ، لعدت عن الشخوص اليك في هذه الخلكة ،  
وازعاجك بالرواية الموجهة . فالمخبر يدعو الى الركون اليه . ليكون امير  
المؤمنين بما احده به على وفور يقين !

فاستطلع بفضول ملحّ : ومن هو ناشر النبأ ، يا حسنة ؟ ... هلا  
اوضعت ؟ ... بجيائي !

فاجابت تتحامى الافضاء بما يشدد عليها في ابدائه : ليس لي ان اضرم في  
صدر امير المؤمنين الحقد على ذوي الولاة . ولا ان اعرضهم لنعمة ارباب الطول  
والجلاء ، من امثال يجيى البرمكي . انا حاملة النبأ اليك ، وعليّ تبعته وحدي .  
فاذا بدا لامير المؤمنين اني على حق ، فصبي ان انعم برضاه . وان يكن  
ثمّة وشاية ، فلست اصدف عن احتمال ذبولها ، وقد حباني الله رباطة جأش  
زادها امير المؤمنين ، دام بقاؤه ، مكنة ورحابة !

فادهشه منها الكتمان ، وهتف : من هو الراوية ، يا حسنة ؟ ... من  
حقي ان افق على اسمه . أتخفين ما بنفسك عن امير المؤمنين ؟ ... اني  
لاهب بك الى الافصاح ، فلا تردددي في الجهر بما تعلمين . من هو الثقة  
الرائع في ايمانك بصدق مقاله ؟ ... هلا اطلعتني على امره ؟ ... لا تخاطبيني  
باللغاز ، ولست بمن يصبر على الاحاجي . فهاتي اسم فاضح المكيدة . اني  
لافرض عليك اعلان الاسم . هذا امر امير المؤمنين !

فصاحت نصدّ عليه السبيل الى المطلب: وحقّ الخليفة المفدّي، لن افضّ  
ختم السر . انا من اذاع النبأ ، وليس لسواي ان يعاني وطأته . فاذا شاه  
امير المؤمنين ازال عقابه بالمعلن ، فلينتقم مني . باتت حسنة تشهبي  
مكابدة الويل !

وتنهدت عالياً من كبد تغلي وتثّنّ . والنفت منها ابو عبد الله الى المرارة  
الكاسية معارفها ، فافلقته فيها الحسرة الشائعة . وما نمالك ان دنا منها يقول  
مبهوتاً : أروقتك ان تكابدي الويل ، وانت احدي الجواردي المرموقات في  
بلاط المهدي ؟ ... اني لاتعجب من منطلق الكابي . ألا ماذا السواك ان يتظلم  
منه ، وليس يبلغ نزفة بما تفوصين فيه من خير وتترف ؟ ... فانت تكادين  
تسبين الخيزران في نعمتي . بيد أنكن باجمعكن تتقلبن على جهود . فالفضل  
مغبون فيكن . اذا كانت حسنة ترتجي الويل ، وقد بلغت في بلاطي مشارف  
الاکرام ، فليس لمن هن دونها الا ان يلتمسن الاحتراق بنار الجحيم . هلا  
ذكرت من انت مني قبل ان تطلق شفتاك التأوه والتأفف بما هي فيه ؟

وتناسى حيال لوعتها ما اقبلت تعالنه به . فكأنه لم يسمع بان عرشه في  
خطر ، وبان اعداءه يهدونه بانه ، وبان الخيزران في قافلة هؤلاء المهديين .

قالت حسنة، وقد تناهت في ابداء الحرقه : أرى امير المؤمنين انه يساويني بالخيزران ، وهو يتجاهلني حين تظهر لعينيه ؟ ... ليس حظي منك سوى حظ البائس من دنياه ، بل حظ الهالك من الجنة . ففسرف في وعدك لي ، ولا تجود عليّ منه برشاش . فلقد صبت بركانك باسرها في بحر الخيزران . وماذا نالك منها ؟ ... انها لتكيد لك ، وتحاول محوك . هنيئاً لك تقدير الصنيع !

وافاضت بالتهكم . ليس يلقي من السيدة الاثيرة غير الاذى . وأرتج عليه . فما اطاعته شفتاه في دحض . وهل له ان ينكر انه يرفع الخيزران الى حيث يتضاءل الجميع ، بل الى حيث يتوارى الجميع ؟ ... وحار في ما يحفف به عن هذه المتسلطة مما تهون فيه من منقصة، الفيور من مزاجتها على قلبه الموزع الاهواء . فانه ليصرها بعينيه الاثنتين ، على نور الشمع والزيت ، تغور في شقاوتها ، وليس يقوى فيها على علاج حاسم . داواها بكل ما لديه من سرام ، فما ملك فيها القدرة على الشفاء . لقد كان يرقى بها الى مستوى الخيزران . ولكنه يقيم عليه القيامة اذا فعل ، والخيزران لن تغفر له هذا الاثم . وللخيزران سلطان على نهيته ليس له ان يتحرر منه . فهو دون هذا التحرر ، مع سماعه أن السيدة الاثيرة تكيد له بالاتفاق والبرمكي الزنيم

وتنهذ كما تنهذت حسنة . إنه لعاجز . بيد أنه قسا على نفسه في دره هوانه ، وجلجل : انت ابدأ في خاطري ، يا حسنة . فلن يسلوك ابو عبد الله . الا انها الضرورة ، يا ابنة امي . وانت تعلمين ما للضرورة من صلب الاحكام . فالخيزران لم تبلغ مني هذا الشأور ، الا وقد ولدت لي موسى ، وهارون .

هذان يكرهاني على ملاينتها . ولقد كنت منها في امسي على مستفيض الشف . لا اجد لها نديدة في وسعة الطلالة والجوى . غير ان هذا الحب الطامي استأثر به ولداي منها . وانها لتدري مبلغ حنيني اليها ، فتنضب سراحاً قاطعاً ، وتدرك مني شهوتها . فأنا لها لكونها أم هذين الاصيدين . واني لاسترخي في مودتهما . أما انت ، فاني اهواك لروعتك ونداوتك . فما الخيزران غير شجرة باسقة مثقلة بالثمار ، وانت نبتة خضلة تفتح نضرتها عن ازاهيرها الفواحة العبير ، اللدان . والزهرة الريتا ، تتعطر بها الانوف ، اشهى الى النفس من الشجرة المطاء ، على مواهة ثمارها وطيبها !

ورفق ، وهو القلق الضير ، لحبك البيان السني ، في سعيه لاختاد لاعج الغيرة في صدر هذه الملسوعة القلب ، الهائجة العاطفة . ولكن حسنة لم تهدأ ولم تطمن فيها نزوتها . قالت : ان ابا عبد الله لمبدع في صباغة الاعذار . الا ان النبتة الحضلة يدركها الجفاف ، اذا لم يتوفر على سقايتها زارعها . ثم ان للخيزران ، إن تكن تبدي حبال المهدي المودة والولاء ، مطعماً يحدوها على الظهور بالمظهر الحلاب ، وهي تجنح الى السيطرة الفاشة . بما ضجت من وقعه بسطة العرب والعجم . فكل من يتفياً ظلّ دوحتك ، الوارفة ، يجسد امير المؤمنين في حمى الخيزران ، لا الخيزران في فيه امير المؤمنين . وحفزا طماحها ، وقد صدمتها باقرار موسى الهادي في ولاية العهد ، الى زعزعة عرشك ، قهراً لك ، ونسفاً لسوددك . وانت لا تزال صابراً على قعتها . بل على قباحتها . ولست ادري متى تفتق من غيبوبة طالت عليك . أتكون متلاشياً في هوى من تنطوي لك على الكره والغدر ؟

فجرض بريقه ، وقد جف حلقه ففص ، وبربر : ألا يطلع الصباح ؟

وتوعد الحيزران . سيثقل فيها وفي يجبي البرمكي . اما الرشيد فانه  
لمكره على ما دعي اليه . بل جاهل ما يحاك لايه من دسيسة منكرة ،  
سيكون بطلها دون ان يدري . فيغد خنجره في صدر ولي نعمته بيد  
تلبس بيده . الا انه بريء منها . فهي يد الثائر الحراساني يديرها يجبي  
البرمكي . أف للسياسة ، كم تستحل الموبقات . فلا تتورع عن الميل الى قتل  
الاب بسيف الابن !

وكاد المهدي يثب ، على الفور ، الى قصر اساس . دم الحيزران بات  
مهدوراً . اما يجبي فيصلبه المهدي ، في صدر بغداد ، تأديباً للمارقين ،  
لمن يأكلون خبز الخليفة ، ويحفرون الحفر للايقاع به

ولكنه ملك القوة على الاصطبار . لن تفرّ الحيزران من بغداد . ولن  
يضرب الثائر الحراساني في هذا الليل الاليل الحصار على قاعدة الخلافة  
العباسية . فما يزال بعيداً عن العراق . وتعجب المهدي من نفسه كيف  
أوتي القوة على الاحتمال ، وثقة مكيدة لتشيبه ، بل لمحوه . وجفاه الرقاد .  
ولاح له نجم الهادي على وهج ، وسعد هارون على أفول . ونقم على الرشيد  
بعد سماح . سيحرمه كل جلال ، ويزري به . هذا ابن الحيزران المدلل ،  
ولن يكون في مودة ابيه خيراً من امه الماكرة ، الوغدة . اخطأ جده  
المنصور حين لقبه بالرشيد ، وهو الضالّ

واذا هدير يتعالى في كبد بغداد . واذا اصوات تتفجر بالهتاف الطروب .  
فارتعد المهدي . ماذا ؟ ... هل تتمخض بغداد بالثورة ؟ ... أيمشي اليه  
يجبي البرمكي في موكب هارون ؟ ... هل خاتنه الحيزران في عطفه  
ووجهه ، فاستباحث نقض بيعته في اعناق الجند ؟ ... اذن صدقت حسنة

الجارية الامينة. لم يبق له سواها في هذه الدولة العريضة، المسبطرة التخوم،  
من المخلصين . وصرخ صرخة ماد لها البلاط ، كأن صاعقة تهزه : ابن  
رئيس شرطي ؟

فاختلج منارة البريزي، وقد هالته الصيحة. ووثب الى المهدي يستوضح  
مرئاعا : ماذا ، يا امير المؤمنين ؟

فتصاعدت دمدمة الخليفة صخابة هلوغاً : ألا نسمع الاصوات المشؤومة،  
المقلقة احشاء بغداد في هذه الدهمة ، يا منارة ؟ ... ألا اسرع الى عبدالله بن  
عبد الملك رئيس شرطي ، واخلمه من رقاده . فالموقف يتنكر للهجوع .  
لا ارى المفاجيء غير المقنع الحراساني . فليضربه في قلبه . وليتقذني من  
بطره . ألا ابن انت من الشرطة والجند تلطم بهم النائر الرجم !

واختلط فيه الذعر بالغضب . فهو يستجير . على ان ابواب البلاط لم  
تلبث ان قفقت ، وان أضيئت الساحات والافنية بالمشاعل ، وان علا  
الحناف لامير المؤمنين محمد المهدي . فلم يصدق الخليفة اذنيه . أهتف له  
القوم وقد اوجس منهم شراً ؟ ... ألا كيف يهتفون له ، وهم القبلون الى  
خلعه ، ومبايعة ابنه هارون ؟

وارهف سمعه . والتفت الى حسنة المقيمة مثله على شده ، وكل ما فيه  
على ارتعاش . ما هذه الاضداد ؟ ... أيزحف اليه اعداؤه هاتفين باسمه ؟ ...  
أخدعة بموثة بباهر الطلاء ، بما تجيد تدييره الخيزران ؟

وحارت حسنة في التفسير . انها لفي ضعفة . هل وفقت عفواً للمرجوء ،  
فخدمتها الاقدار دون ان تكلفها مضض العناء ؟ ... وابتهمت الجارية .  
وهبت سمعها للضجة المستيقظة لها بغداد على بكرة ايها . فازت بمنشودها .

فالحيزران ترمي بسهمها قلب المهدي ، لتقيم ، في منصب الخلافة ، ابنها هارون . فكان حنة ملكت من حدة البصيرة ما اباح لها قراءة الغيوب . ولكن هذا الهتاف لامير المؤمنين اقام الجارية على خشية . أهتف للمهدي من يروم القضاء عليه ؟ ... وجعظت عينا حنة . فلا هي ، ولا امير المؤمنين ، يدركان اي غرابة تمثل في البلاط . واذا بعبد الله بن عبد الملك ، رئيس شرطة الدولة ، يندفع الى الخليفة صائحاً بمستفعل الجبور : البشري لامير المؤمنين . قبض رجاله على المقنع الحراساني الثائر ، واطفأوا نار الفتنة المندلعة الالهب . وكان ليحيى البرمكي اليد الحاسمة في قمع الشغب ، وقد رمى بانصاره في الواقعة يذلون المقنع الغليظ الروح !

فتفتح امير المؤمنين فيه ، وما برح الشده يسيطر عليه . فاين ما يسع بما ألت اليه حنة ؟ ... واستخذت الجارية . وارتجفت . لعبت بدنها . واحست بنصلة امير المؤمنين الباردة تبتز رأسها . فكأنها تلمس الموت يجمع كفها . ومال عليها المهدي بنظرة كاسحة ، ودّت بها لو ابتلعها الارض . واستجمع الخليفة قواه ، وقد عادت اليه الطمأنينة . واستطلع رئيس شرطته : أهو المقنع الحراساني يقودونه اليّ ، يا عبد الله ؟

– هو هو يا امير المؤمنين !

– وهل اعاني عليه يحيى البرمكي ؟

– انصار يحيى انقضوا على الثائر الارعن وخذلوه . وصال الجند صولته ،

وكبح جماح الشر . فالكارثة خمدت جبرتها ، والحمد لله ، يا مولاي !

فهتف المهدي ، وقد اضاء في طلعه البشر الانور : ألا مرعى للبرمكي

وللجند . ادخلوا عليّ بالثائر اللثم !

وأطلّ البرمكي ، بجلاله ، يقبل الارض بين يدي الخليفة . فما كان من المهدي الا ان انحنى عليه فرفعه ، وقبله في كتفه ، فيما تهوي شفتا يجيى على مين ابي عبد الله تبركان بلثما . وتكلم المهدي فقال بفرحة يانعة : سلمت يداك ، يا يجيى . ازدددت يقيناً بولائك ، وبوفائك . ابلغني رئيس شرطتي ما اقدم عليه رجالك في سبيلنا !

فاعلن البرمكي ، وهو يلوي رأسه في حضرة الخليفة : حرصنا على تأييد هذه الدولة الزهراء ، يأبى علينا ان نتهاون في الانقاذ . فكل ما يؤلم امير المؤمنين ، يفلق مهجتنا . وكل ما يسره ، ينزل منا في مستقر الانس . فانا المنادي بالعصيان في جوف موثله ، وخضدنا عزته . ودفعناه اليك بغتة كي تقيض بين حوانيك المصرة الدهاق !

وتواتر حسنة الجارية ، وقد لاح البرمكي في حضرة الخليفة . وما تواتر لسوى خوفها من ان يبصرها يجيى في البلاط ، فينقل النبأ الى الخيزران ، فتشدد المكايده بين المرأتين . عدا اتقاها غيرة المهدي ، وهو من لا يميز لنسائه ان يلقين على سواء خاطف نظرة . على ان كل سكبنة نأت عنها . وكل شعور بالحياة انظفاً فيها . سيلمّ بجدعتها ابو عبد الله ، ويقضي عليها . انها لفي النهاية من ايامها

وتولتها الغمة . وتعاطم فيها القنوط . فكيفما سعت للتفوق فهي عائرة . ورضيت بالموت . ليعصدها سيف المهدي . حان لها ان تستريح . ولم ترهب افتضاح امرها ، والرزوح بيأسها اهاب بها الى الرضى بانكد مصير . وتذكر المهدي ما روت له حبال ما تبصر عيناه ، فغاظه التذليل . لو اطاع هواه ، وحسنة تحدته عن المكيدة الزائفة ، لدحرج رأس يجيى عن مشواه ،



واطاح الحيزران . وانه ليتعجب من نفسه كيف حالقه الصبر ، وليس من  
عادته الاعتصام به ازاء المكاره . الا أن الحق أبى أن يحون . ولم يحقد على  
حسنة . اخلاصها دفعها الى افلاقه بما اضطرب به سمعها . على انه نعم على  
من نفت الفرية ، وودّ لو يعرفه . فما يهيب بحسنة الى كتمان الاسم ؟ ...  
أيكون المفتري من ارباب الكرامات ، فلا يباح دمه ؟

وقاد اليه رجاله المقنع الحراساني الناثر . فعدجه المهدي باحتقار ، واعتداد .  
ووثب عليه بمزق عن وجهه قناعه ، ويصبح به : أنت المدلّ علينا بجيروتك  
الاهوج ، ايها الزريّ ؟

ولكنه ما نضا الحجاب عن المقنع ، حتى تهيب . فهو تجاه رجل في  
الاربعين ، عبل القوي ، متطائر النظرات تهباً ، وقور الطلعة ، قد كست  
لحيته الشمطاء عارضيه ، وبعض صدره . وسطعت في اساريه عزمة الاقدام  
والسمو . وجد المهدي وهو يتأمل الهيكل الفارض الاجلال . فمن يكون  
هذا المتجرىء على امير المؤمنين ؟ ... وشدد المهدي من نفسه ، وهدر  
كاثراً : ألا من انت ، يا وجه الشؤم ؟

فنظر الاسير الى الخليفة نظرة الحق الفائر ، المشتعل اضطغاناً . وبلغ  
ريقه ونبر : انا نصير ذوي الحق المهذور ، والفضل المغبوط . وانت ادري  
الناس بما كان فينا من ابيك المنصور !

فصرخ به المهدي نفوراً ، معتكر العين : أنت من يدعي الدفاع عن  
الحق المهضوم ، يا ابن اللثيمة ؟ ... والله ، لادوستك كالتواة المفلوطة .  
اقتلوه !

فاستطال الفارسي في قيوده ، وقال بجرأة رهبا سامعوه : ليس العجيب

ان تبطش بي كما بطشتم ببناء اعمامكم ، وبانصاركم . بل العجيب ان تعفو عني . ولن تفعل لنقص في خلقك . وهي منة احمد عليها الله . هذه دولة قامت على الدم ، وستغيب في الدم . فمن يرفع السيف ، يضرب به الاعناق ظلماً ، يحدد هامته السيف . ولي بابي مسلم أسوة حسنة . فلا احسبك تجهل ما لقي من ثوابكم ، بعد كل ما بذل في بناء دولتكم . وهل كنتم السادة لولاه ؟ ... انه لغرور شاحط منكم ان تعتقدوا أنكم قبضتم بساعدكم المجدول على الناصية . فما استطعتم ، لولانا ، ان ترفعوا العين الى اقبال الامويين ، وقد استذلوكم تسعين حجة . ولكن اللوم علينا ، لا عليكم ، وقد حققنا لكم ما تخاذلتم عنه . رحم الله الظل الاموي على عسفه . فما ادر كنا رفقه الا وقد بسطتم علينا ظلكم البغيض !

فارتفعت الصبغات ، وقد تفلقت الاسياف في اغمارها : اسكت ، لا أم لك !

وهدر المهدي : اقتلوه !

فتنازعت النصال لا تعفّ فيه عن مقتل ، ولا تفسح له الى شبهة . فخرّ يتضرع بدمه ، ويملأ البلاط بمديد قامته . وهتف بجي البرمكي فيما تزو الابصار الى الجئان الحامد ، الاحمر الطلاء : لا أقيلت له عثرة . عاش امير المؤمنين !

وترحزح عن الصدور كابوس هاصر ، جثم بها في لمان ومضة ، فيما تفلت السيوف جمجمة الحراساني المشاغب . وعلا المتناف للمهدي . وتساقت الاعنات على الثائر الوقح . فالتفت الخليفة الى الحشد معلناً : سلمتم جميعاً ، يا اخواني . ودام بقاء السلطان العباسي الموفور العدل ، العزيز الأس .

احملوا هذا المزعج المقيت الى فناء القصر، واصلبوه عظة لكل من يستطيب  
اساءة الظن بقدرتنا !

فاكبّ الجند على الجثمان الساجي ، النزيف ، يرفعونه هيكلاً مغلّماً الى  
ساحة البلاط، ويدقون فيها الاعواد لصلبه . واوماً الخليفة الى يحيى البرمكي  
ان تعال . ودخل به الديوان ، ويحيى في اعتزاز ونشوة . سيفرقه امير  
المؤمنين في فيض من جزالة الاطراء، ونداوة الشكر، برآ في الحفاظ والولاء  
لا يذهب العرفُ بين الله والناسِ !

لم تسكن نفس ابي عبدالله ، مع نجاته من شبح الخراساني المتوعد .  
 فتراءى له ، في انتفاض القوم عليه في خراسان ، ما ينذر بسوء العاقبة .  
 فاذا هبت ريح العصيان ، في بلاد فارس ، اضحت في العراق اعصاراً ،  
 وفي الشام زلزالاً . وليس كل من يتوسد رحبة الدولة العباسية بالراضي عن  
 الاولياء . فان رهطاً ساس الامم المتململة من جور الامويين ، باغف بما  
 ضرب الامويون على رقابها من أنبار ، لن يحظى بعطف يكتب له الاطمئنان  
 في الاريكة . فالخفاظ الراكدة لا بد ان تستيقظ وتثور ، فتهدم ، وتهدق ،  
 لا تهاود ، ولا تهيب

والمهدي خشي اليقظة ، والثورة ، بقيام الخراساني المطالب بدم ابي مسلم .  
 ففزع الى الحيلة لثلاث تكرر الدواهي ، وتستشري الفتن . واني للعرش  
 ان يرسخ على دعامة ، والانواء تتجاذبه في كل سبيل ، والحصوم يقتحمون  
 خدره ، كأنه معبر مباح ؟ ... ان هناة البال لتفرض المضي في حصد  
 الرؤوس المزهوة ، والظهور بمظهر البطش الزاجر ، والا فلن ترسو الخلافة  
 في القرار المنتهية اليه

وايقن يحيى البرمكي ان ليس له ان يرقب الشكر ، وكل ما في اسارير  
 الخليفة يرشح بالنقمة والغيظ . وصاح المهدي بصوت غليظ يتهدج حنقاً : اني  
 لقلق المهجة ، يا يحيى . وما دعوتك اليّ لسوى ابلاغك ما سوف يكابد بنو  
 قومك من تشنيت ، وهم يحتمون الى نبش الدفين . وتربة ابي المنصور ، لن  
 ابقى فيهم على كبد خافقة . فليحذروا اثاره غضبي ، والا ألحقهم فوجاً ، تلو

فوج، بهذا المصلوب في ساحة قصري. فليس المهدي دون ابيه المنصور قسوة  
وتنكيلا. وان اكن جلوت لكم الحلم، فما محوت من نفسي الحثونة.  
فالسيف المغمد ما علاه الصدا. وهذا الساعد خليق بنثر كل هامة تتشامخ.  
ابن المنصور يتقد بروح من نجله. فاذا استهواكم ان يكشف عنه الحجاب،  
ذهب فيكم بكل عين مبصرة. اتقوا فكنتي. اثورة، وعلى المهدي؟ ...  
جاوزتم الحد، لكم الويل!

فارتبك بحبي، واهتزت جوارحه. أهذا ما يرتجي من اطراء وشكر؟ ...  
وتكلم ينافع عن سلامة طويته، وعن اخلاص الفرس، وافندائم العرش  
العباسي بالاكباد. قال وتهديد المهدي يفت في روعه: صان الله مهجة  
امير المؤمنين. اولئك الزعانف الجانحون الى الشذوذ لبسوا الفرس باجمعهم.  
فان معظمنا ليرى في العباسيين سادتنا، ويمجد في خلافة، يربح بمسندها  
ابو عبدالله، دعامة الايمان والعز. وكيف نتعاضد عن إمامة يليها خليفة رسول  
الله فينا، وننكر ارباب الدراية القابضين على مصائرنا؟. . لقي الجاحد  
جزاءه، يا امير المؤمنين. وعلى كل من ينهل من نبعته ان يغيب في مهواة  
تدحرج الوغد فيها. فاشهر السيف على المكابرين، واحققهم ببطشك العادل.  
اما ان يذهب الصالح، بجزيرة الطالح، فهو بما لم يقدم عليه المنصور كي  
يندفع فيه محمد المهدي. ان الدين نفسه ليأبى المساواة بين الاخبار والاشرار.  
فليقطع امير المؤمنين اعناق كل من بطروا وناهوا. وما ذنب المسالين كي  
تحرقتهم النار؟ ... فليست فارس باجمعها ابا مسلم. ولا المقنع الحراساني  
سيد كل من يثوي بهاتيك الاصقاع. فما يزال لابي عبدالله في بسطتنا  
خلصان وعبدان!

فدمدم عليه الخليفة المتماذي السخط : هذا بيان المضللين ، يا يحيى .  
 ارى لك في فنتة خراسان خيالاً يتأيل . فكأن المقنع الحراساني صنعتك .  
 انت أهبت به الى خلع دثار الطاعة ، والى مصادمتي بالافلاق . وحق من  
 نفخ فينا الارواح ، ووهب لنا الاحلام ، اني لاتبع النابل بالنبله ، واقم  
 الساعة في فناء القصر صليباً آخر . فلا يكون نصيبك مني اوفى من حظ  
 ابي سلمة الخلال من عمي ابي العباس ، ولا اسمى مما آل اليه ابو مسلم ،  
 وابو ايوب المورباني ، في عهد ابي المنصور . ألا ما هي صلتك بالمقنع  
 الحراساني ؟ ... هل لك ان تتضو عنها السر ، وان تكون صريحاً في ما  
 تبدي ؟ ... ان تكن تحرص على روحك ، فتكلم بوضوح ، والا ندمت .  
 ثكلتك امك !

وتطائر المهدي شرراً مجتاحاً . وخاف يحيى على نفسه من فورة ابي عبدالله .  
 هل دقت الساعة ؟ ... فكأنه يرقب ما صار اليه من سبقه في خدمة العباسيين ،  
 من امثال ابي سلمة ، وابي مسلم ، والمورباني . فالثلاثة بلغوا في الدولة العباسية  
 المقام السامق . وما ان استعلوا حتى حصدم المنجل الكاره ان يستكبر ذو  
 طباح . على ان البرمكي ابي الظهور بمظهر الحقيير المهن . فان تكن روحه  
 على وشك ان تطير ، فلن يستمين بالذل على استبقائها . قال بوضوح للخليفة  
 موقفه منه : ما كان يحيى البرمكي ذا وجهين ، يا امير المؤمنين . فانه ليدكر  
 فضل ابيك على ابيه . كما يقرّ بيدك الراحمة عليه . وليس لمن يرتع في  
 الحسنى ان يكفر بها . فاني لمن قوم يدينون لكم بالطاعة ما عاشوا .  
 ويستيتون في رضاكم حتى التضحية بكل اثير . واذا بلغ مولاي الخليفة  
 عني اني خافر للذمة ، فاني لاصارحه بان القائل يفترى على غرسة معروفك .

فهو من حشادي على نعمة امير المؤمنين تبلّ جوافحي ، وهنأ بها مشواي .  
اما ان يكن عطف ابي عبدالله ، انقشع عني عفواً ، وتبدل في صدره الودّ ، فها  
هو ذا عنقي . فليرحني امير المؤمنين ، بصلي ، من عبه ثقبيل لا اقوى على  
حمله ، ما دام سيدنا وإمامنا ينقم عليّ !

فتأثر المهدي بالجرأة الزاخرة بالولاء والشهم . ما اضطرب صوت يجبي  
البرمكي برعشة ، ولا بلعشة ، وهو يؤذي الكلام . فالصدق ينبض في بيانه ،  
وفي وقفته . على ان المهدي ابى الايمان بنصاعة ارواح الفرس ، فرعد :  
أتريد افناعي بانك بريء من فتنة خراسان ، يا مجبي ؟ ... ولكنها المقدمة  
لاستئثاركم بالعرش . فلا تزالون تحنون الى كسرى والايوان . وما العقد  
لهارون على زبيدة ، وثورة المقنع الحراساني ، غير الخطوة الاولى لهدي ،  
ومبايعة هارون بالخلافة ، وعودة الفرس الى السؤدد . فيقبض هارون ،  
بعض الزمن ، على الناصية ، ثم ترحلون من تحته السرير ، فيهوي الى حيث  
لا ترجى له نهضة . بل الى حيث لا ينتظر لنا جميعاً ان تقال لنا عثرة .  
وتستولون على الامر في دنيانا . وتذلون منا الرقاب . فيسي الحكم اعجبياً .  
ويندثر العرب . ورجاوة ابي مسلم هذه هي . وكأنها رجاوة كل ذي روح  
فيكم . ألا خستم . أتسمع ؟ ... والله ، ما انا بمن يلوى له عود . فاني  
لانثركم جباجم يأخذ بعضها ببعض حتى تسد المسالك . وتسي دياركم مقابر  
لا ينبت فيها غير العظام . ان لي من بأسي ، ومن جندي ، ما يذلّ فيكم  
الوثبة ، ويظفيء الحياة !

فارتعد يجبي البرمكي . باي خطاب يصدمه امير المؤمنين ؟ ... ولم يكن  
منه الا ان سجد بين يدي الخليفة . وانتزع من وسطه سيفه ، وعرضه على

المهدي يقول بلهجة المستسلم الى حتفه : سيدي ، ومالك روحي ، هذا سيفي ، فاقتلني به . اصبحت اكره البقاء والارتباب بي يعروك . لا ، ليس لي ان اعيش وثقتك بي تزلق عني . فان تكن تراني ذلك الغادر، فما اشهى الموت العاجل للخلاص من جفائك وسخطك عليّ . والله ، وحقك انت ، وتربة ابيك المنصور ، لو خطرت لي هذه الحواطر، لقتلت نفسي لثلاث تلطخ بالجعود . فلست ارضى بان احيا في وهم من الكفران بالجليل . ولا يدهشني ان يحسبني الرشاة على نعمتي لديك ، بل يؤمني ويجزّ في كبدي ان يصدق امير المؤمنين السعاية بمجاده الامين . قد تكون انتهت مهوتي في التوفر على ارضائك ، يا ابا عبدالله ، فاستأصل شأفتي ، وأرح لبك مني . لا مردّ لحكم سيد الامة وحامي الدين !

وحنا رقبته لضربة السيف . وراع المهدي هذا اللين في مؤدب هارون ،  
فنبر : ألسنت منظم المكيدة السافلة ، يا يحيى ؟

فازداد البرمكي انحناء . وقال بصوت عميق ، كأنه ينبعث من اكباد اللعود : عالتت مولاي باني اصبحت اشتهي الموت . فلينقذني من ايامي ، وقد انتفت منه مودتي !

— ولكني اريد الجواب اليقين . أما اتفقت والخيزران على هدمي ؟  
فارتعش يحيى وما برح منسدرأ في صوته العبيق : للحصاد ان يخلقوا ما شاؤوا . على ان من الجنابة على الحق ان يذيعوا عنا اننا نحاول هدم عزنا بايدينا . فهل لمن ينهلون من وفد امير المؤمنين ، ان يدهمهم الجنون، ويغمدوا في صدورهم مواضيمهم?... واذا جاز هذا الحق في يحيى البرمكي، فهل يصدق في الخيزران ، المستيئة في موالة سيدنا الجليل ؟



فصاح المهدي بحجة تنكر للرافة: ليس لناقل النيا ان يكذب، يا يحيى،  
وهو من لا يدرج في فرية ، ولا يستوي على اثم !

فجهر يحيى ، وقد ألقى امره الى المقدور : ما دام امير المؤمنين يجد  
الصدق في ما نفت الانكاد في سمعه ، فما به يقعد عن محوي ؟ ... لتفتح  
في الصباح بغداد عينها على صليبين في ساحة البلاط، فتتعظ وتستهدي . قد  
يكون في إرافة دم يحيى البرمكي ما يزيد في توطيد مسند الخلافة . فلتهب  
انفاسي فدى العرش ، يا امير المؤمنين . فالمخلص من لا يمك عن التضحية  
بروحه لاسعاد من يدين لهم بالطاعة ، ويقرّ بصنيعهم الحُصيب . حياتي هبة  
الله لكم . ومن حكم ان تندبروا كيفما شئتم امر ما تملكون !

فتقهقر المهدي عن غليانه ازاء هذا الفيض من الزلفى . وقال بعنف يحبو  
الى السماح : ألا انهض ، يا يحيى . لست ارغب في ان يذيع عني افي  
كاره للفرس . والا كان لي ان اززل بكم الارض ، وكلكم ينطوي لنا  
على شنيع الحقد ، مع سخائنا عليكم بالرتب والارزاق . واعلم اني ساقبس  
خطوك . واصفي حتى الى لهائك . فاذا بدا لي منك انك فاسد الطوية ،  
فلن انام عنك . سيظهر المهدي السيف لتأديب كل زنديق . والويل لمن  
تطاوله التهمة . وعليك ان تتقي محادثتي في اقرار ولاية العهد في هارون .  
ليحمد الله على ابقائي له احد اطرافها . فما ولي العهد المجلّي غير موسى .  
وابلغ الخيزران ان تمسك عن الكيد . فانا السيد في دولتي ، لا هي . حسبها  
ما بلغت من العزة . والا فلكل شعلة خمود . انصرف وامتنع من  
الاستئذان عليّ . فلست اطيق مرأى ارباب الضائر الزنخة !

فتمّ يحيى بلهفة موجعة : حبيت اليّ الموت ، يا امير المؤمنين . فلا

كانت الحياة في سخطك وقلقك . لا الخيزران ، ولا هارون ، ولا يحيى  
البرمكي ، خطر لهم يوماً ان يخرجوا على مسنون شرعتك . ارى الوشاة  
يمخرقون فيما ننام آمنين !

ونض وهو على انحاء . فقال المهدي بقطوب ومقت : لست بمن يؤخذ  
بجلو الكلام ، فدع عنك المصانعة . اذا ابيت' على يدي ان تسترسل في  
الاذية ، فما يصونكم من فتكتها غير رذاذ من اسفاق . فعاذروا ان يطفح  
الكيل . انصرف ، يا يحيى !

واهاب به الى براح البلاط . فتراجع البرمكي وبوده لو ملك القدرة  
على البيان ، تهالكاً منه على اقناع امير المؤمنين ببراءته من وشاية ذوي  
الافك . وتعثر بخطوه . وراعه ان ينال منه خصومه ، وان يخذلوه في  
عطف ابي عبدالله . فاشتعل ألماً واكمدت اساريره . من ينساب الى المهدي  
فيزخرف له النائم ؟ ... ولم يكن يحيى بمن أغلقت بصائرهم عن الادراك .  
فاستشفّ نعمة المهدي، وبدت فوراً لعينيه اصابع لبابة، زوجة موسى الهادي.  
فان لبابة لذات دالة على امير المؤمنين . ومن مصلحتها ان تفسد عليه رفقته  
بهارون ، وبالخيزران ، وبالبرمكي ، ونمة نزاع على ولاية العهد . واحس  
يحيى بانتصار المناوئين عليه . فوقعوا من نية الخليفة موقعاً لم تبلغه الخيزران  
على غلواء شأوها . ولم ينطلق البرمكي الى منزله ، ولم تكن تطيعه قدماء  
في الشخوص الى مغناه ، مع قلقه وانكساره . بل اندفع الى قصر اساس  
يطرق بابيه ، ويروّع النيام

والقصر استفاق على الضجة السائدة ببغداد، لما جيء بالمتنع الحراساني الى  
الخليفة . ثم لم يلبث ان غفا وقد استجلى النبأ اليقين، ووعد نفسه بان ينهب

الصباح الى امير المؤمنين في بث التهنئة، والدعاء بالنصر الكليل. وراعه هذا  
الطرق بالباب. واشتد به الروح وهو يأذن بان يجيى البرمكي يلتمس المثل  
في حضرة الخيزران . فماذا في جعبة يجيى ؟

واستيقظت الخيزران على وهلة . واضاءت في حجرتها النور. وما اطلت  
عليها البرمكي، بلاحه الحشبا، حتى لمست المول. واستفهمت بعينين ومضت  
فيها دمامة الرهبة : ماذا ، يا يجيى ؟ ... هل من ملمة ؟

فاستجاز في حضرتها الجلوس ، وقد نادت به ركبته . واعلن وهو  
يلث ، وكأنه يجتنتق : نجوت من سيف امير المؤمنين باعجوبة . لا ريب  
ان امي صلت لي في ليلة القدر. فقد نمي الى المهدي اننا نكيد له، ونحاول  
زحزحته عن السدة . فعرضت عليه سيفي وعنقي ، كي يريجي من دنيا اشقى  
فيها، ما دام يرتاب بي. فدعاني الى الانصراف وهو يعن في تحذيري من اللعب  
بالنار. واي نار نلعب بها ، يا ذات الجلالة ؟ ... ابو عبدالله يري اننا اعوان  
المقنع الخراساني عليه . فيشوقنا ان ننسف به العرش لتقيم عليه هارون ،  
تمهداً للفرس الى استعادة خطرهم . فهل عرضت لنا هذه الدنيا في بال ، زاد  
الله في رفعتك ؟

فهتفت الخيزران بغضب صخّاب : أيؤمن المهدي بلثيم الترهات ؟ ...  
ولكني اعتقده يُجَلّ عنها . فمتى كنا له على كره ؟ ... ألا من انسلّ الى  
خاطره بالوشابة الفاجرة ؟ ... ادميت قلبي ، يا يجيى . أما اتفق لك ان  
تقنعه بانه مما يتوهم على شطط ؟ ... اني لمنطلقة اليه الساعة اعاتبه في سوء ظنه  
بنا . فهل لثلثنا ان يخلع عنه رعاية المهدي ؟ ... اري لموسى ضلعاً في ايفار  
صدر ابيه علينا . تباً للاولاد العققة ، كم نجني من مشاينهم الويلات. أرايت

ما يجدوني على النار من هذا الابن الشرير ، الفظّ ؟ ... والله ، لكأني  
ولدت به اسماً الاعداء !

وهتت بارتداء ثيابها . فقال يحيى ينزع بها الى الاتناد: صبراً . لا اريد  
ان يعلم اني جئت اشكو اليك، في مثل هذه الساعة ، ما لقيت من نقمته .  
دعي الامر حتى منبلج الغدوة . على اني لا احسب الواشي بنا موسى . بل  
امراته لبابة . فهي ابدآ في بلاط امير المؤمنين تزدلف الى عمها ، وتنفث في  
روحه سمها الزعاف لمغالبتنا ، وتسويد صفحتنا . وانها لعلى اتفاق وموسى .  
الا ان لها من رجاسة نفسها ما يكفي ويزيد . فليست بحاجة الى مسعف في  
اضرام البغضاء !

فصعد صدر الحيزران وهبط ، وهي تسبع باسم لبابة . ان يكن موسى  
ذلك الافعوان ، فان لبابة لعقرب . ولقد خبرت الحيزران من لسعات هذه  
السامة ما فيه غنى ، وقد كادت تحرمها البهجة باستطالتها عليها . قالت وكل  
ما فيها على رعدة : صدقت ، يا يحيى . ذاك النفث من معين لبابة المشتعلة  
السخائم ، وليست ترى في الوجود غير المقابح والنفايات . فالبشر باجمعهم  
لديها ادناس ، وهي وحدها سليلة الشرف والمجد . ما كرهت مخلوقاً كرهى  
لهذه التياهة ، الحبيثة اللسان . فانها لتبالغ في الكيد لي ، كأني شجراً في  
حلقها . على اني سأسحقها . فلن تنسخ حدب ابى عبدالله علينا ، وما تقوى  
على سلخه منا . فليس لي الا ان ابدو، بين يدي امير المؤمنين ، كي ازيل  
من ضميره كل كدرة تلفحننا !

فقال البرمكي وقد هاب الصعاب : لبابة مسوعة الكلمة في البلاط ،  
يا ذات الجلالة . ولسوف نلقى في سماياتها العقبة الكؤود . فقد صارحني

امير المؤمنين بانه لن يصغي اليها في رفع هارون الى ولاية العهد ، دون موسى . فان نكن نرجو ان نبلغ هذه الشهوة ، فاننا لنتمس الوعر . وهو الدليل على ان دسائس اعدائنا فعلت فيه فعلها . ولم يبق علينا الا ان نلوذ بالصبر . فالعجلة تزيدنا احتراقاً . لقد كان الشائون ادهى منا . فكل ما تعبنا في تشييده تداعي !

واطلق زفرة الاسى . فقالت الخيزران ، وقد ضامتها الحيبة : ان الحظ ليخوننا ، يا يحيى . على اني ساناھضه . انت تعرف الخيزران . فلن تهون في المعترك . في صباح غد سأكون وحدي في مقر الخليفة . فإما انا ، وإما لبابة . إما موسى ، وإما هارون . على ان الفوز لن يفلت منا . فليس للمهدي من اصفاء سوانا !

غير انها ، مع جهرها بالتغلب على نية المهدي ، معاهدة على ان تبعد من صدره فاحم الجفوة ، لم تبرح تنهيب سلطان لبابة على خاطر امير المؤمنين . فان لامرأة موسى الهادي من الاثر ، في عيها ، ما تتضايق في محوه الخيزران . واطرقت السيدة الاثيرة فيما يلوح لها طيف لبابة . أتقوى على استئصال ما نفثت هذه الحاقدة ، الحظرة ، في كبد ابي عبدالله ؟

وابو عبد الله ، ما نأى عنه يحيى البرمكي ممتعاً ، جازعاً ، حتى ارتدت الى جاريته حسنة يقول باعداد ذي الاثرة : هل سمعتِ ورأيتِ ، يا حسنة ؟ ... المقنع الخراساني الرجم فللنا غربه . ولم يبق له متسع للتيه والاشر . ويحيى البرمكي هزنا قلبه ، بما سلقناه من حديد التبكيت : وانه لمبلغ الخيزران ما كان منا فيه ، وما اطلقنا فيها من زجر ، فتهداً الغوارب الجائشة ، وفيه الضالون !

واعجب مديداً بنفسه. أطفأ اللهب المندرة بالصرم الاكول. وحسنة رأيت  
وسمعت . فما توارت الا وقد بدا يجيى ، مخافة ان يشخص له أنها موقدة  
الشحناء . ووقع في أذنيها كل ما أوقر به امير المؤمنين مسمع ابن برمك .  
وكانت تختبىء وراء ستار ، مسدول في احدى الزوايا، لحجب نساء المهدي لدن  
يقبلن لشهود مجالس الخليفة . واجابت ، والمهدي يسألها هل وعت وابصرت  
ما ألمّ الليلة بالبلاط من شؤون : ما ندت عني مهزة ، ولا قولة ، يا امير  
المؤمنين . فلا ينفك ناظراي مطبوعين بسجدة يجيى بين يديك ، عارضاً سيفه  
ورقبته للنحر . لقي الحبيث جزاء بما كرته . فهو والحيزران ، من التفرير  
بالخليفة ، ما يقدر عليك اتقاء الغائلة . فما عرفت ثعلبين رواقين يضاهاهما .  
هما حملان في حضرة امير المؤمنين ، وذئبان لدى صدوفهما عنه . بيدبان  
الامتثال لمشيئته ، كي يزيغها عنها في ما يعمدان اليه من وغادة . ولكن  
القدرة بجانب الخليفة الميسون . ما اشعلها في خراسان ، حتى انطقت في  
بغداد . فالزمن يؤاتي أبا عبد الله . على ان اليقظة مفروضة ، يا امير المؤمنين .  
فما التوى الشاعر في بيانه حين قال : « لا تقطن ذنب الافعى وترسلها ! » !  
وعادت تعربه بدمها . فقال بمنطق المتأني الحصيف : سانتظر ما يكون  
من موقفها بعد التحذير . فان يخطر لها الايغال في الكيد ، سقيت التراب  
دمها . فالمصلوب صباح غد ، في ساحة البلاط ، سيكون لها خير عبرة .  
وسيتدليان مثله ، على الاعواد ، إن هما شبخا فاشرأب عنقاها الى المرتقى  
الحرام . هي لي بعض الزمن . اعتقد انها سيرعويان عن التأكيد !  
فهزت رأسها لا تؤمن بارتداعها عن المنكر . وقالت بصوت ينضح  
بالشك : أيتراى لامير المؤمنين ان الافاعي تمتنع من العض ، ونفت

السمّ؟ ... هذا وهمّ خادع . مناها ان يبيّنا لك الدواهي ، تحت مظهر الامتثال لرغائبك . فهنا يسعيان لترسيخ قدم هارون في ولاية العهد ، حتى اذا ما توسد المقام المرجوّ ، انقلبا به عليك . ورفعا عنك . واحداثا في الدولة خضضة تعبت في دفع وبالها . اني لاخشى ان يذهب مكرها بندي امير المؤمنين !

فبر ، وقد استعاد وقفته الجبيرة من يحيى البرمكي : أيشخص لك ، يا حسنة ، أن المهدي يكثرث لقزمين حقيرين ، كبحي والحيزران ؟ ... انك لضعيفة الرأي اذا جاول هذا الظن بالك . والذي نفسي بيده ، اني لاطرها حين ، في أحشاء الارماس ، اذا نبض دهما نبضة وغدة ، تم على عصيان . واذا طاب لها ان يتكثا على هارون ، في مصاولتي ، فسأطرح هارون . هذا مقال وقع في اذنيك مني ، واني لاعبه امعانا في التوكيد . فلست ابأ لابن عاق ، ولن اكون . ربما سلمت نية هارون من الغلّ والزنج . الا ان الارتباب بدخلة يحيى والحيزران سيجنني عليه . من المحال ان يفوق اخاه في المرتبة . وقد يتدحرج عن منزلة اقمته فيها ، اذا بدا لي منه انه مطية الزنسين . فكوفي موقنة أن المهدي ليس جباناً ، ولا اعمى !

وارتعد . وتواعد الى وجهه الدم . فقالت حسنة تتجراً عليه في ما لم يكن لها ان تنفذ به الى وعبه : إذن عليك ان تعود الى المناداة بايثار موسى على هارون ، في ولاية العهد ، كي يعلم الناس أن يحيى والحيزران لا يقويان على زحزحتك عن شهوتك . فقد خيل الى قومك انك رجل لا تثبت على رأي . فما للحيزران الا ان تشير عليك بمطلب ، حتى تميل بك عما اقررت وابرمت . وليس لسيد ضخم نظيرك أن تفوده امرأة !

فصاح وكله على لظى: هذه اقوال سئمتها، يا حسنة. فما بك لا تتفكين  
تتقين بها اذني؟ ... لم يبق في هذا الصرح من كلمة للخيزران. فهي فيه  
اشبه بسائر نسائي. وجميع من يمتد اليهم سلطاني يعلمون أن ولي عهدي  
موسى، وان هارون يتلوه. ولا محيد. ألا تتقين ببيان المهدي؟

فأعلنت بوفور دهاء: انا اول من يثق بمقال امير المؤمنين، وپرسوخه  
في عهده. ولكن ليس الجميع حسنة، جارية ابي عبدالله. فمن الضرورة ان  
يعلم، كل من يدب على ارضها، ان الرأي رأيك في دولتك، وان  
الخيزران، وليفها، لا يملكون القدرة على تبديل حرف من المكتوب!  
فزعت: غداً ستعلم الدبار العربية، على فضاظ باطها، أن ولي العهد  
موسى، وان بعد موسى هارون. فما ان يتدلى المقنع الحراساني على الاعواد،  
وتحتشد الجموع لمرآه، حتى ينادي فيهم حاجبي أن المقنع لقي حتفه. وأن  
مصيره مصير كل مشاغب عربييد. وأن ولاية العهد لموسى اولاً. وبعد  
موسى تنتهي الى هارون!

فاستوضحت بطرب الفائز بالبغية: أيفعل امير المؤمنين، أيفعل؟  
فاجاب بعنف صاحب الامر، المباهي بسجية يؤلمه ان يشك من حوله في  
تأصلها فيه: ولكني لا اذكر ان من عادتي النكوص عما ابدي، يا حسنة.  
فالمهدي لا يتلون في منطقه، ولا يهون!

فضحكت في نفسها من هذا البيان الملتوي. هل نسي ابو عبدالله كم  
عبث بعهد قطع لها، وكم تجاهل كلاماً نشر في أذنيها؟ ... والتفت اليه  
بعينين ما خلتا من ومضة التهكم، وقالت بدماعة في اللهجة: اني لموقنة ان  
امير المؤمنين من ارباب الحفاظ والوفاء. فلا يعدل عما يذهب اليه. بيد



اني اخشى ان يكرهه ، على الفتور في العزمة ، من ترجع كرامته لدى الخليفة كل كرامة . فيقلق ، بنظرة منه ، كل ما رطد عليه ابو عبدالله النبى من تدبير !

وابتسمت ابتسامة ارتعش فيها خيالاً من خبث . فصرخ المهدي من اعماق قلب ملسوع : ذلك كان في الماضي ، يا حسنة . يوم كنت احسب الخيزران بريئة الروح ، سخية العاطفة . اما وقد عجت عود المناقفة ، المضلّة ، فلن اركن فيها الى معسول المداهنة ، ولن انام على فراش توطئه لي . وحق من يراني من عدم ، لن التفت الى وجه الخيزران التفاتة الارتياح والعطف . لك عليّ الميثاق الغليظ . هذه امرأة تزعتها من ضيوري ، فلن اقربها . وكنت أطلقها لولا انها أم موسى وهارون . عدا ان امرأة المهدي لا يجوز ان تسفّ الى حضيض الدهماء . فيتجاذبا كل طالب لذة ، وكل راغب في ايلام !

فتنفست حسنة عالياً . وتعاطمت بهجتها . ماتت الخيزران في عرف امير المؤمنين . بيد ان الجارية ما برحت تخاف بقظة الحنين المؤرود . فما عودها امير المؤمنين ان يتنكر لمشيئة امرأته الاثيرة ، مع افتئاتها بمحقوقه ، ومجاورتها الحد في كل ما تنهد اليه . فهل تبدل حياها بعدما جاءه انها تكيد له ، وتجاهد في القضاء عليه ، فيما يعاندها في ارهاق موسى ، ابنها البكر ؟ ورات حسنة ، بماضي حيلتها ، ان ترفع من شأن الهادي ، عكازها في مناوأة الخيزران ، حتى اذا ما صلب عوده ، اضحى من الصعب تحطيه . فيظل ابدأ في المقدمة ، في عطف ابيه ، وتبيت حسنة ذات الرأي النافذ في الدولة التباهة ، الريا . قالت : ألا يجد أمير المؤمنين ، من جميل السياسة ، ان

ينتدب موسى الهادي لخطير الشؤون ، فيعلو صيته ، ويملك الهمة على تسيير الامر بما تصقله فيه التجارب من خبرة ، ويخطب ود بني قومه بذباهته ، وحسن بلائه ؟

فما خفي عليه انها تباعد في الرمية . وقال : أروقك ان يستمتع الهادي بطائر الشهرة ، يا حسنة ؟

فاعلنت بوضاءة في المبسم ، وبقوة في الافناع : وكيف يكون جديراً بمنصب ابيه ان لم يتم له التدريب الوافي ، يا امير المؤمنين ؟ ... هذا فتى مدعو الى ركوب ارفع سدة ، والى سياسة ارقى امة . فهل يجوز ابقاؤه في الزاوية ، ينتقل من مخدع امرأته ، الى بلاط ابيه ، ومن المائدة الى المضجع ؟ ... من أعطوا مقاليد الامر ، في الناس ، عليهم ان يسبروا غور الناس ، يا ابا عبدالله . فالمنصور ، ابوك ، لم يبلغ مستواه العالي لو لم يمتزج بمخيلط القوم ، ويتعرف الى ارواحهم وميولهم . والهادي ، وقد أعدّه امير المؤمنين لغد واعد ، لن يقوى على القيام بالهمة ، إن لم يعرف من هم الذين يسيطر عليهم ، وكيف يقودهم ؟ ... فاطلقه الى محاربة اعدائك ، ليغوص على حقيقة من سيتولى شؤونهم ، ويرهبه كل مكابر حقود !

فهتف بها : لكأنك مفطورة على تديير الممالك ، يا حسنة . فمن نفخ فيك هذا الارشاد السنين ؟

فافضت بالمقال الهادي ، الرقيق : حيي لدرام دولتك ، يا امير المؤمنين ! فامسك بذراعها البضة ، وجهر : والله ، وددت لو اتقدت ، في جميع من حولي ، هذه الرغبة في النصرة والهداية . حسنة ، لن يطول بك الزمن حتى تسمي من نسائي . وربما اصبحت السبدة المطلقة في شأوك المنيف !

فألفت رأسها الى كتفه . وتمت بصوت يتعد اكنساء برودة الاخلاص :  
اذا ما دفع امير المؤمنين ولي عهده ، الهادي ، الى كبت اعدائه ، وقمع  
الفتن ، بطلت كل حجة للخصوم على ايثار هارون !

ونسبت نفسها حيال الهادي . ولم تكن تروم سوى قهر الخيزران . وفي  
قهرها فوز حسنة . قال المهدي ، وقد اشتاق بعد خنق الهياج في خراسان ،  
وطمن كبد المقنع الناثر برهيف البواتر ، استنشاق عرف الهوى المعطار :  
ساطقه الى المعالي يتبوا مصاعدها ، يا حسنة . لا عليك ، ايتها المطوقة  
الصدوح . فلن يكون ولي عهدي الا خليقاً بي . فالمهدي يضيئه ان يقبض ،  
على الاعنة ، مخنث محبول . واني لالمس في الهادي الصلابة ، والضلعة . فلا  
هو بالفاتر الهمة ، ولا بالملتوي الرأي . وهذه الفحولة التباهة ، المستعرة فيه ،  
تكربها الخيزران . فهي تريد ولي عهدي عبداً مطواعاً لمشيئتها العشوم .  
تباً لهذه المرأة المستأسدة ، كم تضيق بها الكفايات . فليست تشتهي غير  
النقائص في من يلوذ بها ، كي تقبض على مطاول الجميع . فتسخرهم لمآربها  
أذلاء كالسوائم . غير ان الهادي ليس من هذا الطين الرابي . فالمكارم  
الزاخرة بها نفسه ، تأبى عليه ان يكون مطية . فكرهته الخيزران ، وهو  
ابنها . فهل من أم تكره من وهبت للوجود؟ ... اني لاقم من هذه الشرهة  
الى السلطان ، حتى التخمة ، على دهن عريض . فليست ترتضي ان ينعم  
سواها بذرة من قرص الحلوى ، وهي الطامعة في حصة الاسد . الا اني  
سانحها في كبدها . فاسبغ على الهادي ، من نعمي ، ما يحرم الام السؤوم  
قرّة الطمانينة . اصبحت على برم بهذه المحتالة العنود !

ولكن حسنة اصفت منه مراراً الى هذا التظلم السخين . فالخيزران تلوي

فيه هناة الضمير . الا انه ، مع تأفقه منها ، لا ينشب ان يرتمي في مودتها ، ويمحو من باله كل ما اقلقت به عيشه ، وكدرت به صفوه . فهل يمضي ابدآ في هذا الصعبد ، حتى مع ما يساوره من ارتياب بنيات الجشمة ، المتحفزة لمحو كل خيال تتوهمه يكدر عليها رحبة الفضاء ؟ ... وتعلمت حسنة ، كأنها لا تؤمن بازورار الخليفة عن الخيزران ، وان يكن يتدفق عليها بالمطاعن . فما فورات المهدي ، على امرأته الفضلى ، غير زبد سريع الانطفاء . وحات حسنة في ما تعدد اليه من حيلة لنزع الخيزران من خاطره . فهل آمن ، بعد الوشاية بها ، بانها تكيد للعرش ؟

واستنامت الجارية الى شهوة الخليفة ، الجانح الى اللهو بعد سكون العاصفة . بيد انها لم تكن تستأنس بهذا العناق يتهالك عليه ابو عبدالله ، ونفسها تحذها بانها لها لهنيئات من الزمن ، لا يلبث بعدها ان يجحد ، وينسلّ من ذراعيها كالجبال الشرود . وودت لو استطاعت ان توثقه بها ، فتلد له ابنآ يربطها به برابطة أيدة ، لا ينسل لها خيط ، ولا ينهار لها ركن . على ان هذه الشهوة لم تدر كها حسنة ، مع شوقها المستفيض اليها . فكأنها امرأة عاقر لا تثر . وتأوهت فيما يضمها اليه المهدي ، ويخاطبها بالبيان المنتمق ، اللهبان ، وقد هالما ما يجيها به زمنها من عرقلة وتنكيد . فصاح بها المهدي متعجبآ من جمودها : ولكني اراك كالحطبة اليابسة ، يا حسنة !

فاعلنت وهي ترتجف : اني اخاف ، يا امير المؤمنين !  
فهنف بتمعضآ : تخافين ماذا ، وانت في ظل المهدي ؟

— اخاف بما اکتوي به من خطر كلما حسبت نفسي في مأمن ، وامير

المؤمنين يدنيني منه !

فصاح ، وقد لمس فيها مكنن الداء : ألا ترالين على خشية من  
الخيزران ؟ ... أتغص ابدأ عليك الخنفساء النتنه روعة ايامك ؟

فاوضعت بمجرد جارح الاتة ، كأنه مغموس في الالم النفتار : هي  
خنفساء نتنه حين تغيب عن عين الخليفة . غير انها لا تكاد تدلف ، الى ابي  
عبدالله ، حتى تمسي عطر الجنة . ضعفتني الغيرة ، يا امير المؤمنين !

وبكت بدموع حرار . وشعر المهدي بجرقتها ، فتألم لخالها . وترأى  
له انها مظلومة في عطفه ، مع رفعه اياها عن سائر جواريه . وعاد يشدّ بها  
اليه ، ويقول بما نشأ عليه من سلامة روح : حسنة ، ليست الخيزران احب  
منك الى نفسي ، ولن تكون . فاذا عزّ عليّ ان اقيمك في مصاف نسائي ،  
فسأجعلك في مرتبة يتضاءلن عنها . انت ابدأ رفيقتي في حلي ، وترحالي .  
لك ان تدخلني ساعة تشائين الى القصر ، وان تثوي به ما شئت . وستكونين  
بصحبي في كل جولة ، كأنك السيدة الاولى في بلاط المهدي . أفما تنسخ هذه  
الخطوة اشجانك ، ولا الخيزران ، ولا سواها من نسائي ، يرتعن فيها ؟ ... سألقى  
من عنت أم موسى ، وانا أخصك بهذا الايثار ، النعمة العضوض . الا اني لن  
ابالي عيث الوبئة الكريه . لها ان تحمد الله ، وقد ابقيت على حياتها ، بعدما  
نثلت اليّ فضيحتها الكاسفة . أفلا تعلم الغادرة أن نصيب من يسعى ، للنيل  
من امير المؤمنين ، الموت الصاعق ؟ ... اني لاتعجب من سكوتي عنها ،  
وهي تتواطأ عليّ ويحسى البرمكي . لا ريب انها من الناعمات بالخط الثوي !  
فاستوضعت ، وما زالت على شك في هذه المنة : أيكون لي وحدي

حق المسير في ركابك ، يا ذا الجلالة ؟

— هذا حق لن تنافسك فيه امرأة . بل لن تشاطرك اياه امرأة . تقبلين

ابدأ في الطليعة ، وتواكبك سائر الجوارى . أفما يكفيك ؟ ... وتربة ابى المنصور ، لن اجيز لامرأة ان تساورك في جناني !

فسرني عنها . اقسام ، بتربة ابيه ، على السموها الى حيث لا تعادلها انى . وهو جل الصوة . وطوقت يداها عنق المهدي بشغف . فازت بما ترجو من سعد عريض ، أريض . فهي تميل الى النجاة من شبح الخيزران الدميم . ولن تبلغ المرتجى ، الا وقد اقنعت الخليفة ، بان امرأته الاثيرة لا تحفظ له الود ، بل تتقاذفه في مقاصدها . واقتنع المهدي بما حاكت مخبرته ونسجت . وكاد يبطش بيجى البرمكي وبالخيزران معاً ، لفرط ايمانه بما اوهمته حسنة من هتان . ولكن ألا يستفيق من خدره ، وتلبض في حسه الحقيقة ، وينتقم من الجارية الكذوب ؟

إذا أغلقت عليه اجتلاء النبأ الراهن ، فالخيزران سترشده الى الصحيح الصريح . ولكن هناك لبابة وزوجها الهادي . وبالاستناد الى هذين الركنين ، المنيعين ، ستقحم حسنة بلاط امير المؤمنين ، وتقصي عنه الخيزران الفظة المهجعة . ففي صباح غد ، ستدفع الجارية المرموقة ، الى المهدي ، ابنة اخيه لبابة ، لتقص عليه نبأ مكيدة امرأته الاثيرة . فلا تكاد الخيزران تتنصل من التهمة ، حتى تلصقها بها زوجة الهادي . فيوقن المهدي بصدق الظنة . وتهوي الخيزران عن سدره ترتقي اليها . وتسود حسنة . وتتوطد بالهادي ولاية العهد . وتهبض اجنحة هارون وزبيدة . وان هي الا الامنية الجموح . وفي ادراكها يستبسل الحزب المناوىء ، في البلاط ، ليحى البرمكي وللخيزران ، وتحت لوائه ينضوي الربيع . فالربيع لم يكن يستجلي الخير في اسارى يجيى ، وقد وثب هذا الفارسي ، في نعمة العباسيين ، الى حيث تقهر عنه العرب الاقحاح .

فالتنافس ، في الرفعة ، اثار الضغائن والاحن . فاستنشرت حتى كادت تسد على المهدي سبل الرشاد . وهو بما خلا منه بلاط المنصور . فعال ابو جعفر ، القابض على الناصبة بيد قادرة ، منحوتة من الصلب ، دون كل تفتيت في السلطان ، ودون استتراء البطانة . ولم يكن ثمة سواه . فهو الدولة . على حين ان المهدي اباح ، بسلامة طوبته ، لمن يتفأرون ظلاله ، ان يشاركوه في تدبير الامور . فنشأ في البلاط حزبان يصطرعان ، ويتنازعان السيادة ، محتيين معاً برحابة ابي عبد الله

وما انساب حسنة ، من البلاط ، الا وقد بعثر الفجر غطاءه . وعلا صوت المؤذن في ساء بغداد الصافية يدعو الى الصلاة . واحس المهدي بالحاجة الى الراحة . فنام بملء اجفانه ، وقد استعاد هدوءه فيما يرتفع وقع ضربات المعاول في ساحة البلاط . وتتجاوب اصداه دقات المطارق . فالجند ينصب الاعواد لصلب المقنع الخراساني الزنديق . فلن تثور في البسطة العربية نزوة ، والمهدي يتولى الامر . ومن عصى حصده السيف . فايقن ابن ابي جعفر أن القوم ما يزالون قاصرين عن الندى . فالظفرة من سياسة العنف ، وقد أحكم أسها ابوه ، الى رحبة السباح المتناهي ، تفضي الى قلقة تخرجه . فلا بد بين الضفتين من معبر ، لا هو بالسهل ، ولا بالوعر ، تجري فيه الاقدام بخطا موزونة ، وثيدة ، تأمن بها الزلل ، وتستبقي الدولة عزتها . ومن رام تعكير الامن ، فالسيف قاطعه

ولم يكن بد من السيف للوقوف بالمآرب الجائشة عن دفتها الطاغية . فما برحت الشدة خير عنوان للامساك بهذه الاقوام المتلاطمة الاهواء ، المؤارة الاحقاد ، عن فورة الحزازات الضروس

بغداد تحتشد في ساحة البلاط الفيحاء ، وقد طنّ ، في سمعها المرهف ،  
 نبأ القبض على المقنع الحراساني الثائر، واعتزام المهدي صلبه في بلجة الصباح.  
 فازدحم القوم، في عرصات معقل الخليفة، حتى بانوا وكأنهم على لحمة متلاصقة  
 الحبكة ، لا تأذن في فكاك

وانصبّت العيون على الاعواد المنصوبة، في صدر الساحة، يتدلى منها جثان  
 اصفر ، مخضب بالدم . فتأملته الجماهير بوهبة وغبطة ، وايقنت وهي تراه  
 ان العهد الاحمر ، المتسلسل من ابي العباس الى المنصور ، لقي في المهدي  
 عماده . فلن يغمد ابو عبدالله سيفاً انتضاء عمه ، وشهره ابوه ، لترسيخ  
 ركن دولة لا تزال تهبّ عليها الاعاصير من الجوانب جمعاء . كأن الامان  
 المدود الملاة لم يكن غير هدنة ، بل تجربة ، شاء بها المهدي العدول عن  
 سياسة البطش السائدة ، فلم يبع له الحافدون المجال الى هنيهة للقرار  
 وانجحت احدى الشرفات ، المطلة على الساحة ، عن طلعة امير المؤمنين .  
 فماجت الجموع بالهتاف والتكبير ، وكأن دنيا من هامات تتأيل كالسنابل  
 في سبب الريح . وألقى المهدي الى الحراساني المصلوب نظرة . وغمس في  
 كبد الصفوف المرصوة نظرة . وحمد الله وقال ببلجة السيد القاهر، المهيب:  
 ايها الناس ، ابي عليّ سفهاؤكم الرفق بكم ، فعمدت الى السيف . فمن تطاول  
 فهذا جزاؤه . فكونوا من انفسكم على حذر . اياكم ان نخدعكم طلاقتي ،  
 وما ابقيتكم على تذر من استثناس بولائكم لي . وطنت النفس على احتراز  
 كل رأس صلب . فاعتصموا باللين ، اذا شاقكم ان تصونوا اكبادكم من



الملكة . ليس للزنادقة في دولتي ظل يتفأون ، ولا موئل يفزعون اليه . فاتقوا فتكتي . ابو عبدالله محمد المهدي ، خليفتم ، مفتوح العين . فما ينام عن شعب ، ولا عن كفر . والمشاغب كافر في شرعتي . فاعاقبه بالنار تلهب مهجته . ولكم في المقنع الحراساني اصدق عبرة . قضيت عليه كرنديقي حاول اطلاق هناءتي . وهنأتي مقدورة عليكم ، وانا فيكم خليفة رسول الله . فمن تجراً عليّ ، فكانه تجراً على الحق . وهو ما ينهى عنه الدين ، وبما سائقذ الدولة من رجه وطغيانه . فالجياة لمن انحى . والموت لمن عصى . فلا تعود عن ثواب . ولا ملاينة في عقاب . فاذكروا حجبكم لدينكم وديانكم ، اذا ما خرجت بكم نفوسكم ، الامارة بالسوء ، عن مستوى الطاعة لمن يزن اقداركم بالعدل ، وهو القابض فيكم على القسطاس !

فصاحوا بجله حناجرهم : عاش المهدي امير المؤمنين !

فابتدم ابسامه السيد المتلى النفس زهواً ، وقال : ولي كلمة اخرى انشرها عليكم ، وقد سبق لي اعلانها فيكم . ولاية العهد محبوسة على ابني موسى . ويخلفه فيها اخوه هازون . وليس لشفة ان تتخصر بما يعدو هذا البيان الصريح !

فجهروا بالتأييد لموسى ولهارون . وباتت ساحة الموت معرض نصره وموالاة . وتذكر المهدي جاريته حسنة ، وهو يتحدث عن ولديه المغبوطين . فافضى بمشيئة القينة الروعاء . وانتفضت قلوب اتباع الخيزران انتفاضة الجزع ، والمهدي يشير الى ولاية العهد في المقبلين الى مشاهدة الحراساني المصلوب . واضطربت افواه اهل النظر بغمغمة التساؤل : هل نفص امير المؤمنين من حنانه الخيزران ؟

وسطع مجد لبابة . وكل من يلمّ بانباء البلاط تبين في العودة الى هذا الايثار فوز امرأة موسى ، وتقهر الخيزران . والنساء المقيات في الصرح ، ينظرن الى الاعواد من شرفة معتزلة، ويصفين الى المهدي، كن اشد الجميع تأثراً بما نضض به مقول الخليفة . فجالت العيون بعضها في بعض ، وقد تباينت فيها نبضات الحس . فمنها ما ومض بالطرب . ومنها ما اتقد بالشماتة . وجميع نساء البلاط كارهات للخيزران . وقليل من تألم لهارون وزبيدة ما داما يستظلان رعاية السيدة الاثيرة، الناهدة الى التحكم في المصائر والارواح على ان المهدي ، ما كاد يرجع الى ديوانه ، ويجب للجماهير رحابة المهزة في الالتفات الى الثائر المصلوب ، رطلاقة الرأي في عقد الذبول والحواشي على ما اذيع من بلاغ جزم ، حتى فوجيء بالجارية عتبة تعالنه باجلال ، وهي تلتوي في حضرته حتى يوشك رأسها ان يحتك بالارض : سيدتي بالباب تستأذن على مولاي الخليفة !

فعبس وهو يبصر عتبة ويسعها . وتجلى للجارية ان المهدي ناقم على سيدتها . غير انها ، وقد ألفت هذه النعمة ، وادركت انها سريرة التلاشي، لم تأبه لها . ورقبت من ابي عبدالله ان يميز فوراً لامرأته الاولى الوقوف بين يديه . ولكن المهدي تباطأ في السماح للخيزران بالثول في حضرته . وحدق الى عتبة بغيظ كاد به يصرف عنه زوجته المطامع . الا انه عاد فرضي عن دخولها ديوانه ليخاشنها ويندد بها ، لا ليحتفي بمجيئها اليه . قال يخاطب عتبة بسخر يعلوه السخط : أتكون هنا سيدتك ؟ ... ألا لتظهر فينا ، وان تكن اقبلت على غير موعد . فماذا تريد ؟

فهاه عتبة ما ينفت امير المؤمنين . وتراجعت وفي قلبها رعشة ، وفي

طلعتها كمدة. وبدت في سيدتها على تقلص بشرة، وجعوظ عين . فصاحت  
 بها الخيزران وقد لمست فيها الارتباغ: ماذا؟ ... بمَ عالتك امير المؤمنين؟  
 فاجابت ولسانها يتلجلج : لتدخل سيدتي . فالحليفة يفسح لها اليه !  
 على ان الخيزران طمعت في الاستجلاء . وسددت الى جاريتها عينين  
 ثاقبتين، تكرهان من تنفذان الى لبه على الايضاح. فقالت عتبه بهس قلىق:  
 لاح لي منه انه على غضبة شاحطة لم اعرفها فيه . ولقد خشيت منها ان لا يبيح  
 لك الوصول اليه . ففي نفسه من الاحن ما ترتعد له حتى فرائص العتاة !  
 فما اكرتت الخيزران للتخويف ، بل سئت الخطو الى الايوان ، وهي  
 موقنة أن نظرة واحدة منها تذيب الحشونة ، وتروّض الطبع الحردان .  
 وانحنت بين يدي المهدي ، وسلمت عليه ببسة يجري في تضاعفها جزيل  
 الاغراء . ورقبت من الحليفة ان يبيع حبال ابتسامتها ، شأنه في جميع  
 مواقفها منها . على ان المهدي ، وقد حدجها بنفرة ، ما انفك يطلق فيها  
 عينيه القاسيتين . واستطلعها ما يدفعها اليه ، قائلاً بمستفيض الجهامة : ماذا،  
 يا خيزران ؟

فآلمتها النبوة الجافية، وكادت تتلثم. على ان دهاها ابى عليها التخاذل،  
 فازجت القول الهادى، المؤمن ببلوغ اثره في الارواح: ليس لدى الخيزران  
 ما يزيد على التماس رضى سيدنا الفرد، وتمنئته باقتلاع الشر . اطال الله بقاء  
 امير المؤمنين !

ولم تجمد فيها ابتسامتها المخصاب. فهتف ابو عبدالله، وقد استطار حدة:  
 ألا تجيدين غير المكايدة ، يا خيزران ؟ ... ما عرفتك الا حرباة ، منذ  
 انسلت الى مودتي. أتحاولين دكّ عرشي، ولا يقعدك الحجل مني عن المجيء

اليّ؟ ... وحق السماء ، ان بك من القحة ما لا تملك رقطاع في ليل . أما ابلغك بحبي البرمكي ما صارحته به من نقمة ، ومن تحذير ؟ ... ان يكن اطلعك على ما كان مني فيك وفيه ، واقبلت اليّ ، فلا ريب انك صفيقة الوجه ، وقحة اللسان !

وخيل اليه انه ادماهما، وارداها . فما رشقها به من قول يزعزع النهى . غير انها لم تتأثر ، ولم تجزع . بل ملكت من قوة الاعصاب ما دفعت به عنها الخلق المتوائب الى حنجرتها . واستطاعت ان تبدي المرح والارتياح . فقالت بالابتسامة المخضبة شفيتها : من حق امير المؤمنين ان يقول فينا ما شاء ، وان ينزل بنا من احكامه ما ليس لنا عليه اعتراض . اما ان يتهمنا بالسعي لك عرشه ، فهو بما يثير فينا موجة العتب على الخليفة ، ايده الله . اطلعني بحبي البرمكي على فورة امير المؤمنين . ويقيني ان الايدي المفسدة تحاول اليوم، كما حاولت بالامس، وكما ستحاول غداً ، ان تسليخ منا عطف ابي عبدالله ، بما اهاب بي الى هذه الجسارة في الدخول على المولى المطاع !

فصرخ وكل ما فيه على ماضي احتدام: ماذا تلوكين من محاكة?... الايدي المفسدة ؟ ... وما هي الايدي المفسدة تتحدثين عنها ؟ ... أتكون سوى يديك ويدي البرمكي ؟ ... اراك تتوغلين في ما يكسف فيك كل نعمة . أما زيتنت ، بالاتفاق وابن برمك ، للمقنع الحراساني الثورة ، كي يقلقل بي مسندي، لتزعيني من عليائي، وتقبسي على انقاضي ابنك هارون?... اما المقنع الحراساني فانظري ما حلّ به . احسبك مررت بالاعواد في طريقك اليّ . واما ابنك هارون ، فاني لارميك فيه بالحرماني اذا شخص لك ان تناوئيني به . فما نجل المهدي ابناً عاقماً ، يا خيزران . والله ، ضقت

ذرعاً عن كل حلم . وان يكن صبري عليك طال فيه الامد ، فان للنهاية حدّاً قاطعاً . واذا ابت شفتي عليك محوك ، وارتضيت بقاءك في نسائي ، فليس لك ان ترنجي الاستمتاع يوماً برضاي . نبذتك من خاطري . ولك ان تتفجعي على ايام صافيات نهلت فيها من سماحي ما لم يتفق لسواك ان دافاه . انك لمنكرة الجميل ، محتالة . فهل بدا لك من المهدي انه غير حقيق بالخلافة لتكيدي له ؟ ... ألا من هو الخليفة ، ايتها النكداء ؟ ... أنا ، ام انت ؟ ... أرفعك هارزون ، يوم يملك الناصية ، الى حيث رفعتك ، وقد اصبحت الدولة على مداها ؟ ... اراك بطرت حتى عبيت . وكان عليّ ، منذ لمست فيك العجب ، ان اقصّ جناحك . الا ان مديد عظمي جنى عليّ ! وشاء ان يزيد في النيل منها . بيد انه ظلّ يتهيب منزلتها منه . فما ان يقسو حتى يرقّ ، كأنه يعاتب ، لا يدين . وادّرت الخيزران طول الأناة ، والموقف يدعو الى الاحتمال . فقالت بنديّ اللين : هل انتهيت من صبّ جام غضبك عليّ ؟ ... يشوقني ان اسمع منك كل ما يتأجج في صدرك من كره لامراتك الوفية . وبعد ذاك هب لي من عفوك فسحة للبيان ! فاختلج مبرطماً وزأر : وهل من بيان لديك ؟ ... واي بيان ؟ ... ألا نبتعد قيد شعرة عن التدجيل ؟ ... ستفضين منك كل ظنة ، لترمي بمشايك سواك . على اني اصبحت ملماً بالمواربة ، فلن اؤخذ بالترهات . انت بعد اليوم امرأة عاطلة من كل سلطان . فلست تريدني على كونك احدي جواري البلاط . وما يضعكني منك ادعاء الامانة . أتعبين بجرمتي ، حتى يحول في صدرك الميل الى إبادتي ، ثم لا تنفكين تنغين بالوفاء ؟ ... ألا اي وفاء هو هذا النكر تفيض به خستك ، يا ابنة الدهماء ؟

فانسعت عينها ذهولاً ارمدمهجتها . هذه الشتائم يسلقها بها المهدي لم تسقط قبل الساعة الى وعيها . فماذا ناب ابا عبدالله ؟ ... اي شفاء ابلغته عنها النبأ الزعاف ؟ ... ولمست بيديها الاثنتين هول الوشاية . وتراوى لها شبح لبابة يقهقه شامتاً، وكأنها تسمع باذنيها فقهة التنفي الناعبة . فانجفت . غير انها لم تستعن على رد السعاية بالدمع ، بل بالعنف . فالدمع عنوان الذل . والخيزران تأبى ان تكون ذليلة . هو الدليل على الاقرار بالجريمة . والسيدة الاثيرة ليست مجرمة لتبيح لمدامعها الانطلاق تكفيراً واستغفاراً . قالت بتفجير غيظ : ان يكن يعتقد امير المؤمنين اني اكيد للعرش ، فمن الراهن انه يجهل الخيزران . ويؤلم مهجتي ان يجهلني سيد البسطة العربية ، بعد عشرين سنة من راسخ الالفة . أأكيد للمهدي ، وقد ادركت الرفعة بالاستناد الى رفق المهدي بي ؟ ... انها لسعاية زريّة ، دون ، لا اكلف نفسي دفعها . وجلّ ما اعلن ، في حضرة امير المؤمنين ، اني امدّ عنقي للذبح ، ان يكن ابو عبدالله مؤمناً بما ارجف المفترون ، في سعيهم لتنفيذ الخليفة عني . لا بأس ان يبطش بي امير المؤمنين للخلاص من حشرة تفسد عليه شذا السلام . فهذا جزاء الاخلاص والحفاظ !

فازدراها بصيحة راعدة يطلق بها قوله الفاحم : أترددن كلمات يحسى البرمكي ؟ ... هل لئنك اباها الزنيم كي تحففي بها من حدتي ، زاعمة انك على فيض من ولاء ؟ ... ولكني اعرف من انت . فاذا تعاميت عن اباطيلك ، لشغف بك يكمن في نفسي ، فقد اكرهتني مقابحك على النظر الى الحقيقة السافرة . انت امرأة تعمديني افرض سيطرتك على الناس . اما وقد بدا لك وقوفي وقفه المهاند من مطامعك ، فسوّلت لك نفسك الوبيثة الغدر

بولي نعمتك. غير اني يقظان، ايتها الماكرة. خبيثك لن يخفي على ابي عبدالله.  
رايت مني نزوعاً الى الهادي ، المتأفف من غلاظتك ، فانخبت على الرشيد  
تلاطفينه ، وتستهويني به اليك . على اني لن انخدع بمرأوغتك . فالكلمة  
المعلنة لا خروج عنها . وليّ عهدي موسى الهادي . وبعده هارون . وكل  
بجهود تبذلين ، لصرفي عن هذه الرغبة الصلود ، نصيبه الحبية الكاسحة .  
فعودي الى صرحك ، وادفتي فيه قباحتك . انت لست أمماً . ما انت غير  
شعلة من شهبوات تتأجج لتتحكم في العباد . الا ان من خبرك ، وابع لك  
الامر على مدة ذراعك، قطع يدك ، وقد ادرك اني يقوده طماحك . عطفك  
على أربك يعدو حبك للرشيد . فانت لا تنظرين الى الفتى نظرة الام الحنون ،  
بل نظرتك الى مطية ترقى بك الى جشمك فبدي من روحك هذا السفال .  
واذكري انك أمٌ قبل ان تكوني سيدة ذات عزة . اني لامنك من ان  
تعودي الى المثول في البلاط دون ان ادعوك اليّ !

فمالت الى الكلام ، وقد هالتها النقمة المجلجلة . ما بدا لها المهدي في  
هذا الهياج العرييد . قالت ولم تزل مالكة جأشها : أتعجب منك كيف  
تؤمن بكل ما يذاع في سمعك . أترى لبابة صادقة في كل ما اوهمتك عنا؟  
فزعت ، وقد احمرّ وجهه ، وتناول الى الخيزران بصدر ناثيء وثاب :  
لا تفترني على الابرياء . فأني شأن لبابة في ما انعم عليك ؟ ... لم تلتفظ  
ابنة اخي بكلمة نابية تنال بها منك . ولا اوتعثت شفتاها بنبا دسيسة امعنت  
في تطريزها يداك . ألا سلمت يداك ! ... ان لبابة لاكرم منك اصلاً ،  
فلا يعرض لها ان تلتفت الى محازيك !

فحمرها وهو يعبرها حقارة اصلها ، ويرفع عنها لبابة . غير انها ظلت

متأسفة عن البكاء . قالت وكل ما فيها على ارتقاء عود ، وتزق مكبوت :  
ليبقَ اذاً لامير المؤمنين من اختارهم ، ويشوقه الاصفاء اليهم . وسنحتجب  
عنه ، ومرآنا البشع يضيئه . نحن نرغب له في صفاء الروح . فما دام قرير  
العين في صحبة هؤلاء النخبة ، فنحن مثله على قررة عين ، و صفاؤه صفاؤنا .  
ولا علينا اذا بلينا بنفاره منا ، ما دام مغتبط النفس . فكل منا ان  
يبتهج ، حتى مع ثواننا بالنار . اتي لمنصرقة عن دار لا ازال انطوي لها على  
بمأخضة طهور ، مع ما يصيبني من جورها . ولن اعود اليها الا وقد امر  
الخليفة بان اظهر في بلاطه . فالخيزران ستضرب المثل في الطاعة ، وان تكن  
تبيت على ظلم !

وتراجعت تآهب للرحيل ، وهي تكاد تتزق قهراً . ظفر اعداؤها بها ،  
وتزعوها من قلب امير المؤمنين . ولكن أيصبر المهدي على بعادها عنه...?  
لم تكن تعتقد انه يملك هذه القوة على القطيعة . وانكفأت في بطانتها الى  
صرح اساس ، دون ان تختلج شفتاها بجرف . بلي ، كانتا ترتجفان لفرط  
الحسوف . ولكن الصوت اختنق فيهما . وكيف تطلقان الكلام ، وقد غار  
كل بيان في صدر الخيزران...? انها لتعمل خيبتها في ملاحظها وبين اضالعا .  
وتسير في جادات بغداد على اكفهرار وألم . فكأنها في جنازة صامته . وما  
تجراً احد من افراد حاشيتها على استطلاعها امر لقاها المهدي . فالحلقة  
السائدة سحنتها ، فرضت عليهم الحرس . فاندفعوا في اثرها على وجوم ،  
وقد ايقنوا ، في صيهم ، ان الحصور تفوقوا على السيدة الاثيرة

ولدى دخول الخيزران صرحها هتفت بمن حولها بصوت أبع ، مهتاج :

ابن يحيى البرمكي ؟



ويجئى كان في الصرح ، بجانب الرشيد وزبيدة ، يطلعهما على ما كان فيه من امير المؤمنين . انتهره الخليفة . واتهمه بالتواطؤ والخيزران على هدم العرش ، وعلى السعي لامتلاك الاعنة بدفع الرشيد الى السدة ، والاستئثار بالامر في الدولة العربية . وصاح يجئى باضطراب المتلعلل بما يتعامل به عليه حاسدوه : يجزّ في كبدي ان يؤمن المهدي بما نحن منه على خلو بال . فهل في ديار العرب من يحفظ للخليفة ما ندخر له من تأييد وولاء ؟

فقال الرشيد بصوت حيّ ، خشيان : وهل يظن بنا امير المؤمنين شراً ؟ ... ولكننا ابدآ في طاعة ابي ، يا يجئى . فكيف نحاول الميل عن رضى الخليفة ، وليس لنا في ايلام روحه حياة ؟ ... ان لنا من امير المؤمنين الحامي الامين . وهل كان لنا ان نرتع في الرفاه لولا حذب ابي عبدالله ؟ وهو في غنى عن تنزيه نفسه عن الفرية . فان حبه لايهه ليطفى على جنانه . واستفهمت زبيدة بغصة : ومن تراه اقلق في امير المؤمنين عطفه علينا ، ايها البرمكي ؟

فاجاب ، وانفاسه تطلق كلماته بمضطرم الزفير : ما هناك غير لبابة ، ايتها الحسناء الوارفة المواهة . اختك هي الساعة بنا ، تنجدها الجارية حسنة . فمن مصلحة لبابة ان تتخاذلي لتسو . وفي ركوب زوجها ولاية العهد املها الاغر بان تصبح يوماً السيدة الاولى في هذه الدنيا الوسيعة ، وعلى ناصيتها يقبض عمك الجليل !

فهمت بارتياح : اتسى اختي بنا ؟

— ما هناك سواها ، يا ابنة جعفر . ولها من حسنة ، الجارية المتحسنة

لادراك القسط الراجح من المعالي ، خير معوان !

– واي شأن لحسنة في مقاومتنا ؟

فاعلن يجي ببيان المفؤرد : حسنة يمضها ان تقف دون الخيزران في مودة امير المؤمنين . فقامت تحوك المكاييد لبلوغ النظيرة في نفس المهدي . ودرت لبابة بما تنزع اليه الجارية الطمّاحة ، فاستعدتها على خنق مكانة الخيزران في صدر الخليفة السليم النية !  
– هل اتفقا علينا ، ايها البرمكي ؟

فاوشك ان يفضي بما في خاطره من واضح الادلة على المكيدة المنظمة لفصل المهدي عن الخيزران . الا ان دخول السيدة الاثيرة فصرها دفع يجي الى لقاتها لاستيضاحها ما كان بينها وبين امير المؤمنين . وما نادته حتى كان بين يديها يقول بمفرط الخضوع : ها انذا ، ياربة النبل السنيّ !  
فجلجلت بحنق تبين منه للبرمكي ان الفلاح في تدليل البغضاء نبا عنها ، وان المهدي لا يتفك بيلجّ في النفرة والظنّة . قالت : دعني اخاطبك على خلوة !

وكانت تلهث . وتصلب منغراها لفرط غيظها ، فاذا هما في رهافة الشفار المسنونة . وكل ما فيها على ثورة . ووقف يجي بقرها منعيباً ، فاتحاً اذنيه لسماع ما اسفر عنه لقاء الخليفة . وشعر برهبة الساعة ، واتقد فيه الفضول . اي صرخة اطلقها ابو عبدالله في اذن السيدة الاثيرة ؟

ودخلت الخيزران مخدعها في الصرح . وانزوت ويجي في حجرتها . ولم تجلس ، واعصابها المتوترة تأبى عليها الجلوس ، بل هتفت بيعبي وهي على انتصاب قامة ، والارض تكاد تضيق عنها : وقفتُ منه حيث رسختَ انت في عناده . فما تقدمتُ خطوة . وانه لموقن اننا نتواطأ عليه . ومع جهدي

في تليين جفونه، لم اظفر منه باطفاء جذوة النعمة . وكلما دعوته الى الايمان بالولاء والمخالصة ، ازدراني ، كأني لديه خنفساء قدرة . ولم اعرفه في مثل هذه الاستهانة بي . وكدت اتداعى في حضرته لو لم اذرع الصلابة . ولما طلبت اليه ان يسدّ سمعه عن وشايات لبابة ، وترهاتها ، نفى ان يكون لللبابة يدٌ في افساد عطفه عليّ . مع اني واثقة ان لابنة اخيه البسد الطولى في تعكير المودة . فالغادرة اجادت الانسلاال منه الى حيث تقهرنا . ونغمت له كل اكذوبة خبيسة . فصدّقها واشاح عنا يرمينا بسفاسف التجني . ولما عرضت عليه عنقي ليضربه بسيفه ، جزاء التهمة ، تفاهم تهكمه بي ، وقال : « اراك اتفقت في البيان ويجيى ، كما اتفقت راياه في الكيد ! » . ونبذني لا يصفي مني الى قولة . فالتويت وفي نفسي حرب على القدر والناس . فلم اشعر بالحبيبة والحقّد كما يتوهجان الساعة في جوارحي . فماذا ترى ، يا يجيى ، ايها المشير النصح ؟ ... ان النكبة لتجاوز الحلم . واذا صبرنا عليها خاطت اكفاننا !

ورآها يجيى تشتعل ، وكل ما فيها على مستطير نزوة . فاروجه غلبانها البائس واستفهم : ألم تتضح لامير المؤمنين سلامة طويتنا ؟ فنبرت : وكيف يؤمن بسلامة الطوية ووراءه موسى ولبابة ؟ ... لقد همدني بالانقطاع عني ، وبالليل من هارون . بل منعي من ارتياد البلاط بسوى دعوة منه . لم يبق غير رمّة بالية من صديقتك الخيزران ، يا يجيى . فالعر القديم عدا عليه القضاء !

وانتفضت السيدة الاثيرة فيما تمنى مجدها . وما استطاعت البقاء في وقتها . فهوت مقلولة العزمات ، الى ديوان يجانبها ، وألقت رأسها بين

يديها وانفاسها تتصاعد زفرات حراراً . بيد انها ظلت بمسكة على جمود  
عينها ، لا تأذن لعبرتها في الانفلات . واذا بها تسدد الي البرمكي ناظرين  
ينفثان الاضطغان . وتصبح بجراح غصة : يحيى ، لن اسكت عن السعي  
لتهشيمي . ساقاتل حتى الموت . فالويل لمن يعترض طريقي . لن ارحم  
موسى ، ولا لبابة . فلا يدهشك مني اذا حرضتك على ابني . فكل من  
يخطر له ان يسيء الى الخيزران ، نصيبه الرمس . اصبت مؤمنة بكون  
الناس ذئاباً . فمن يجنح الى المسالة تقضه قواطع الانياب !

ولم تحفل بتقويض ابنها . فان يكن الهادي يروم محوها ، من ضمير  
امير المؤمنين ، كي يسود ، فلن تقعد عن البطش بولدها البكر . فان هذه  
المصبوبة من حديد ، والموهّبة بالذهب ، لا تطمع في سوى اللعنان . وكل  
يد تحاول حجبتها ، واخفاء بريقها ، يلمّ بها القطع . سواء كانت يد ابنها ،  
او يد زوجها . فلن تغتفر لاحد الافتئات بما تراه حقاً لها . وليس للشانيه  
ان ينعم بالصفاء . وتعجب منها البرمكي وهي تتحدث عن الاستذئاب . فمن  
يلحقها في المضار ؟ ... على انه ، وهو شريكها في الطماح ، لم يلبث ان  
استساغ القولة على شذوذها . فهما لا يسلكان الطريق العدل الى اقرار  
هارون، في ولاية العهد، دون موسى. الا انها المأرب الغاشمة. وهل يكون  
ذو المأرب الغاشم الا ذئباً ؟

ورأى البرمكي ان يجلو الموقف، فقال: ربما لا تكون لبابة وحدها تلك  
المفترية علينا لدى امير المؤمنين ، يا ذات القدرة . فقد جاءني من اقمهن  
عيوناً على الجارية حسنة ، انها انسابت امس الى البلاط ، ولم ترجع في  
سوى البكور !

فانتفضت شفتاها بالقول الحادّ ، المرتاب : لست ارى حسنة تملك هذا  
السلطان على روح امير المؤمنين . فانها لتقوى على مخادنته دوني ، حين  
اقيم واياه على مناكرة . اما ان تتلاعب بشؤون الدولة ، فتدفع الخليفة  
الى ايثار موسى على هارون ، فهو بما اجده يعدو طاقتها . فلن يرتضي محمد  
المهدي ان تسمو جارية الى حيث لا يبلغ الا الاصفياء . ما الرامي غير لبابة .  
فهي انفذ اثرآ في نفس ابي عبدالله ، وتكاد تبزني في رضاء !

فقال يجيى بلهجة اليقين : ان لحسنة من الخطر ما يعادل شأو لبابة .  
فالخليفة يلقى فيها متعة الحس ، وبسمة الانس . وما يمنع ان يتفق موسى  
ولبابة وحسنة على استئصالنا من كبد ابي عبدالله ؟ ... هل ما يحول دون  
تضافر الثلاثة علينا ، ومن مصلحة كل منهم ان نخزي ؟ ... ليس ما يقف  
بهم ، وهذه رجاوتهم ، عن التحالف علينا !

فاصرت على القول : ليس لجارية ان تثب في بال امير المؤمنين الى  
حيث تتناول ذات القرني . حسنة تمكر علينا الماء . الا ان لبابة تشهر  
القبضة الساحقة !

فكاد يعلن تأييدآ لحبته الصائبة : « ولكن من انت قبل ان تكوني  
امرأة الخليفة ؟ ... ألم يكن مقامك في رحبة الجوازي ؟ ... واية امرأة  
ملكنت من نية امير المؤمنين ما ملكنت ، وقد اكرهت المهدي على الزواج  
بك ، وعلى مسيرتك في معظم شهواتك ؟ » . الا انه امسك عن الالتفات  
الى الماضي ، وفي التحدث عن الامس ما يجرح شموخ السيدة الاثيرة .  
واكتفى بان يبدي : اذا صدق ظني ، يا ذات الجلالة ، فاني لاجد في الثلاثة  
قبلاً واحداً يسمى لتكيد عيشنا . وضع لموسى ولللبابة ولحسنة اننا المجلتون

في مودة امير المؤمنين ، فتعاونوا على اتلافنا . وما رأونا نعقد لهارون على زبيدة ، ونوشك ان نستأثر بلب الخليفة ، حتى اوجسوا شراً ، وتآمروا في صدنا عما ادر كنا من عطف ابي عبد الله . وكان ان لفقوا وشاية نصرتنا المقنع الحراساني، لايفار صدر الخليفة علينا. واوفدوا حسنة لثفت الاضلولة، فوقفوا لمقدم وهزمونا !

فلاح لها على صدق في الابانة . وغنمت : ان في ما تذهب اليه من تعليل ، يا يحيى ، لوفور اقناع . فليس ما يقعد بالثلاثة عن صوغ النائم لنسخنا . وعلينا ان نظري الثلاثة . فلا يطلع عليهم نهار !

فاستوضح ببعض وهلة : أنقتلهم ، يا مولاتي ؟  
فاجابت لا تخفي صبوتها : نقتلهم جميعاً . فلا ينقذك من عدوك سوى اخماد انفاسه . والا ظل شوكة في عينك ، وحرية في كبذك . فلن تأمن شره الا وقد مات . ومن يواعث الحياة فينا ان نفتك بالهادي وبلباية وبجسنة . فالى سفك الدم ، يا يحيى ، ولا تخش . لا بأس ان يموت الثلاثة لنعيش ا وحكمت بالموت على ابنها ، دون ان تكمد لها سحنة ، ويضطرب صوت . كأن عاطفة الامومة هانت فيها . بل كأن الهادي ليس ابنها . فجمد يحيى ، وقد تولاه الدهول . أبيضش بموسى الهادي ؟ ... وماذا يحلّ به وقد اخفق ، وتكشفت الدسيسة عن جليتها ؟ ... ووضع فيه للخيزران الوجل ، فصاحت به متأففة : ما بك ؟ ... أتخاف ؟  
فبلع ريقه مكرهاً ، وهو على طفاح يقين ان الامر يجاوز الوسع . وما استطاع الافاضة ببيان . فعادت الخيزران الى الصباح : أتخشى ، وانا عضدك ؟ ... اضرب ولا عليك . اني لانتلقى بصدري المغبة . هذا ليس

ابني . فلست اعرف لي ولداً يحمل اسم موسى . قد تكون ولدته سواي .  
ربما دفعته الى الكون احدى الجنّيات فنشأ على غرارها في شراسة الطبع ،  
وحب المشاكسة . ولقد تزوج جنّية . فما لبابة من الانس ، بل من الجنّ .  
والمنكودان اتفقا روحاً . والله ، لن اصون فيها مهجة . واذا ابيت ان  
تكون في قتلها نصيري ، فلن أعدم من اضربها به . أما حسنة ، أما  
تلك الحقيرة النكرة ، فاني لافع في كل حين على من ينزع منها الروح . غير  
اني لن اقلها اذا اوديت بموسى وبلبابة . بل ساطردها من حظيرة الجوارى ،  
واقضي عليها بالبؤس . فالسيادة في البلاط تبيت ملك يميني حين اقضي  
عنه شبح الزنبيين ، المعنين في التنكيد والمضرة !

فتمّ يحى برعب : ولكن موسى ولي العهد ، يا ذات الجلال . فاذا  
سلخته من رضاك ، فلا تنسي انه ابن امير المؤمنين . واي هزة تخضض  
الدولة العربية لدن يسقط فيها ولي العهد مضرباً بدمه ؟ ... انها لكارثة ترتعد  
لها الدنيا . ألا رافة بالارواح العزيزة ، ايتها الوالدة الرؤوم !

وبدا مخلوع الجنان . فوثبت من مجشها هاتفة : أنتخذي ؟ ... ما  
كنت احسبك جباناً ، يا ابن برمك . موسى سيوت . ولبابة ستلقى منيتها .  
ولن يبقى سواي في عطف امير المؤمنين . انا الدولة . والارواح في قبضي ،  
اقصف منها ما اشاء . واستبقي ما اشاء . فان تكن ذلك المتتوي في خدمتي ،  
فدعني اترحم فيك على ثقة لم تنزل ارضها . أنت من يدعي الاخلاص  
للخيزران ؟ ... سَفُه قولك . فما الاخلاص منك في جارحة . انك لتتظاهر  
لي بالولاء كي تظل راسخاً في مقامك . فلا يسخط عليك امير المؤمنين  
وينفضك منه . واني لاشفق عليك . وارانى في غنى عنك في شهوتي . انهم

لجمّ العديد اولئك المستبتون في التماس عظمي . خيل اليّ انك اصدق  
جناناً ، يا يحيى !

فتلاشي حيرة وانخذالاً . ان الخيزران لتدفعه الى الويل ، وتأبى فيه  
مهادنة . ألا ما يكون منه وقد اقتضح ؟ ... فلن تقف البلية عنده ، وعند  
ذريته ، بل ستمتد الى فارس على بكرة ابيها . فيدري ، في خلد العرب ، ان  
البرمكي يتابع خطو المنفع الحراساني ، في الكيـد للدولة العربية . وتقع  
الواقعة الصهور بين الامتين . ومن يعرض له في ذهن ان الخيزران ارادت  
البرمكي على نفس ابنها ، للنجاة من طمحاته ، وهو يسدّ عليها الطريق الى  
السؤدد والظهور ؟

وتصعب عرق الارتباك من جبين يحيى ومن قَوَدِهِ ، وقد ماع . غير  
انه ابي الا ان يكون ذلك النصيح الحكيم ، كما هو امره في جميع مواقفه .  
فقال بتؤدة ولين : لم نبلغ من الشحناء ، يا ذات القدرة ، ما يفرض علينا  
القطيعة . فالبرمكي موقن ان الوسعة العربية ، على مداها ، تجري في طاعة  
السيدة المختارة . بيد ان هناك من الحوائل ، دون المنى ، ما يصعب فيه  
التذليل . بل ما يبدو فيه التذليل فضيحة . واني لاضنّ بمولاتي ان تقدم  
على ما يشقيا !

فهدرت لا تهتدي بنصح : يشقيني ماذا ؟ ... أيعيب عليّ الناس الفتك  
بابني ؟ ... ولكني افتك بابن عاق . وهل من حق بالبقاء لابن يتنكر لاهمه ،  
ويتمرد على سلطانها ؟ ... موسى يهزأ بي ويحتقريني . فكيف اطيقه ناعماً  
بالحياة ؟ ... لا ، ايها البرمكي . فالضريح اولى بهذا المجترىء على من  
وهبت له النور . ستقتله وتحقق فيه رغبتني . والا فلم يبقَ من صلة بيننا ،



يا يحيى . بوسعك ان تفصل عن الخيزران !

فاطرق يذيب الفكر في ما تقدر عليه هذه الحقود الحرون . أتطيعه بينه في القضاء على ولي العهد، وهناك الحليفة نفسه في الانتقام لابنه ، وخلفه في سياسة الدولة ؟ ... وما سها عنه الربيع عدوه الشائم ، المفتوح العين ، الساعي لحبسه . فالربيع يتحين النهضة لاقتلاع هذه الساق الفارسية ، وقد نصبها في المطبخ العربي ابو جعفر . فتمت ، وطالت ، وعشش الطير في مجدول اغصانها . فاذا ما اتسع له ان يضرب بالفأس الجذع المقيت ، المخيم عليه ، والحاجب عنه فرجة النور ، فيا ما اشهاها من سائحة مرتقبة ، تحن اليها المهجة الزاخرة بالقروح !

على ان يحيى ، فيما يزن المخاطر ، ما نسي ان يروز المغامم . فان هو ظفر بتدويخ الهادي ، فالدولة باجمعها تبيت في قبضته . الدولة بالمهدي والخيزران والرشد . ومن هو المهدي ؟ ... رجل نقيّ الدخلة ، مع كل ما ينتفض فيه من غيرة جموح ، ومن نصب جائح في امتلاك الاعنة . فهو بمن حوله ، لا بنفسه . فان للبطانة فيه الكلمة المسوعة . ومن تكون الخيزران ؟ ... ان هي الا الطمّاحة الجشعة ، الرامية الى احتكار كل نعمة ، وكل رأي . على انها اذا ادركت مأربها ، فليس لها غير يحيى البرمكي تعتمد في امرها ، ودوام سيطرتها . اما الرشد ، فلا يزيد على كونه خيالاً ، بل رمزاً لدولة عربية اللون ، الا انها في صميمها فارسية خالصة ، ويحيى يديرها

والبرمكي على جليّ لإمام بوهن هارون، وبمحاوته الى من يقوده . فليس يملك رأياً ، ولا اقداماً ، وقد نشأ على ضعف . اذن فمن مصلحة يحيى ان يقع هذا الانقلاب في الدولة العباسية . فيتوارى الهادي ، وينتهي الامر الى

الرشيدي . وخطر له ان يجازف بجميع ما يملك من مال ، ومقام ، وروح ، ارضاء لنفسه ، وللخيران ، وان يكن الامل ببلوغ الطلبة ضئيلاً . فإما ان يفوز ، وإما ان يدركه الاضعلال . وإنه لعرضه للاضعلال يوم يصح الهادي سيد الدولة على منبسط تخومها

اذن فمن ربيع العائدة ان يجاري الخيران في البغية . فينطلق جهاراً في نصره اهواء السيدة المختارة ، وله من الفريسة الحصة الوزني . قال ببسة الدهاء المخضبة ، حين يشاء ، طلعتة الوقور : معاذ الله ان اسمى للانفصال عن مولاتي . فالبرمكي رفيقها اني جرت ركابها . وان تكن ترى في القضاء على الهادي راحتنا ، فلا كان الهادي ، وهو بوجع فينا أمد الشأو . سنزيل موسى من حلقة الاحياء ، ما دامت هذه مشيئة سيدتي الجليلة !

فاطربتها موافقته اياها على التقويض . واعلنت بفرحة ماجت بها اوصالها : أنجيل البك اني ازيع عن الصواب في ما اهد اليه ، ايها البرمكي ؟ ... في نحو موسى هنا تنا جيبعاً . ولماذا الابقاء على الدمل في اجسادنا ؟ ... لنضعه ، ولنسترح من مضه . لتتوجع ببضه مرة واحدة ، لثلا نغاني ابدأ شره . فمن لك تنتدبه للاجتاث ؟ ... أليس لك في اعواننا من يتدبر الامر بفظانة ؟

فعاد يجيل الرأي في المسمى . من يتولى الضربة البكر ؟ ... وما خفي عليه ما ستحدث من راعب الاثر ، ورهيب الصدى . الا ان الجرح لا يلبث ان يبرأ ، مها ذهب اليه الناقمون من تعليل وظنة . ولن تجهل الخيران كيف تزيل التهمة بما تكب من دمع هتون ، باكية ابنها ، ذوب حشاشتها . ورقبت السيدة الاولى من البرمكي ان يفضي بجواب . قالت وقد استبطأت بيانه : ما بك ؟ ... أما اهتديت الى سيف حام ؟

فاعلمن وهو لا ينفك من امره على ارتباك : عندي ان نصون اعواننا من مكابدة هذا المول ، لثلا تقع تبعتمهم علينا . فيسود فوراً الاذهان اننا اصحاب المكيدة . وخير ما نفعل ان نأتي بمن لا تجمعنا به عروة . فنسقط على رجل من ابناء البادية ، او من الحوارج العابثين بالنظام . فيقال عندذاك ان العصيان شدّ ساعد البطّاش ، فانتقم من الخليفة بابنه ، وتذهب الظنون عنا . ان العملة لتدعو الى شديد الحذر ، لثلا يلوح لها خيط يدل علينا !

فارتاحت الى حنكته في إحكام التدبير ، وقالت : لك اليد المطلقة في الاعداد والتجهيز ، ولن اعترضك في ما يقرّ هداك . وجلّ ما اصبو اليه ان انجو من شبح موسى . لك ان تحنقه بيدك ، او ان تضربه بمن يحسن اختطاف الروح . ذلك اليك . على ان تذكر ان لا خير في من تنتدبه للمهمة ان يكن واهي العضل . ففي موسى من القوة ما يطعن الصخرة ، وقد ملك ساعدين لا يثبت على صوتهما سوى طويل العمر . فاذا اصطفت كلبلاً ، غير مجرّب ، زدت في مناعة الهادي ، وقد قهرنا . فاحترس من الحية !

فابان : ساجتهد في السعي لتحقيق حسن ظنك بي ، يا مولاتي . فلن يكون من نرمي به الهادي سوى اخي حزم ومرونة . حتى اذا ضرب ضربته كانت القاضية . فيجهز بها فوراً على عدونا ، دون اضطرار الى ضربة اخرى ! قالت وهي تريد الخلاص فوراً من المحنة : على ان تلوذ بالعجلة . فالبطه مضبعة للفرصة . ما يدريك ما يكون من المهدي اذا نحن نمنا على البغضاء العاصفة بنا ؟ ... قد يصينا منه ما لا نتمم منه بشفاء !

فاوضح : امهليني يومين . وليس للهادي ان يمجا بعدها ! فرأت ان تطول له . قالت : لا بأس باسبوع . على ان تجيد تسديد النبلة !

وصرفته عنها، وفي القلبين فرحة ولهفة . فهما علي اغتباط بازاحة الهادي  
عن طريقهما ، ليثبا وثبتها البعيدة الشوط . وعلى خوف من اخفاقهما في  
المحاولة . فالخطر يرجع الامان في ما ينطلقان فيه من امنية جسيمة ،  
شاسعة ، سبوح ، لا ترتضي وقفة متقلقة ، بين بين ، وليس فيها مجال الى  
هوادة . فإما الصدر ، وإما القبر !

الشمس ، في بغداد ، على غلبان يتصاعد من كبد الارض بخاراً ،  
كألسنة النار ، وحسنة لا تبرح سادرة في ضجعتها ، لا تفيق منها ، مع  
اشتداد القيظ القارص ، المذيب . فقضت في كنف المهدي ليلة بيضاء  
الجلباب ، لم تأذن في اطباق هذب . والآن ، وقد استسلمت الى راحة  
الجسد ، وطمانينة البال ، فانها لترقد بلاء عينيها ، ناعمة بالصفاء الريان  
واقامت جارتها سعدة بالباب تمنع الجميع من اللفظ ، حتى ومن وطء  
الارض . والا نهرتهم وشتمهم بما لا يقرون فيه على نسبة  
غير ان هذه المقبلة الى المقصورة ، تطلب بالحاح المثل بين يدي الجارية  
حسنة ، لتخاطبها في امر ذي خطر ، ازعجت في سعدة غيرتها على سيدتها .  
فلم يكن لها ان تمنع في اجابة هذه الفارضة على المقصورة سيطرتها ، وهي  
تبدو فيها من لدن موسى الهادي ، وزوجته لبابة . قالت سعدة متململة :  
ولكن سيدتي بحاجة الى النوم ، ولم تذق له في الليلة الماضية طعماً !  
فاوضحت المفاجئة الملحاح : مولاي موسى ، ومولاتي لبابة ، يشددان  
في دعوة سيدتك اليهما . وكلفاني ان ابدو في مقصورتها ، وان ابلغها  
رجاوتها . فهل لك ان تحمي اليّ جوابها ؟  
فما استطاعت سعدة الا ان تهيب . وليّ العهد وزوجته يميلان الى  
مرأى سيدتها . وتولاها الارتباك . أتدخل على الجارية المرموقة ، وتنضو  
عنها غفوتها ؟ ... ولكن حسنة لم ترقد ليلة امس بطولها . فلم ترجع الى  
مقصورتها الا وقد تلاً الصبح . وعادت اليها على شوق طففعان الى

الانغماس في النوم ، والنعاس يأخذ بمعاقد اهدائها . واوصت سعدة بان تمنع الجميع من الحركة والافلاق ، وبان تحول دون دخول اي كان على مولاتها. فليس لها ان توقظها ما دامت في هجوع، حتى وإن تزلزلت الارض. فهل تعدد الوصيفة الى العبث بهذا النهي ، وتخدش راحة الجارية البخيلة برفاها ؟

الا ان موسى ولبابة لا تردُّ لهما طلبه . وسعدة موقنة ان مولاتها لا تبدي الغيظ حين تعلم ان ولي العهد وامراته يدعوانها اليهما ، مع كل ما تنوء به من عبء . قالت سعدة وفي صوتها رعشة من خوف مكبوت : سيكون موسى ولبابة على رضى . صبراً واعودا

وتنهدت وهي تقف بباب مولاتها تدقّه . فلم تسمع جواباً . فشددت في قرع الباب. واذا صوت يرتفع من كبد الحجره مستفهماً بغيظ : من ؟ فاجابت الوصيفة بارتعاش : انا سعدة ، يا مولاتي . اوفد اليك موسى الهادي وامراته لبابة من يدعوك اليهما ا

فكادت تنفجر امتعاضاً لو لم تعالنها الخادمة ان ولي العهد وزوجته يبغيانها. واطمأنت وابتسمت. ستطلعها على جميع ما كان منها في ايفار صدر المهدي على يحيى والحيزران وزبيدة . نجحت الحيلة . وهتفت بخادمتها : سأكون في اقرب آن لديهما ، يا سعدة ا

ومقطت وتثاببت . وتحفزت للنهوض وهي تشعر بوهن قوى . على ان الرغبة في الافضاء بالبشرى اكرهتها على خلع كل فتور عنها ، وعلى الوثوب الى الماء تغسل به وجهها ، وتستعيد نشاطها . وارتدت حلتها على عجل . وحثت الخطو الى دار موسى الهادي ، وفي نفسها مرح وانشراح ، كأن

السعد ملك بينها . وتراهى منها انها ترقص في اجتيازها السبل . ولم تكن تلتفت الى من حولها ، كأنها لا تبصر احداً . وتبعتها خادمتها سعدة ، حتى اذا بدت في اعين موسى ولبابة ، ارتفعت صيحات الترحيب : اهلاً ، يا حسنة !

ومالت لبابة الى الوقوف فوراً على ما كان من امير المؤمنين في الجارية الانوس ، فاستبحت بلطيف نغمة : ماذا ، هل فزنا ؟ فتجلت في قسامات الجارية المرموقة بسمة طفعى ، شفتت عن ضحكة طنّانة ، وانتهت الى القول : وهل ينجم لك ان الحبية ترصدنا ؟ ... لا ، وابيك ، يا ابنة جعفر . ما النصر الا حيث نكون !

فالتفت في معارف موسى ولبابة الفرحة . وران عليها الفضول . فقال موسى بشره الى معرفة ما كان من ابيه : ألا يمّ حادثت امير المؤمنين ؟ ... هل اقنعته بان خصومنا يفسدون عليه الطائنية ؟

فاوضعت : خاطبته بما اتفقنا عليه . قلت ان الخيزران ويجيى يضرمان في الدولة سعيير الفتن . وانها يد المقنع الحراساني في الكيد لامير المؤمنين . وان العقده لهارون على زبيدة جسرٌ الى تقويض سدة الخلافة بالمهدي ، ورفع هارون اليها . فالفرس لا يدخرون وسعاً في استعادة العز المدفون . وقد اعتمدوا يجيى في التدمير . ويجيى زخرف للخيزران مناواة ابنها الهادي ، الصلب الرأي ، والعطف على الرشيد المائع ، الضعيف . حتى اذا ما تولى الامر ، لقي فيه الفرس دعامة واهية ، فلا يصعب عليهم ان ينسفوها آمنين ! فصاح الهادي : لا فُضّ فوك !

وهتفت لبابة : انك لذات جرأة مثلى ، وبيان خضيب ، يا حسنة ،

فماذا كان من امير المؤمنين ، وقد وقعت في مسممه هذ الشواحي ؟  
فاعلنت بدلال : آمن بكل حرف منها . وشاء القدر ان يوالينا ، فاقبل  
رجال الخليفة بالمقنع الحراساني مكبلاً ، مفلول الغرب . على ان نخوته هدرت  
فيه وقد مثل بين يدي ابي عبدالله . فاستفاض بالمقال الجافي . فلم يكن من  
امير المؤمنين الا ان اودى به ، وبلّ بدمه البلاط . ونادى اليه يحيى بن  
برمك . فبدا المتافق مهابياً بسحق المقنع الناثر . ولكن امير المؤمنين هزّ  
كبده بما اطلق فيه من حائق التبكيث . فاتمه بالتواطؤ عليه والحيزران ،  
وبالتمهيد لكك العرش ، والتحويل بالرشيده . فسقط في عضد يحيى ، وانتقع  
لونه . وغار بعضه في بعض . ورعد ابو عبدالله : « والله ، لا طيحتكم جميعاً .  
فلست بمن ينام عن الاستطالة الفادحة ، وهي تكلفكم ارواحكم ، يا يحيى .  
أتحدثكم النفس بالنيل مني ، وانا القابض على النواصي ؟ ... ألا اربعوا على  
ظلمكم ، والا حصدتكم بسيفي كسيقان الشيع ، لا أبالي الرشيده ، ولا  
الحيزران ! » . فاستخذى البرمكي الخانع . وخرّ على ركبتيه في حضرة  
امير المؤمنين معلناً براءته ، وبراءة الحيزران والرشيده من الظنة . فما اصاخ  
اليه المهدي ، بل نبر : « الموت لكم جميعاً إن يخطر لكم تكدير عيشي ا » .  
فتتم يحيى بذل ، وهو يعرض سيفه على الخليفة : « ليضرب امير المؤمنين  
عنقي بهذا السيف ، ان تكن ثقته بي طارت عني ! » . ولكن المهدي حبب  
دمه ، وطرده من حضرته بنفار وحقد ، فيما يدعوهُ الى ابلاغ الحيزران ان  
الحركة تذهب بها ، فلتهدأ في غلبانها . فتراجع البرمكي من ابوان ابي عبدالله  
على كلوح ورعدة ، حتى خيل اليّ ان رجله لا تحملانه ، وانه يوشك ان  
يتدحرج مكانه ، فيعضّ الارض !



فصاحا معاً مستبشرين : ليته قضي ونجونا من خبثه . اجدت ، يا حسنة ،  
في نسخه من عطف امير المؤمنين !

قالت بتألق البشر : ولقد اختبأت حيث ارى واسمع . والتفت  
اليّ المهدي فيما ابدو في حضرته يقول ، وقد تواري بحبي مكفناً بخذلانه :  
« رأيت ما يلقي الماكرون ، يا حسنة ؟ » . قلت : « مدّ الله ايام امير  
المؤمنين ونعمه . اصبحت اخشى الجبر بعد الكسر . فليس من الجميل ان  
نغالظ البرمكي ما دمنا سنعمفو عنه لدى ظهور الخيزران فينا . بل الجميل  
ان نقهر فيه كل رجاء بنفيه من بالننا ، وبقاصئه عنا بلا رجعة الينا . فما  
ان تبدو أم موسى ، حتى نضرب صفحاً عن كل غصبة ، وكأننا رضينا عن  
الشر يستفعل ويسود ! » . فصرخ ابو عبدالله : « ولكنني لست المهدي اذا  
مضيت في مسaire الحية الرقطاء . لم يبق لها مستقر في ضييري . سامنعا من  
المجيه اليّ ، كأنها ليست أم موسى وهارون . واذا مضت في عنجبيتها ،  
فلا ترقب مني الا القضاء المبرم عليها . لن انا على حربة مسددة الى صدري اء .  
فابدت ان القوة في الثبات ، لا في الاكتفاء بالتنديد . وزدت في سخطه على  
السيدة الاثيرة حتى اضحت في خاطره فضالة حقيرة . ولم ارجع الى مقصوري  
الا وقد حشوته حمماً ، لا يحمد لها غليان . واعتقد انه سبطل منها على وقد  
لا يطفئه مكر الخيزران !

فاكبرا الجهد الاروع ، الا ان الحشية انتفضت في عروقهم جميعاً ، وهم  
يتمثلون الخيزران في دالنها على الخليفة . فليس ما يقف بها عن تقويض كل  
ما شيد اعداؤها لمحوها . قال موسى ، وقد انتابه السهوم : أتقوى على النفاذ  
الى رضا ، بعد كل ما اقمنا بينهما من الرواسي ؟

فاعلنت لبابة : ليست دون هذه المعجزة . على ان حسنة تعلن انها  
اجادت التهشير والتنفير !

فابانت حسنة ، وكأنها ليست من امرها على ثقة : كل ما لاح لي من  
امير المؤمنين دلني على ان ليس للخيزران ان ترجو النهوض من الحفرة .  
أما ان تقدم على الخوارق ، فهو بما لا يتفق لاحد ان يثنيها عنه . فالمكيدة  
قامت على رجلين وطيدتين ، وقد حققتها كما وضعناها . فان تكن الخيزران  
ادهى منا ، فليس العتب علينا في ما نملك من بضاعة التفوق . بل على  
الاقدار . وقد وهبت لها من الفطنة ، والصلابة ، ما يستعجز صفوة الدهاة !  
وغلبهم على امرهم هذا المضاء في الخيزران ، واسترخاه المهدي حينها .  
وانتشر فيهم الالم والشجن . واذا بموسى يذيع بقسوة ونقمة ما لا يبرح  
يدعو اليه : اذا اخفقتنا في تعكير الجو بينها وبين المهدي ، فما علينا الا ان  
نستأصل الدمث لنستريح !

فاستوضعت لبابة ، وقد اتسعت عينها : وكيف ، يا موسى ؟  
ولم تكن بحاجة الى الاستبضاح ، ولهجة زوجها الجياشة دلتها على مرماه  
السحيق . فاجاب لا يتقي كتاباً : سنقلها ، وما برحت اناذي بضروة  
الخلاص منها بموتها . والا نهشتنا بانباها الحداد ، لا تبقي منا على هبابة !  
فقال حسنة ، وهي من انصار ائتلاف الخيزران : وما هي وسيلتك  
الى محوها ؟

فاجاب لا يبالي مغبة البيان : علينا ان نلوذ بالسم . فالسم يطويها .  
ففي صرح اساس من الجوارري من نقوى على شراهن ، ودفعنهن في  
خدمة مأربنا !

فبلغت المرأتان ريقهما جزعاً، مع رهيف رغبتها في درء شبح الخيزران عنها . غير ان موسي ، وقد اعلن مراراً الفكرة ، مضى في تعليقها وتأييدها . ولم تجد لبابة وحسنة ما يحول دون الموافقة على الطلبة، مع كل ما تتسم به من دمامة . قالت حسنة، وقد طفت احقادها على خلجات الرفق النابضة بفتور في جناها : اجل ، لنقتلها . ساوفد اليها جارية بمن تضمن مقصورتي نسقيا حنفا !

فاوضعت لبابة : لن نتعب في الايقاد ، ولدينا في صرح اساس من يوافينا باخباره ، ويخلص لنا في ادراك الارب . عليّ التدبير ، وكونا بامان . فلن نقتل الخيزران من قبضتنا . فاذا تمّ لها ان تنجو من احبولة اليوم ، فلن تنجو من احبولة الغد . وان هي جاوزتها ، نصبنا لها احبولة اخرى . وهكذا حتى نوفق للتشكيل الامين بالافعى الفاغرة الشديقن لابتلاعنا !

فصاح موسى بجدة شاحطة : اذا لم ينجح فيها السم ، انقضضت عليها بسيفي احتزّ رأسها !

ولم يهرب ما تفوّه به من كاسح فظيع . فالابن لا يصون دم امه من الاراقة . فقالت حسنة، وقد خشيت ان يفعل ، وهو الطائر الوثبة ، فيفسد عليها جهودها ، بل جهدهم جميعاً : ولكن علينا ان نصبر ريثما نقف على جدوى تدبيرنا . فاذا هدم امير المؤمنين ، في السيدة الاثيرة طماحها ، وقلّم اظفارها ، وادنانا منه ، فلن نشتهي ما يعدو هذه الحظوة !

ولكن موسى جلجل ، وقد هاجت فيه اوتاره : هذا التقويض بالابقاء عليها لا يكلل بالفوز مساعينا . ولن تلبث امي ، ما دامت سليمة الروح ، ان تنضو عنها اسماها ، وتهبّ علينا عاصفة جائحة تذوينا مسوما . فما لنا

غير السم ، او السيف ، ينصفاننا منها ا

وهوت يده الى مقبض سيفه . وهجم على الباب ينطلق امنه عصاراً هادراً الى امه يخلع عنقها ، صائحاً بنفاد صبر : ولماذا التطويل ؟ ... بنفسى ساكفيكما شرها . لا مخاتلة ، ولا سم . بل ضربة جاثمة ، ونحن بسلام . هذه علة لا يحسها غير السيف الباتر ، والا جرفتنا اهرالها !

وثارت فيه البغضاء حتى لم يكن يناسك . سيقتم صرح اساس ، ويجتث ركنه غير مشفق فيه على روح . الا ان لبابة وحسنة وقفنا به عن مراده الانكد ، صائحين بارتياح : لن تفعل . لن تفعل . دعنا ننظم الامر على صحة وجه وبصيرة . فالعجلة لا تحمد عقباها ، وستذهب بكل حكمة أجندنا إقرارها !

ولكن هذه اللطفات لم تعد به عن غلوائه . فهو يتزى اضطغاناً وشهوة الى قتل امه . لتت وليذهب في اثرها . على ان يفنك بها . ووهنت قوى لبابة وحسنة في ردعه عن الطلبة المتوجهة شوقاً الى سفك الدم . وكادت المرأتان تولولان . غير انه فرض عليها الصمت ، والا شفى بهما حفائظه . وهال لبابة ما يزعم فتجرات على الصباح به مسترحبة ، مرتاعة : ألا اقتلني ولا تمسها باذية . أندري ما تستهدف له من عقوبة وضم ؟

فصدّها عنه وهو يدمدم عليها : ابتعدي عن طريقي . اصبحت لا استطيع . هذه المسترجلة لن تكون في عيني قذى . ساقتلها ولينزل بي من الشرور انكدها . فلن احفل بما سانهي اليه ، وقد سدت عليّ القبيحة كل منفذ الى المتعة !

وزلت بامرأته القدم لفرط الدفعة ، فكادت تسقط الى الارض لو لم

تنجدها حسنة . الا ان الهادي لم يلتفت اليها ، بل استعجل الطفرة الى صرح اساس تغلي فيه نزواته . هذه النيات الكوالح ، المعششة في صدر امه ، ستقودها الى القبر الموحش ، تسيطر فيه على هواها . وليس لذي مطمع ان يميل بها هناك عن رغائبها . فلتستأسد في الضريع ما شاءت . اما ان تقلق الاحياء بمكايدها ، وان تحرم ذوي الحقوق نصيبهم من السعد والرفعة ، فهو بما لا يبيح لها التعم باباها . سيقطع فيها الهادي كل مهزة الى السؤدد والبقاء وضائق عنه سبل بغداد في هجومه على صرح اساس . وركب اليه حماراً اقمراً ، لم يجد سواه بباب الدار من مطايا . وابصره الناس في جهامته وسرعته ، فتأملوه متسائلين : ماذا اصاب الهادي من محنة ؟ ... اننا لنراه على احتدام وجفوة !

وذكروا ما بينه وبين امه من مناكدة ، واستقصوا : هل قهرته الخيزران ؟ وما كانوا يرونها على صواب في سعيها لحرمانه ولاية العهد ، وهو ذلك القرم العنيد ، الجريء الفؤاد ، العامر الهيكل على نضرة عود ، وغضّ إهاب . على ان الهادي ضاع عن الجميع ، وهو المنتظر الى حاجته يقضيها ، وينفض أمه من طوق الوجود . وتناسى انها أمه . فهي الساعية به ، والماحية حظه من دنياه . على انها ستعلم كم يفرض عليها الظلم من ثمن ، وستؤذي عنه حياتها . وكاد يبلغ صرح اساس . فهو في جادة الصرح الفخيم ، المبسوط الرواء . ولكن من يرى ؟ ... من هو هذا المقبل اليه شاهراً سيفه ، وليس يفصله عنه ما يزيد على ثلاث خطوات ؟ ... من اي وكر أطلّ ؟ ... اي ثأر له عنده كي يفاجئه بالموت ؟

وارتبك الهادي . لم يبق بينه وبين الموت سوى بضع ثوانٍ . وتجلي له

في السيف المنتضى وجه أمه . فالحيزران رمت به طلع مبهتته . وشعر بالوقوف الحرج ، وقد ابصر بعينه حمامه . ليس له ان ينجو من الفتكة ، وكل سعي لردّها عنه محال . وعزّ عليه استلال سيفه ، والاندفع الى البطش به لن يهمله ريثما يخترط الحسام . فلم يكن منه الا ان فزع الى الحيلة ، صارخاً ، وهو يلتفت الى ما وراء من يتعمد اذاقته الهلكة : اقتلوه . اهرقوا دمه !

وارم هذا المنقضّ عليه بالنصّة أن وراه من ادركوا ما ينهد اليه من مآثم ، فمالوا الى ازهاق روحه . والتفت شاهر السيف ليرى من يتوعده ، فما كان من الهادي ، وقد لاذ بالساحة ، الا ان وثب على خصمه يرمي به في الارض ، وينترع سيفه فيقطع به عنقه ، زاعقاً : يا ابن الفاعلة ، ما ألام طبعك . أتريد ان تودي بي ؟

والناس ، وقد رأوا ، وعرفوا الهادي ، هتفوا له يكبرون شجاعته ، وفطنته . لم يغب عنهم انه مغوار ندب . أما ان يملك هذا الدهاء المتجادي ، فيردي خصمه ، فيما يوشك هذا الحصم ان يحكم منه شفرته ، فهو بما زاد في استئناسهم بولي العهد وحبهم له . وتخلّقوا عليه وصيحات الاعجاب تنطلق من صدورهم ، زاخرة بالحماسة والافتتان . وانهلوا بالظمن على الشائين . لا كان الجبناء الاوغاد . وشتوا بالقتيل المضرّج بدمه ، وهو من جبايرة ضخام ، اكتنزت جوانحهم بالقدرة ، وانتشر في ملاحهم الاعتداد . على ان الهادي فاجأه من حيث لم يكن يدري ان الضربة ستهوي عليه . فصرعه واستلّ روحه ، عابثاً بمناعته ، وعرض ألواحه . والتفت الى الجبع المحتشد حوله يعالّن القوم شكره ، ويقول : من يعرف فيكم الزنديق القبيح ؟

فصاح بعضهم : إن هو الا من الخوارج ، ايها الامير !  
فاطلق الهادي في الجمان الخامد النظر الشرر ، ونبر : نال جزاءه .  
فليتعض بحاله امثاله !

واكتفى لا يزيد . وابي ان يعود الى حمارة الاقمر يركبه ، وهو على  
متناول النصال فيما يمتطيه . فلن يعتلي غير الجياد العناق ، فتبعده عن مدى  
الشفار . وله من ارتفاع صهواتها ما يدرأ عنه مباغيات المهاجرين . وتفاقت  
فيه شهوته الى قتل امه ، ليقينه انها صاحبة الدسيمة الثالثة . فهي من دفع  
الخارجي الى قتل ابنها البكر . غير ان القوم ، وقد بدا لهم في جرأة  
الهادي البيظى اقدماً وحنكة نادرين ، حملوه على الاكف يعالونونه إجلالهم .  
ونخجل من ان يكشف لهم عن نياته ، فاطلق فيه ايديهم . ولم يكن يقوى  
على الخلاص من قبضتهم ، وقد ابوا الا ان يدلوا على تأييدهم له ، وايناسهم  
ببطولته

وفي لحظات قلائل ، وقع النبأ قاصفاً ، صاعقاً ، في آذان جميع من  
حوت بغداد من الخلق . واذا الوفود تهرع الى البلاط تستوضح . وتضخم  
مركب الهادي . وتعالى المناف له من كل صوب . وصاح صائح : الى قصر  
امير المؤمنين !

وردد المركب باسره : الى البلاط ، الى البلاط !  
وانطلقوا بالهادي الى مقر ابيه . والحليفة ما كاد يأذن بالنبأ ، حتى  
استكبر الخطب . أنبلغ القعة بالكاشحين مبلغ الاستطالة على ابنه ، ولي  
عهده ؟ ... وشاقه من الهادي ان يكون اتقى الغائلة ببصيرة نيرة ،  
وصولة وارفة . فصان بحصافته نفسه من المكيدة السافلة . على انه رغب في

معرفة منظيها . فمن هم الكارهون لولي العهد ، الساعون لتدوينه ونسفه ؟  
ولم يكن للمهدي ان يتعب في الخدس والتخمين . فما ارباب الديسة  
غير يحيى والحيزران . هما الساعيان لازاحة المهادي عن الطريق . والمهادي  
خيال يجب عنهما النور . والمصلحة تهيب بهما الى اجلائه عن أفقهما . وودّ  
الخليفة لو بقي الخارجي على رمت . اذن لتكلم ، وافضى بالراهن الصراح .  
الا ان موته سدل على الحقيقة حجاباً قد يكون صفيقاً . وهل ليحيى ، او  
الحيزران ، ان يعلنا بلا رهبة ، تديرهما القضاء على ولي العهد ؟

وجلبجل ابو عبدالله بسخط دامغ : ارى الامور تتعرج في دولتي .  
فالمكايد لا يهدأ لها حال ، كأني اعيش في جحر ثعابين . على اني رب هذا  
المنبسط ، ولن اعجز عن كبح جباح البطل . فاليد الالعبة بالنار ساقطعها .  
أبلغ من نذالتها ان تستطيل على ولدي ، ولي عهدي ؟ ... لو لم يكن  
المهادي على رباطة جأش ، ومناعة عصب ، لذهبت به الداهية ، ولكننا خيال  
فاجعة تصيبني في قلبي . اصبحت لا اطيق هذا العدوان المستفعل . وما  
استفعل لولا طول صبري ، ورخاوتي ازاء من حسبتهم يقدرون نداوة  
حلمي . لا ، وتربة ابي ، لن استعدي عليهم غير السيف الماحي . وما  
للحسام المرهف الحد ، بين المنصور ، ان يأوي الى غمد . فالرقاب تشرئب  
الى حيث لا يجوز ان تتناول ، وقد أبيض لها الزمام ، فبطرت ، وتاهت !  
والتوى على المهادي يعانقه ، ويغالي في ضمه اليه ، كأنه يرغب في ان  
يوقن ان ابنه نجا من المكروه ، وانه لا يبرح يملك العافية . وهناه بضلوعته ،  
ورهاقة ذهنه . فما ضاع ، ولا ماع . وهتف ابو عبدالله معجباً بابنه الاروع :  
بمثلك أفاخر الدنيا . فقد اظهرت ، لجميع من يستظنون لواءنا ، أن في



عروقتك يجول دم جدك المنصور ، وانك خليق بولاية العهد . فليس هذا المدعو غداً الى ركوب منصب الخلافة بالضعيف ، ولا الجبان . من معدتك ينشأ السادة . وعلى كنفين ككتفك تقوم العروش !

وتساقطت عليه التهانء من كل فم . وقيل الشعر المليح في ولي العهد الهمام . ووثب الربيع على البلاط يتوعد ، ويكبر إقدام الهادي . قال : الحمد لله وقد رزقك هذا الشبل ، يا امير المؤمنين ، يحطم يبرائنه انياب الذئاب . فما حسبت المناكيد ينشأخون حتى يقتحموا العرين . بيد انهم جهلوا من يناوثون ، وقد غرّتهم من ولي العهد طراوة عوده . وغاب عنهم ان الاقدار ليست في الاعمار ، بل في العزمات ، وان البأس يجري في العروق فور اكتحال العيون بلألائها ، فلا يرقب عهد القطام !

ووثبت لبابة ، زوجة الهادي ، الى صرح امير المؤمنين وفي شفتيها اللولة والاهزوجة . فهي على لفة وطرب . فجزعت على الهادي ، وسرّها ان يكون نجا من الاحبولة . واستوضحت عما اتفق له من رزية ، امعناً في الاطلاع على النبا اليقين . وما ترددت في الاعلان : هذه يد الخيزران ! وساورها من الظنون ما دم المهدي . فما ثمة غير الخيزران من ناقم على موسى ، يريد خذلانه واستئصاله . رأت فيه سيف ابيه القاطع ، فمالت الى ثلم حده ، بل الى تحطيم نصلته . الا ان العناية الساهرة انقذت الابن من وپل الام ، ونجا الهادي بسلام . ورجبت لبابة في رؤية زوجها لمعالتنّب نغمتها وبهجتها . ونادته ، وقد وقفت وراء الستار المضروب في زاوية الابوان . وما تمالكت ، وهي تخلو به ، ان ترمي عليه باسمة باكية ، ودمع الجبور يسبق فيها كل بيان . قالت وهي تمسح عبراتها المواتن : بابي انت

وامي ، أيجنح ابدأ الكاشعون الى اذلال فورة القدرة فيك ؟ ... انك  
لترديهم بسوفك ، ورسوخ دعامتك ، زادك الله صولة . فما ان تقع عيونهم  
عليك ، في اوجك ، حتى يعروم الكسوف ، وتسيل اكبادهم وهلة وحسداً .  
ولكن السماء لن تخزيك ، وقد اسبغت عليك نعمتها . فانت حربة في  
صدور الشائنين ، وبرد وسلام على مؤيديك . وانهم للكثرة في هذا  
المطبخ الفسيح !

فقال وهو يكفكف دمعا : ليس لنا ان نهلع ، يا لبابة . فلا بد  
لامي من يوم ادوتخها فيه . ولسوف يعلم الجميع ، بمن ضمتهم دولتنا ، أن  
الهادي يملك امره ، وان الخيزران لا تبغني الا شراً . حاولت ان تمسكي  
بي عنها ، فانظري الى اي دناة تسقت . فما كفاها ان رامت تزعي  
من خاطر امير المؤمنين ، حتى ازمنت قتلي . ولكنها عاجزة في الحالين ،  
ولي من رحمة الله ، ومن عطف ابي ، ومن علو همتي ، ما يقيني الانهيار .  
فالخيزران وحدها ستموت ، يا لبابة . فان لم تمت بيدي ، ماتت بحقدتها ،  
وهي لا تكاد تستنشق غير الضغن ، ولا تتغذى بسوى المكر . ويخطر لي  
ان ابقى عليها ريثما تقنى في مخابثها . ففي موتها ، على مهل ، ما تجرع به  
مراراً الهلكة ، وتنشئ الفناء ولا تقنى . لقتلها عضواً فعضواً ، بل ذرة  
فذرة . فهو اشهى لنا ، وأرجع لها . فالشمانة تحلو في ذلك الوجه القبيح .  
لبابة ، انت على صواب في ازدوائك اصلها المعوز ، العليل !

قالت : اقتلها كيفما تشاء ، على ان لا تسفك بيدك دمها . فمن الذل  
ان يشيع عنك انك فتكت بامك ، وابوك امير المؤمنين ، وجدك امير  
المؤمنين ، وعم ابيك امير المؤمنين ، ويومك يجهزك لغد تعلي فيه سدة

امارة المؤمنين . فليس لاعدائك ان يعبروك بطشك بامك ، وقد امسبت رب الدولة . والا لقيت التباريح . وانقلب عليك حتى الاعوان ، وهم يقبضون على سلاح قاطع يشرونه في مناوأتك، ساعة يلبسون فيك النفرة والاشاحة . فلا تهب لهم هذا السلاح ، وكأنك تنصرم على التكيل بك ، ونساعدهم على تشويه محامدك !

فاعلم بتؤدة ، وقد لاح له في منطقتها جميل الرأي : وهو ما تبدين . فلن اسدد اليها سهمي الا حين يضيق بي كل احتمال عنها. ولن اقتلها ببسني، لثلا تصني الاجيال بالعقوق . بل سادفح اليها من يفتالها . ولن ارتضي القضاء عليها بالنصال ، بل بالسوم . فاعهد الى احدي جوارها ان تسقيها شربة تصوحها بها ، ولا رحمها الله . فلا يذيع اني قتلتها ، بل يفشو انها قضت نجها . اما الآن ، فحسي ما ادركت من فوز . ان الايام لتخدمنا ، يا لبابة . فما عرفتي في حظوة تشبه ما ارتع فيه من نعيم !

واذا بحسنة تبدو مترجعة في اكمل زينة . وكادت تفتح صدرها لهذا الظافر باعدائه ، فتقبله بملء شفتيها . بيد انها تهبت لبابة وامير المؤمنين . فلن تثير غيرة الاب ، ولا الزوجة . والمهدي يتوهج غيرة ، حتى ليكاد يخفق وهو يسمع عاشقاً يتغنى بهواه . فكيف يرتضي ان يشاطره قبلات جاريته المرموقة فمٌ وخذ ؟ ... والله ، انه ليخلع مهجة هذا الشريك ، حتى وان يكن ابنه . ولبابة لا تحتل مرأى من ينافسها في حب الهادي ، حتى ولا في اختلاس قبلة من الزوج المهيّب ، القسم . وصاحت الجارية المرموقة فجا تبسط يدها لموسى تصافحه : عشت ، ايها الاروع . انك لمن نسل جبابرة عظام ، لهم بالرسول عروة وثقى . وما العجيب ان تفتك بالعلاج الوغد ،

بل العجيب ان تهب له اطلاقه من نفس . سلمت يمينك ! ... من امثالك  
زريد الرجال . حسبتك الحيزران قرماً ، فوافدت اليك من يزهي فيك  
الروح . ألا هانت في بغيتها الكفور . فان سهها ليرتد الى نحرها . أتريدك  
على الفناء ؟ ... قَبِّحْ مأربها الحيس . على انها ذات فضل ، يا لبابة .  
فظهر للناس لؤمها . وارتفع فيهم قدرنا . سبقتنا الى الشين ، وغلت منه  
ايدينا . فشكراً ، شكراً ! ... لن يقال : «فتك الهادي بامه ، فيا للذلة!» ،  
بل يقال : « تعمدت الحيزران القضاء على ابنها ، فيا للعار ! » . سلمت ،  
يا موسى !

وسمع المهدي صوت حسنة يعلو ، من وراء الستائر ، فحبا اليها يقول :  
ألا ماذا ، يا حسنة ، أنت هنا ؟ ... اراك لا تنقطعين في هذه الايام  
عن البلاط !

وشاقه ما تتجمل به ، وما يشيع فيها من فواتن . ودنا منها فألقى يده  
الى كفها ، بستروح ما تغلفت به من طيوب . قالت وهي تبسم له بمستفيض  
الوله : نفسي فداء امير المؤمنين . ان نحن الا الرياحين النامية بغيشه وغوثه .  
فاذا ما جئنا اليه ، فلنكي نبتل برفقه ورفده ، فنظل على غونا في طاعته  
ورضاه . ان الزهرة ، مع هيامها بالفيء ، لتشتهي انوار الشمس ، يا امير  
المؤمنين ، كي تستبقي مواهتها . فلا عجب اذا ما اقبلنا الى الشمس ، نستمد  
منها الانتعاش والبقاء !

فهتف بابتهاج : عوفيت ، يا حسنة . إن في عرفك من الشذا ما يملأ ايامي  
اخضلاً وأنساً . لكأنك ناسخة اشجاني !

قالت : وبما اهاب بنا الى ارتياد صرح امير المؤمنين ، ما وقع في

مسامعنا عن المكيدة المنسوجة لاغتيال ولي العهد . انها لطعنة في كل قلب  
هذه البادرة الوقحة ، الوغدة . أيقدم الاندال على هتك حرمة رب الامر  
في الدولة العربية ، على متناهي فجاجها ؟ ... ما حسبني اعيش الى مثل  
هذه الساعة ، يا مولاي !

و كأنها تعمدت اثارة غضبته ، وهو السريع الى الاحتدام . قال :  
صدقت . على اني ساعاقب الانكاس بما ينجع فيهم من ضغط وقهر . فيرى  
كل من يتفياً ظلي المشور ، حتى اقاصي التخوم ، ان المهدي لا ينام عن  
منكر . فكل يد اشتركت في حبك الدسيسة ساقطها من ابطها . بل  
ساجاوز الابط الى العنق ، واجرف اللثام هامة نلو هامة ، حتى لا أبقي  
على زنيم !

فلم تؤمن بتهديده ، مع غلوه فيه ، وغماديه في سخطه . قالت بنبرة  
من ارتباب : ولكن هل وقع امير المؤمنين على الجناة ؟ ... أيثب الى  
ذهنه اسم من اسمائهم ، وهم من اسم ؟

فالتفت اليها الجميع ، وقد تجلى لهم مقصدها . وارتفعت الانظار عنها  
لتهوي على المهدي ، وتستجلي ما تنتفض به اساريه . فبلع ابو عبدالله  
ريقه ، وقد لاح له من حسنة الاحراج . وقال بلهجة تغور في اعماق صدره ،  
وليس ما يسعها في الانطلاق : اذا جئت انطق بما في نفسي ، يا حسنة ، بات  
العامر خراباً . فلت اجهل ان الامر جسيم ، وخيم !

فاستوضحت الجارية المرموقة ، تميل الى اكرامه على البوح بما عنده :  
ومن يتراءى لامير المؤمنين انه اقدم على النكر ؟ ... أيكون هؤلاء الكفرة  
في حرز حرير تقصر عنه صولة المهدي ؟

فلمس في مقالها رهيف التحريض . فهي تغريه بدم الخيزران ويجيى  
البرمكي وهارون . انها لمتطيرة الاحقاد جاريتها المرموقة . وابى التخاذل ،  
وهو المفاخر بصدق العزيمة . وهاب تلطخ يديه بدم احب الناس الى قلبه ،  
فاعتمد على مسلك ينجو به من اللوم ، ويظل فيه على مكانته . فلا يشيع عنه  
انه تراخى مرة اخرى حبال الخيزران . وهنف : ولكن من هم هؤلاء  
الكفرة ، يا حسنة ؟ ... من هم هؤلاء المستمعون على امير المؤمنين ؟ ...  
أتعرفينهم ؟ ... هل تعرض لك اسماؤهم في بال ؟ ... ألا ازيجي عنهم  
الستر ، كي اصطادهم واحداً واحداً ، فتقوم في كل ساحة ، من ساح بغداد ،  
اعواد تتدلى عليها هياكل المجرمين . هل لك ان تفصحي ، يا ذات الاناقة ؟  
واخرجها كما اخرجته . فهو يدفعها الى الجهر والاثام . وما جهلت  
سوء مغبة الاعلان ، وستقف به من الخيزران موقف العداوة الصراح .  
بل لم تجهل ما سيكلفها من صدمات وتباريح ، ولن تنام عنها السيدة الاثيرة ،  
بل تجاهد في الانتقام منها ، حتى تبيدها . على ان الغيرة ، العابثة بكبد  
حسنة ، اعتمها عن كل احترام . ثم هي ابت الظهور بمظهر المتعلم ، الخانع ،  
ازاء تجاهل الخليفة المبطن بالدهاء . فجهرت بالقول الجسور ، الزاخر بالاحن :  
من يضر الشر للهادي ، يا امير المؤمنين ، فيسمى لعزله عن ولاية العهد ؟ ...  
من يشوه كل خلق ربيع في هذه البيئة المباركة ، كي يبقى له وجهه ، ويستأثر  
بعطف امير المؤمنين ؟ ... ألا من يشهد انبائه لركوب منصب الخلافة ،  
ويبعد عنه كل ذي حق به ؟ ... ان من تنقد ارواحهم بهذه الشهوات ، هم  
ارباب المكيدة . هم من راموا القضاء على الهادي ، كي ينجوا من تفوقه  
عليهم في رضاك . غير ان القدرة ، ابت الا ان تخزيهم ، حيث وهموا انهم

يفلحون . فاذا ما اعتزم امير المؤمنين ان يثار ولي عهده ، فليضرب هؤلاء  
المفسدين ، ولن يخطئ حكمه ، ولن تجرح يمينه الظلم !

وكشفت له عن متجها . فهي تنادي بموت يحيى البرمكي والخيزران .  
قال ، ولم يبق من سبيل الى التسويه : أينجم لك ، يا حسنة ، ان الخيزران  
صاغت خيوط الغائلة ؟

فهمت لا تبالي : هي هي ، يا امير المؤمنين . فالسلسلة ما تزال متتابعة  
الحلقات . اوجع الفرس ان يهونوا ، بعد عز ، فاحتشدوا في اثر أبي مسلم .  
ووجأ ابوك عنق ابي مسلم ، فقام المقنع الحراساني يطالب في عهدك بالانتقام  
للدن المسفوك . ومن هو المقنع الحراساني ؟ ... هو كل فارسي ، وفي الطليعة  
يحيى البرمكي ، الناعم بخيرك ، والشاهر عليك سيفك ، ولكن في الحفاء .  
فهو يتحين الفرص للعدر بك . وتجم له مطمع الخيزران ، في امتلاك  
الاعنة ، وايقن انها تنيله طلبته ، وقد ركب ابنها المقعد الاسى ، فشمّر  
لهدم الخلافة فيك ، كي يرصع بها جيد هارون . وما هارون ، في يد البرمكي ،  
غير قصبه مرضوضة ، لا يرتفع لها رأس . الا ان المقنع الحراساني اخفق في  
ثورته . وأبيت الا ان يرسخ الهادي في ولاية العهد ، فهاجت الحواطر  
المهزومة . وفتقت لها حيلة اغتيال موسى . وشاء ربك ان يدرأ عن موسى  
الكارثة . فالشكر لمن وقى . ولكن لهذا العيث الكريه ، في الدولة ، ان  
ينتهي . ولن ينتهي بسوى القضاء على من ينفثونه . فليضرب امير المؤمنين  
بيد لا ترحم . فالزنادقة كثرت تحت هذه السماء . ليحتزّ رؤوساً لا ترتدع  
عن غي ، ولا ترتوي من بحر . والا اقمنا باجمعنا على خطر . وكان الخليفة  
في طليعة من يستهدفون لفورة الخزازات الهوج !

فايقن انها على صواب . فالمنطق الحق ما تفيض به . بيد انه ، مع  
استخفافه بالهامات تنناثر، وبالاماني تجفّ ، تهيبّ البطش بالحيزران وبيحيى .  
جلّ ما سيقدم عليه ابعاد البرمكي عن السيدة الاثيرة . وكأنه بتر ساعدها  
الايمن ، وحرما قوة التدبير . قال يتحامي ما تستدرجه اليه جاريته المرموقة :  
اني لاؤيدك في ما تذهبن اليه من تخمين ، يا حسنة . فالمكيدة من صنع  
البرمكي والحيزران . ولكن اين الادلة على كونها حبكاها ؟ ... فالهادي  
اطاح الحارجي في وثبة صاعقة . فما ابقى له منفذاً لنأمة . وكنت اود لو  
ابقى عليه ، ريثما يذيع من حفزه الى ارتكاب الجريمة المنكرة . والله ، لو  
بقيت في الغادر الانكد ، خلجة من روح استلّ بها سره ، لانقضت  
على الاندال القبحار انتقاض الضواري ، أهشهم بمخالب امضى من مسنون  
الشفار . وأدق اعناقهم عبرة لكل متوقّح زنديق . فلا أرحم الحيزران ،  
ولا البرمكي . بل ما استني هارون ، وهو من لا تجمع عنه مودتي . الا  
ان الادلة تعوزنا ، يا حسنة . فمن لي بان يجيئني بها كي اكتب في التاريخ  
صفحة لم يسبق لقلم ان خطّها ؟ ... فيذيع عني الدهر اني رفعت للعدل منارة  
تهتدي بها الاجيال ، حتى انطفاء الارحام . احملوا اليّ من يدي بالحجة على  
تواطؤ الحيزران والبرمكي ، على الهادي ، كي اطرحهما في اسواق بغداد  
اشلاء دامية ، تتخاطفها الكلاب . اما ان اقتل ، وليس من دليل على  
الجرم كي استنزل العقاب ، فهو الظلم الديم ، ونفسي لا تشبهه !

وكان موفقاً في التنصل والاحجام . فاين الدليل الملموس على كون  
الحيزران ويحيى نسجا الاحبولة ؟ ... وما سها عن حاجته الى يحيى ، مع  
جفائه له . فالفرس ، مع متفاهم نفرتهم من العرب ، لا بد ان يكبحوا



جماهم ، وهم يبصرون احد سادتهم ، يتبرأ في رحاب الخليفة عالي المقام .  
على حين تفور شكائهم لدن يشاهدون كل هامة فيهم يشدخها السيف  
العباسي . فتعمّ الثورة ديارهم ، ويبيت العرش في هب الاخطار . وتلجبت  
حسنة حبال منطق المهدي السديد ، لا تسعفا البدية في اعتراض . فاين الادلة  
الكاسحة ، كي ينتضيا ابو عبدالله ، ويوشق بسهمه الاكباد النخرة ؟  
والتفتت الجارية المرموقة الى موسى ولبابة ، تستمد منهما الالهام . فما  
ارنعتت شفاهما بنبرة ، وقد اقاما بما نشر المهدي على شده . وايقن ابو  
عبدالله انه افحهم جبيماً ، وقهر فيهم وعورة المطلب ، فساق الكلام الى ابنه  
المادي يستطلع : وماذا يلوح لك ، يا موسى ؟ ... ألا توافقني على ما  
ذهبت اليه ؟

فاجاب المادي مكرهاً ، ولم يشأ احراج ابيه : اني لاجد الخير في كل ما  
يستفيض فيه امير المؤمنين !

وسدد الخليفة مقاله الى لبابة مستوضحاً : وانت ، يا لبابة ، ماذا ترين ؟  
فاعلنت وهي تنهد : الرأي رأي امير المؤمنين . فكل ما نجنح اليه  
ألا تعاد الكرة . فيمسي وليّ عهدك ، يا عمّاه ، مهدداً بالهلاك . فالحنانظ  
المتأججة لا معدى عن اطفالها ، لثلا نظل عرضة للتلف . وهو بما لا يروق  
سيد هذه الدولة . أجتاحتنا العدوان ، ونحن في كنف المهدي ؟

ونبرت حسنة : من الاثم الفاضح ان يقف الطفاعة من ولي العهد هذا  
الموقف المستطيل ، وان لا يجردوا في امير المؤمنين القوة الكاسرة الشكائم ،  
الحاطبة الانياب !

فغزّ على المهدي ان تنال لبابة وحسنة من صلابة مكسره ، ووعد :

والله ، لبس لصدر ان يتنفس، في هذه البسطة ، بسوى اذن مني . فالمخزاة  
لن تتكرر . واذا تكررت ، دمرت' العامر، واحرقت النامي. وان يكن  
بشخص لكم ان يجيى والخيزران ، هما اليد الجانية ، فسابعمد يجيى عن  
الخيزران ، واميل به عن تأديب ابني هارون . فليس ما يمنع ان يبرح  
بغداد الى احدى الولايات يسوسها . أيرضكم هذا التدبير؟ ... ان في عزل  
يجيى ، عن الخيزران ، ما يجرمها القوة على التنظيم والتفكير . فلا تحاول  
الصيد في معتكر الماء ، ولن تلقى من يهد لها السبيل الى المشهى الوبيل .  
منذ غد سيتولى يجيى الامر في ولاية متناثبة عنا، لا مجال له منها الى الخيزران!  
فقلت حسنة: هذه حكمة زكية ، يا امير المؤمنين. غير ان ثمة حكمة  
اعلى . لا تقطن ذنب. الافعى وترسلها !

فصاح متطيراً : ويحك، يا حسنة. انك لتغريني بدماء يمضني سفكها .  
فما بك كالرقطاء المتقلبة في الهجير ؟

فاعلنت بمضاء : إن تضرب اليوم ، فخيرٌ من ان تضرب غداً . وإن  
تضرب غداً، فخيرٌ من ان تضرب بعد غد. اطلاق ايدي الائمة، في المقابع،  
يبعث على الندم . فما يدريك ، وقد اخطأوا موسى ، ان لا يصيبوه بعد  
حين ؟ ... وما يدريك ، وقد اصابوه ، انك ستسلم ؟ ... ألا حطم ولا  
تشفق ، يا ابا عبداه . لا تشفق على من لا يشفق عليك . اصبحت اخاف  
شديداً على موسى ، وقد حامت عليه دسائس الخيزران. فإما أن تبعده الى  
حيث يقيم بأمن من الغواشي ، وإما ان تنثر جماجم من يتحايلون على  
شذخ هامته . فالبقظة ، اليقظة ، يا سيد هذا المطئن !

فابان برغبة حاسمة في اقرار الامور : هذا كله سانظر فيه ، فصبراً .

على ان مصير يحيى بات لا يحتاج الى مباحثة وارجاء . سادف الساعة  
المشاعب الى ازربيجان يتولى شؤونها ، ويكون فيها عند متناول يدي ،  
ومرسى عيني . فإن يتحرك ، بتوت فيه محركه ، واخذت انفاسه الحرار !  
وانجز ما وعد . ففي اليوم نفسه دعني يحيى البرمكي الى ولاية ازربيجان  
يسوسها . فاجاب ملويّ الهامة . وضجت بغداد للنبا ، ولا سيما صرح اساس .  
فالخيزران لم تكن تهدأ لفرط ارتباكها ، وخذلانها . موسى ولبابة صرعا  
فيها الفياش والدلال . وما غابت عنها حسنة ، وقد لاحت لها للجارية يد  
في الحسف والتكدير

وايقنت السيدة الاثيرة ان اعداءها تفوقوا عليها . واقرت لهم ، مكرهة ،  
بالغلبة . واحست بالردة تظمى عليها ، وبالجزع يحزّ في خاطرها . فضي  
عليها في حنان امير المؤمنين . ولكنها ، وهي المفطورة على الجبروت ، لن  
تبيح للباس محوها . فما ماتت ، ولها في البقاء جذور لا يعدو عليها  
الاضمحلال . وصمت على النضال حتى استمادة منزلتها . فلن تنهزم في  
رضى ابي عبدالله . فالبرمكي سيعود اليها . وكل ما تقدر عليها الحالة ان  
تنام ريثما تنبدد الغمامة ، ويصحو الجو . غير انها نومة اليقظان ، فتظل بها  
حذرة ، مفتوحة العين ، والغد لها . وآمنت بهذا الغد ، مع كل ما ينتخبها  
به يومها من عابس لحظ ، وجهم حيا . فالقوة تنكشف في الظفر بالنائبة ،  
لا في البطر في الزمن الحصيب

واعتصت بصرحها لا ترحف منه الى المهدي . فالموعد لم يحن للازدلاف  
والعتبي . على انها ، مع تظاهرها بالصبر ، لم تكن تطبق في اعماقها هذا  
الضم الكاسف . ولكن وعورة الموقف تقدر عليها الخنوع ، ريثما تهدأ

الفورة . وماذا تستطيع في المهدي من اقناع ، وتبييض صفحة ؟ ... هل لها ان تنكر نواظوها والبرمكي على ابنها موسى ؟ ... هذا الخارجي ، المغلوب على امره في اغتيال الهادي ، دفعته يمينها الى البطش بولدها البكر . جاءها به البرمكي لتطلقه في صدر موسى شفرة قاطعة . فاصطاده الفتى بحيلة تحيّرت بها الالباب ، واكبرتها . والسيدة الاثيرة تخشى ، اذا ما نهادت الى الخليفة ، تسأله في نفسها ، ان مجاسبا امير المؤمنين في البادرة الحبيسة ، وان يرميها بالسفال والوغادة . بل خشيت ان يهدم عليها البلاط انتقاماً منها في حقارتها ، وما تورعت عن اباحة صدر ابنها لطعنات النصال وما فتئت تلوذ بالاحتجاب والصمت . فهي على خجل من زوجها ، ومن ابنها ، حتى ومن نفسها . الا انها ستدّرع الانكار ، ولا نهون في رد التهمة . وخصوصاً بعدما سقط اليها ان الخارجي مات ، دون ان ينسج له مجال الى الهنة

وطوت جناحها على غلّ ، ترقب السانحة المؤذنة في الظهور . وطال جفاء المهدي لها . فما دعاها اليه في تأنيب ، ولا في لوم . وانقضى عليها في عزلتها اشهر ثلاثة ، دهمها فيها الاختناق . فالبلاط ميدان فسيح لموسى ولبابة وحسنة . وهي ، الحيزران ، في زاوية مظلمة ، تجزع مرارة الضيم والاختناق . الا انها لن تموت ، وستستعدي الدهر على شهوراتها . فالامل ما يبرح ينفش في خاطرها ، مع كل ما يساورها من فجيعه النقمه ، ورهبة الحزي والحرمات

لم يشأ، هؤلاء الفرس، ان يستنموا الى الحكيم العباسي، المعن في رؤوسهم قطعاً ونثراً ، والفارض عليهم سلطانه بقسوة وزرابة. فما برح ظل السؤدد القديم بمدوداً في اذهانهم . وما انفكت شهواتهم تسوقهم الى احياء العز المظهور . فاذا قضى عليهم الدين بالانحناء لمشيئة الخليفة ، فما ارادهم على الخنوع، وقد ولدتهم امهاتهم احراراً. والخليفة يسترقهم، ويستخف باقذارهم، فحقدوا عليه ، وجبهوه بالثورات يؤلمون بها مهجته . فما ان تنطقه جذوة الفتى في خراسان ، حتى تندلع ألسنة النار في جرجان . كأن بلاد فارس ارض براكين ، اذا ما خبا فيها بركان ، هاج بركان

وتلظى ضرم الفتنة في جرجان، بعد استئصال نقات المنع في خراسان، المترحة على فتاها الندب ابي مسلم، والنافرة الى الاخذ بالثار. وتالم المهدي للنبأ ، وضاق به . أنشعل بلاد فارس، على بكرة ابيها، بالحفاظ السخان ، فيما تقبض يمينه على قضيب الخلافة؟ ... اذن فالقوم على استهانة به، ولبسوا يجلونه محل ابيه من الاجلال والكرامة ؟

وكاد يدعو اليه البرمكي يتوعده ، ويضرب عنقه عبرة للمستذئين . الا انه خاف ان يزيد في اضرار اللهب . ربما جاشت اوتار هؤلاء العصاة ، انتصاراً للبرمكي المخلوع الجناح . فلماذا التادي في الاحراج ، وقد يدفع الى ما لا نحمد فيه العاقبة ؟ ... فالحكمة تدعو ، في البدء ، الى خنق الهرج . حتى اذا ما ثبت ان البرمكي هو المعرض ، تندرج رأسه حيث تغور نواصي الشذاذ

ولم يبلغه ارضاده من امر البرمكي ما يبعث على الريبة . فانه لمنقطع الى تدبير شؤون الولاية بمحنة ودرابة يجلاته عن الكيد . فلا يسعى اليه ذور الفساد، ولا يخالفهم ، وهو المعتكف على ما يتولى من اعمال ، وليس يجاوز ما وكله به امير المؤمنين، وما يجفزه اليه امر المنصب . وهذا الكمال في السيرة سان يجي من الفتكة . فسكت عنه الخليفة ، ولم يكن له ان يتهمه بباطل . وانصرف المهدي الى التفكير في من يملك الساعد الماحق لبتز المقلقين ، وسد الفوهة المتطيرة الشظايا

أليس له في قاداته من يعول عليه في الموقف الحاسي ؟ ... واستعرضهم في ذهنه واحداً واحداً ، وتنفس بألم . ودّ لو سار بنفسه الى قمع الهياج المستفجل . ولا عليه إن هو تعرض للمنايا . فعلى سيد الدولة ان ينتضي بنفسه فيصله في الذود عنها ، ووقايتها العوادي . وفيما يغيب في خواطره الجارى ، اذا به يفاجأ بصوت نغوم ، يجييه بمخمر الجذل : السلام على امير المؤمنين !

فشاقتة رنة الصوت . الا انها وقعت عليه في غير اوانها . فما يتسع المجال للمنادمة والطرب ، وغمّة ما هو اسمى مطلباً . فالدولة تعاني نهش الانياب في المكامن الحساسة من هيكلها . والضرورة تقضي بتحطيم الناهشين الاوغاد . على انه لم يتقم على هذه المقبلة اليه في خلوته تعرض عليه صباحتها . بل ابتسم لها ، وفي طلعتها النديّة ما يذهب عن النفس بالشجن . قال يرد التحبة بارتباك ومضض : وعليك السلام ، يا حسنة . فما تحملين اليّ من مبدد للكدر ؟

فهمت بتأثر مفاجيء : أيعاني امير المؤمنين الاكدار ؟

فاطلق دندنة متأوهة ، متهمكة ، واستوضح : وهل يبدو لك اني على بهجة ، يا حسنة ، والاحن تنوائب في جرجان ، ولست ادري بمن اجثت دابرها ، كأني على فحط في الرجال ؟

فتعالت فيها صيحة من اهتدى الى الضالة المرجوة ، وسألته بدهش : أيبعث امير المؤمنين عن يكل اليه المهمة ، ولديه ولي عهده موسى ؟ ... ما عرفت فتى حركاً كالهادي ، يا ابا عبدالله . فانه ليظرم اقداماً وحصافة . ابقاه ربه ، وضاعف ايامه . أحسبك خبرته في انقضاضه على الخارجي ، كالصاعقة المعرفة . فما كاد الزنيم يدير وجهه ، حتى كان الهادي يثب عليه كالشرارة ويستأصل روحه . ان في الهادي لدعامة أيّدة للخليفة المفدّي ، وللخلاقة العليّة . فاضرب به اعداءك ، وليس لمشاكس ان يعود الى العبت المستطيل !

فاستصوب الرأي . ولكن الهادي غير مجرب . فاذا ما قذف به ابوه المقتنين في جرجان ، خشي ان تنوء الذراع اللدنة باثقالها ، وان يتفوق عليها الكاشعون . ولكن ما يمنع ان يسير ولي العهد ، على رأس الجيش ، الى تدوينع العصاة ، وان يسدد خطوه قائدٌ وهبت له الشدائد سين العظات ؟ ... فالمدعو الى ركوب العرش ، لا ضير عليه ان هو عرّض صدره للنار ، وارتقى السدة بضلاعه ، وقوة ساعده ، لا بالاستناد الى حقه بما جهزه له ابوه . وجلجل المهدى : اجدت الاختيار ، يا حسنة . سارمي الانزال بولي العهد يحصد هاماتهم ، وينذل فيهم العرام . فاين موسى ألقى بين يديه امر التنكيل بمن تغلي في صدورهم القمعة ، وهم دون البغاث ؟

وصفق بيديه . فأطلّ حاجبه يزمّ نفسه ، حتى كاد بمسي شعباً ضيّلاً

إزاء الخليفة المنشور الظل . قال ابو عبدالله باحتمام : ابن الهادي ؟ ...  
أريده بلا ابطاء !

وما توأرى الحاجب ، للبحث عن ولي العهد ، حتى كانت حسنة تقول  
بوارف المسرة : ستجد فيه نجلك المصطفى ، وحفيد ابيك الحقيقي بما تسند  
اليه من المعالي. فاني لموقنة انه سيكبح جماح الشر بقبضته العاصرة الصلب.  
فلا تقعد به منه عن اقتطاف جنى النصر . ابن عشرين لن يغور في عويص  
الامر ، وهو قبسة من سلالة النجاد !

فقال المهدي بسنيّ الاغتباط : إن هو قهر الشداد ، قهر منارثيه . فلا  
تبقى للخيزران عليه حجة في تقديمه على هارون. ساعهد اليه في حملة التأديب  
كي ابلوه !

ونض له يمشي اليه ، وقد بدا في الابوان بصدرة العريض ، وبفتوته  
العامرة ، المهيبة . وأماله اليه وقبله في جبينه . وقال بجزيل الطرب: ارى  
ان ادفعك الى الجلائل تفزوها ، يا موسى . فكن عند حسن ظن ابيك .  
انتدبتك لقمع فتنة جرجان !

فما ارتاع الفتى ، ولا بدر منه الاحجام. بل ضحكت في نضرتة الغبطة ،  
واعلن بفضفاض الرضى : ولكني على ما يقضي به ابي . أيدفني الى اقتناص  
المجد واتباطاً ؟ ... لست نجل المهدي ان اقف عن تحقيق الرغبة . اني  
لشاخص على الفور لاطفاء الضرم !

فعاد ابوه الى معانقته ، وهتف : عشت ، يا موسى . ما عرتني بادرة  
من ارتياب بمضاء عزمك . اني لحافزك الى الشر تقتله ، وانا موقن انك  
ستوفق للبغية . على اني لن اطلقك سراً ، بل علناً . فتجري الى تذليل



العقبة بطل وزمر ، وقد حفّ بك جيش ضخم يسير في طاعتك ، وتقوده  
الى الفخار !

فتلظى الهادي ابتهاجاً . فالاماني ملء اليدين تقبض عليها الاصابع العشر .  
قالت حسنة : سوف تراه في الهيجاء سيفاً صقيلاً يقلق هامات اعدائك ،  
يا امير المؤمنين . فما الهادي سوى ظلك ، بل هو مثالك . فالابن تجسّد  
اباه . وستكون به مسروراً ، وسيجيئك بنواصي اعدائك مبذولة صاغرة ،  
تتمرغ في غبار نعليك . فما عرفت المروءة والاقدام ينبعان من صدر فتى  
هام ، كما يتدفقان غزيرين من حوافي موسى الاروع الميسون !

فشرر المهدي حسنة برين جاولتها الغيرة . وهتف بصوت يترجع بين  
المزاح والجد: انك لتحميليني بهذا الاطراء المستطاب على الشك في النيات ،  
يا حسنة . فما بك تسرفين في المديح ؟

فقصفت ضحكة متمادية ، طنانة ، وصاحت بجذل : أيدور في خلد  
امير المؤمنين ان حسنة ، الجارية المخلصة ، تزلّ بها القدم في صادق المودة ؟ ...  
لا والله ، يا ابا عبدالله . هذا ابنك ، ابنك . وقوة ساعده ، وحن بلائه ،  
يفرضان عليّ الاقرار بالشأو البعيد ، وباذاعة الفضل الحلال . فليطثن  
بال المهدي الفذّ !

وتتابعت ضحكتها تذيب غيرة الخليفة . أما الهادي فجمد مطرقاً ،  
جليل الطلعة ، رصين العين . هذا كلام لا يلقي الى مثله . وبدا في رزائته  
كأنه احد اشياخ الوقار ، الراسخين في النبل العريق . فليس لهذا المقال ،  
يفيض به ابوه ، مجالاً الى الاعلان في مزاح او جدّ ، وهو النابي عن الثقة  
المفروضة على الاب ازاء ابنه الوفيّ ، وعن الحشمة المقدورة على الابن حيال

ايه . واستدرك المهدي، وقد لس في بيانه التقليل، فابان: لتكلم جادين .  
سأذيع اليوم في طول الدولة وعرضها اني عهدت اليك في الضرب على ايدي  
المفسدين ، يا موسى . وساعدك الجيش الحقيق بانالتك الصبوة . فكن على  
أهبة ، ولا تخيَّب اباك . ولا بأس ان تختار من تسكن اليهم من القادة .  
فن حقاك ، والتبعة ترسو عليك ، ان تنتخب معاونيك !

وكان للنبا الدوري المتجاوب الاصداء . فتناقله بغداد بشوق الى بلاء  
ولي العهد . فمن اي معدن هو الهادي؟ ... وما هي ايام قلائل حتى وقف  
المهدي ، في الجلّة من اقطاب الدولة ، يخطب في الجيش المدعو الى كبح  
جماح المفسدين . قال ابو عبدالله يخاطب جنوده ، بما أوتي من قاهر السلطان:  
انتم ساعدي في تقويض الشغب ، وتدزيغ الفتنة . فكونوا النبلة الجائحة  
والفتكة البكر . ولقد رصعت هامتكم بموسى ، ولي عهدي . فهو منكم  
القبضة الساحقة ، والدماغ الهادي . واحسبكم تعرفتم اليه بما سقط اليكم من  
علو هته . فكونوا له على صادق عون ، ووافر اذعان . انه ليثب بكم الى  
النصر ، فانظورا له على ما تحفظون في حناياكم لاييه من اكرام . وهو  
فانذكم اليوم ، وخليفتمك غداً . واني لاقده الصمصامة ، سيف عمرو بن  
معدى كرب ، ذلك القرم العنيد ، من اقطاب الجاهلية والاسلام . فيستبد  
منه الجرأة والحنكة . ويعتمده قدوة في الكرم والفرّ ، وكسر شوكة  
المعاندين . فانطلقوا ، وعليكم سلام الله . انكم لتقاتلون اشراراً طغاة !

فماج الجمع بالهتاف : الله اكبر ، الله اكبر !

وانبرى من يصيح: الحياة للمهدي، ولولي عهده الهادي. والويل للمارقين!  
وتعاضم التكبير ، وصباح التأيد ، فيما يدفع ابو عبدالله الى ابنه موسى

سيف عمرو بن معدي كرب، معلناً: هذا هو الصمصامة، المخضّب الشفرة بالدم البغيض. افي لاخلعه عليك كي تزيد في مجده ومضائه. انتضاه ابن معدي كرب في مغالبة اعدائه، ونثر به الجحاجم كمرضوض الحصى. فانهج نهجه، وكن خير خلف لخير سلف. هذه الاعناق الماتعة في جرجان، باتت يانعة، فعليك بالحصاد، وقد اعددت لك المنجل. لا تشفق، ولا تستبق. فكل جيد اتلع اضرب به الارض، ودمه في عنقي. لا حياة للمنافقين |

فتوالى الدعاء بالنصر المبين. وتحرك الجيش، زاحفاً الى شرقي العراق، في شخوصه الى جرجان. وتحمت بغداد على نفخ الابواق، وخفق البنود. وسار الهادي في المقدمة بمطياً جواده، وشاهراً سيفه. فكان لمرآة الوقع الحفيّ في القلوب. والتفتت حسنة الى لبابة، الدامعة العين، تقول لها، وكانتا واقفتين على سطح القصر، في حفل من نساء البلاط: أتبكين، والحليفة يزفّه الى المعالي؟... والله، لم يقدم ابو عبدالله، في سبيل الهادي، على مبرة تعادل هذه الغزوة الدانية القطوف، المضمّخة بعبير الفوز والسموق. وسيعود منها موسى باكليل الغار، كخالد وابي عبيدة. فاطربي، ان المجد ليعفّر جيئه عند قدميك. هذا يوم سينقش في جبينك التفوق، ويلقي في عينك مقود السعد. فالسعد اضحى جارية صاغرة من جواريك!

فغفمت وهي لا تتالك عن ذرف دمعا: افي لاخاف عليه من المعاطب، يا حسنة. فما يدريك ما يجيء له الفد؟... على افي اسأل فيه الله. فالعيون العائنة تزجر له طير النحس يمرّ به ويردبه. وهل تجهلين مخابث الخيزران؟... ان تكن وقعت، في بغداد، على خارجي يطمس في ابنها النسمة، فكم

ستهندي في جرجان الى خوارج لا يتورعون عن البطش بالهادي ، كرمى  
عينها الضيقة ، العشوم . فلا تنسي انه يثب على بلاد فارس ، وان بلاد  
فارس وطن البرمكي اللود !

فهزت هذه المخاوف كبد الجارية المرموقة . الا انها أبت ان يسطر  
البأس على لبابة ، فقالت تنفخ فيها الجلد والامل : ولكن الهادي ليس  
بالواهي العزل ، ولا بالمستطير اللب . فما ان يشعر بالملمة حتى ينسفها  
ويذروها . طيبي قلباً . اني لعلى استبشار بالمهمة الموكولة اليه ، وهي  
عندي الدرجة الاولى في معراج السؤدد، وستشهد له الى الاعالي يربع بقمتها .  
والا ، ان هو بقي في الزاوية، يعاني تباريح الحمول ، فلن يضيء له سنى ،  
ولن يعلو له شأن . اطلبي له ان يجرسه الله من كل مباغته ، وان يرد عنه  
قسوة التقادير !

ونظرتا معاً الى الكتابب الجراوة، المندفعة الى الافاصي لبضع الدمل .  
وغابت لبابة في نواحيها ، وقد تباعد عنها زوجها في قيادة حملة القمع  
والتأديب . فاشفت عليها حسنة ، وقالت تخفف من لوعة ابنة جعفر : لا  
تتلهفي على بعباده . فما ان يخضد شكيبه العصاة ، حتى يعود . واذا لم يعد ،  
فالخفي به ، ولا عليك . فالجياة هناك اصفى ، وامتع . وابتعدني عن  
اوجرة الذئاب !

واقامت تنفي عنها الجزع . قالت لبابة : لكأني أحس مخلو ما حولي ،  
وقد نأى عني موسى . فما ثمة غير فراغ . واخشى ، اذا ألمّ به مكروه ،  
ان تمرّ بي الحيزران وهي تجرّ ذيل التيه ، شامته ، مستهينة . اجل ، يا حسنة .  
تلك الام الشرسة ، الداغرة ، تضحك متخابثة في مأثم ابنها . آه للمعالي ، ما

اصعب ركوبها . ففي حلاوتها لذعات من مرارة تذهب بكل شهد . فلن  
 يشتر العسل الصرف من يرقى الى الذرورة ، وفي مطاري العسل لبر النحل !  
 وادمت قلبها القطيعة . ونظرت الى الغد ، فبدا لها كالحأ ، على ما  
 يتوهج به من اضواء . فالكيد والدس ، هما خير ما تجود به الايام على  
 المستعلي . ولبابة ، مع صبوتها الى بلوغ الاوج ، تولتها الحشية من وعورة  
 المرتقى . على انها اتكلت على الله ، وهو مبدد كل عسير . وقالت تخاطب  
 حسنة ، برغبة ملحاح في دره كل غاشية عن موسى : سألحق به على الفور ،  
 يا حسنة . على الفور . فلن ارتضي ان اتعم ويشقى . وجودي بقربه يدفع  
 عنه حفلاً من الرزايا . وهو بحاجة الى رأي صدوق . وهل يلقي اليه هذا  
 الرأي سواي ؟

وانحدرت من السطح ، الى صدر الدبوان ، تطلب المثل بين يدي  
 الخليفة ، عمها . وما ابصرها ابو عبدالله حمراء العين ، تنوء بالكعدة ، حتى  
 بادرها بالصيحة المدهوشة : أتبكين ، يا لبابة ؟ ... ولكني اطلقته في  
 اقتناص النباهة ، يا ابنة اخي . سيعود اليك على فيض من فخفخة وعز .  
 فتحدث عنك وعنه المجالس بالتعظيم . وينحني بين ايديكما كبار القوم  
 بوفر من اكرام . فالمجد بيت صنع يده ، لا منحة ازجيبها اليه . ويشق  
 عليّ ان تدمع عينك في مجال الغبطة . فمن حقا ان تنهي على جميع  
 اترابك ، وقد بلغ زوجك ، من الرفعة ، ما يشاق اليه كل ظامى الى السمو ،  
 ولا يتفق له ان يلج منه الباب ، حتى ولا ان يظأ العتبة . ان زوجك لمن  
 يقيمون من دهرم على حظوة . فاشكري للزمن هبته المثلى ، واطربي .  
 فالطرب خير مفرع لمن ادرك هذا النجع العريض !

واستبقاها ريثما تنجلي دهمة المراك. ولم يكن الهادي رخو الجناح في التنكيد والتوطيد. فما ان بدا في ولاية جرجان، حتى ضرب العصاة بباتر فاصل، زعزع به الهمم الفائرة، ولوى وثبة اخوان السوء. فسكنت الغوارب الجائشة، وامتد الهدوء حتى لم يكن لنبسة ان تقلق صفاه الاديم. وطرب المهدي وقد سقطت اليه الانباء السارة. وفاخر بالهادي الهمام. واندفع اليه الشعراء يهنئون ويمدحون، ويطنبون في محامد وليّ العهد الاشمّ الاروع. وانتقت المخاوف عن لبابة، فاقبلت على امير المؤمنين مستبشرة معجبة. قال المهدي بفيض من جدل وايناس: ما كنت اجهل انه ذلك المقدم الاهيب، يا لبابة. ففي عروقه دمّ صافي المعين، وثاب المهزّة. لو كانوا ألفاً، وكان فرداً، لزمهم بلا عياء. هذا من قبل فيه واحدٌ بقم ألف. فابشري، يا ابنة اخي!

قالت بمرط الدلال: أرايت انه حقيق بولاية العهد، يا عمي؟

فاعلن بجزيل الارتياح: اني اعلى صادق الايمان بقدرته وبأسه. ولولا هذه الثقة مني به، وقد خلعتها عليه بعدما لمست فيه حميد البلاء، لامسكت عن ان اقلده المنصب المنيف. كوني موقنة، يا لبابة، ان اختياري له كي يخلفني لم يكن مرتجلاً. فطال تفكيري في الامر قبل البت. والا فما كان يمنع ان اوثر عليه الرشيد، لو رجحه ابن الخيزران المصطفى؟... ولكن الدولة بحاجة الى سيد كفيء. ولست اجد من يفضل الهادي، مها علا نعاب امه الغضبي!

وضحك هازئاً بالسيدة الاثيرة. وما كانت لتبدو منذ زمن طويل بين يديه، والجفوة قد استحكمت، والتناسي يجاهد في الاستشراء. فالعشب

نما في طريق صرح اساس ، وقد تخلى ، نور القطيعة ، معظم الانصار عن  
الخيزران . وغرق صرحها في الوحشة الناهكة ، المرهقة . فذكرت أم موسى  
وهارون ان الحلان لا يام البن والاقبال ، لا لعهد اليبوسة والحلكة . فمن  
خبا نوره نحامى الناس الاستضاءة بهديه

وبدا منارة البريري يستأذن حسنة على الخليفة . فصاح المهدي : وهل  
اقبلت حسنة ؟ ... لتدخل . لا ريب انها جاءت تهنئي بما ادرك المهادي  
من غلبة ا

وفاح الطيب الغالي وقد مثلت الجارية المرموقة في حضرة امير المؤمنين .  
وتهادت حسنة الى صدر المكان على بسمة مفرج ، وخطو تميس به قامة  
ماتعة . وسلمت بصباحتها النوراء ، على الخليفة ، وعلى لبابة . وقالت : البشرى  
لامير المؤمنين ، وقد محاولي عهده الشائبة الملطخة نضاعة الافق . ما كنت  
لارتاب لحظة بضاعة المهادي ، يا ابا عبدالله . ابقاه لك ربك ، وزاد به مجدك  
روعة وعلى ا

فاضاء الجبور طلعة المهدي ، وقال : ما خاب ظننا بمن ندبنا لمؤازرتنا ،  
يا حسنة . فالحق ابي الا ان يسود . فشكراً اللهم وحمداً ا  
وقالت لبابة ، وهي من الفرحة في اعلى سنام : كنت في قلق على  
المهادي ، يا عمي ، وهو الحديث العهد بمصاولة الجيوش . اما الآن فاني لني  
نشوة من ايمان ببعيد شأوه ، وسداد ضربته . واذا اجاز لي امير المؤمنين  
ان ألق بالظافر المفوار ، انطلقت الى جرجان اقيم بجانب ابنك وولي  
عهدك الباسل الاشوس ، واقاسمه اتعابه . اراه بحاجة اليّ . ومن له يبذل  
في سبيله جهدي ومودتي ؟

فاستطلع ابو عبدالله : أتشوقك الرحلة ، يا لبابة ، والاختار تتجاوزك في التغفل في هاتيك المجهل، وامانتها لنا مشكوك فيها؟ ... ليس ما يحملك على المجازفة ، وكنت قد ثنيتك عنها ، يا ابنة اخي . فما عليك وانت بجاني ارعاك ، واجود عليك برفقي ؟

فابتدت الرغبة العزوم في المسير الى زوجها ، معلنة بعدوبة وملاطفة : انا في رعاية امير المؤمنين حيث اكون . فلن اخشى الملمة وهو يزودني حمايته ورضاه . على ان ذلك المقيم في ساحة النضال ، لا غنية له عن مبسم مشرق، يضيء ايامه بوهج الانس . ولا بأس ان اضحي برفاهي لاجله، يا عمي، وفي مبادلته خشونة الاقامة ما يسعدني، ويزيل عني مضض الفراق . وابو عبدالله اجاز لي الرحيل بجلاء الدهمة . واني لارى الغنائم انقضت ، ولم يبق في الافق كدرة تفكر رونق السلام !

فهتف المهدي معجباً بما يأذن به : يا لك من زوجة صالحة امينة . وددت لو شعّ هذا الاخلاص في دنيا العرب على مداها . اذن لكننا مثال الولاء والتضحية . بورك فيك ، يا لبابة . ساوفد في ركابك من يقبك كل وهلة . لك ان تسلكي ساعة تشائين طريقك الى زوجك . فاني لاهنى الهادي بك . حقاً انه لحظي !

وجزعت حسنة، وقد اباح المهدي للبابة المسير الى جرجان . مع ان الجارية المرموقة حضت بنفسها لبابة على اللحاق بزوجها الثاني لدن يفوز . غير ان حسنة شعرت بانها ستبقى وحدها في المناضلة بنأي الهادي ولبابة عنها ، وهما الدعامتان المنيعتان في المناوأة والصراع . وهل لها ان تتقي كيد الخيزران لدن تسمي وحدها في الميدان ؟ ... ان الخيزران لتبتلعها حين



تصبح عزلاء . فان قوتها لفي هذين الجناحين ، بل العكازين ، وبهما تطير ،  
وعليهما تتوكأ في انطلاقها الى هدفها . ومن لما يظاها في كفاحها  
بابتعادها...؟ قالت وهي تميل الى اعلان اسأها ، وتجاهد في التأسك لثلا  
يتجلى استخذاؤها: ارجو ان لا تطول غيبة الهادي، يا امير المؤمنين . فاننا  
لنحتاج اليه في صدر بغداد يزين البلاط بمغامرته ، وجسامة خطره . وهو  
السيف الضارب رؤوس الزنادقة والمكابرين !

فابتسم المهدي وقال: بل ان حاجتنا اليه في جرجان أمس، يا حسنة . وهو  
هناك غائم بطولة ، وكاسب مجد . اما هنا فماذا ترتجبن منه ان يفعل غير ان  
يصادم حساده ومنافسيه...؟ انه ليبيني اليوم في جرجان دعائم العز، المهدة  
له غداً طريق السدة العليا . فالقوم سيرهبونه وهم يجدون فيه ذلك الحمي  
الكمي ، الذائد بسلاحه عن نفسه وحقه . ولن يخطر للخيزران ان تقيم في  
سبيله العرافيل ، ولا ان تهرع الى الدسائس تدمغه بها . بل سنتهب الكيد  
له، وهي موقنة انها حيال مجاهد مجرب، لا تقلقه الدواهي، ولا يقف حيال  
الفواجع خانعاً ، مكتوف اليدين . ألا سيروي اليه بلا ابطاء، يا لبابة . فان  
اقامتك بجانبه تزيد في شدته ، وتخفف عنه . فلن تدركه دمامة الوحدة ،  
وانت تهين له من نداوتك ما يرطب الجفاف المنشور حواله !

فكادت الجارية المرموقة تصبح : « ولكن من لي وقد ابقيتني وحدي  
للنزال ، يا امير المؤمنين ؟ » . على ان المهدي لم يبيح لها اطلاق صيحتها  
الحشيا ، كأنه ادرك بفظنته ما يساورها من بجران ، فقال : اما انت ،  
يا حسنة ، فلن تكوني في عزلة ولك من حدي عليك ما يرد عنك الرزايا .  
فاذا ابتعد عنك الهادي ولبابة، فان لك من المهدي العضد المانع كل غاشية .

فلن تنال منك الحيزران ولك في امير المؤمنين النصير الامين !

فانحنت بين يديه تقول: ابقى لنا الله الخليفة الوازع الحامي. فاي وهلة  
تجرؤ على مقاهرتنا ونحن نلوذ بندااه ؟ ... لست على هلع من اعدائي، ولي  
فيك الحرز الحريز ، يا امير المؤمنين . بل يضيرني ان اتعرى من اصدقائي،  
وهم العدد النزر . فاذا حرمني الهادي ولبابة أنسها ، فلن اجد حولي غير  
الكاشحين لولا حذب المهدي عليّ . فالدنيا مودات وصدقات، يا ابا عبدالله.  
وانا، وقد حبست عليك ايامي، ابيت على نفسي ان ارتبط بواقر الاصحاب.  
فحسبي من الفيض قطرات . على ان تكون رويّة تبرد الظأ . غير اني  
ما كدت اهتدي اليها حتى رأيتني منها على نفاذ !

واغرورقت عيناها . فكادت غيرة امير المؤمنين تستيقظ فيه . أنكون  
حسنة على هيام بابنه الهادي ؟ ... ولكن الساعة لا تفسح الى سوء الظن .  
فالجارية المرموقة لا تتفجع على فراق موسى ، بل على هجران لبابة . وانها  
لعلى حق في التفجع ، ولن تلقى بجانبها من يلزمها للمشاورة، وللكشف عن  
مذخورات الصدور . فليس بوسع امير المؤمنين ان يرافقها كظلمها ، وله  
من مشاغله ما يصدف به عنها . واشفق عليها وهو يراها في لوعتها. وهتف  
بعضها الحنان والرجاء : حسنة ، أنجيل اليك انك وحدك ، ولن يسلك  
امير المؤمنين ؟ ... والله ، لن شعري بالوحشة وانت في كفي . أما  
عاهدتك على ان اجعل منك رفيقتي في رحلاتي ؟ ... وستصحينني فيها  
جميعها ، حتى اذا اندفعت الى المعامع . لا تخافي . لن يدهمك الضجر ،  
وستكونين ظلي . فلن تفتري لحظة عني . هذا البلاط ساحتك، فجولي فيه  
على مداك . وليس لعين ان تشرك . ولا لغم ان يتأفف منك . فانت في

كف امير المؤمنين . ومن المحال ان ترحمك امرأة في مكانك مني .  
فالخير ان ماتت في عطف ، يا حسنة . واني لانعاها اليك . لا جادت عليها  
الساء برحمة !

فبت روعها الطمأنينة ، مع استعادته قوله سبق له الجهر بها . على ان الجارية  
ما برحت تحشى . فمن يدري ما يبطن الزمن من اعاجيب الماكرة ؟ ...  
غير انها تظاهرت بالايان بما عالنها المهدي ، وقالت : ما كان لي ان اشك  
في رحابة امير المؤمنين . حبه لي ، ونبله السامق ، يدفعه الى السخاء علي  
بمنشور عوارفه . الا اني اتألم لنأي ابنة اخيه عني ، وهي من تشدني اليها  
او ثق ألفة ، وامنع مخالصة !

فابتسم ابو عبدالله ، وقال وهو يقبض على ذراع الجارية الحصة البضاة :  
لا تهلمي ، يا حسنة . ليس لبعاد لبابة ان يطول . وربما سرت بك اليها في  
احدى جولاتي . فاني لاحس بما يلقي الاصدقاء من جود وارتباك ، وقد  
دهمهم الفراق . ولكن الضرورة فاهرة . تجهزي لرحلتك ، يا لبابة . اصبحت  
موقناً ان لا غنية عنك لموسى . فما حكمتنا عليه بالنفي كي نخرمه المنعشات !  
واجاز لها الانصراف الى دارها كي تنأهب . ومال على حسنة يجذبها الى  
صدره ويقول لها مازحاً : أتؤلمك الوحدة ، وقد نأت عنك لبابة ؟ ... ألا  
ابن تجدين الوحدة ، ايها العباء العين والقلب ، وانا على مقربة منك ؟ ...  
أتلقين في الدولة على وسعتها امرأة تطاولك ؟ ... كنت ترهين صولة  
الخير ان ، فابن امست الخير ان ، وقد حجبها عني ؟ ... ألا تلوح لك ، في  
خزيبها ، مكسورة الضلع ؟ ... والله ، لقد آثرتك على جميع نسائي ، وفي  
رضابك حلاوة ، وفي مبسك نار . فالفتنة تجري على طفاح فيك . ومن

الراهن انك اشهى امرأة في فسيح ديارى ، وقد استطعت ان تستأثري  
بخطرات امير المؤمنين !

وعبتت بفغداثرها يمينه . وتلذذ باستنشاق رائحة شعرها ، كأنه حبال  
قارورة من طيب . واطلق فيها قبلات موانع . وكيفما امسك بها اندلع  
منها اللهب . فتهتف في نشوة من لذة: انت من مضمرات اللظى ، يا حسنة .  
فكل ما فيك يبعث على الشغف والحزن !

ولقي في جسدها الريتان ، المجدول ، مواضع مسرفة في التملتي  
والتصبي . فتناهى في الاقتطاف والاستمتاع . وتفننت الجارية المرموقة في  
الخلاب والارضاء . فامست ولها في نفس ابي عبدالله خوالج من نزوع ،  
ودعائم من استقرار لا تعدو عليها المباغيات المقوضة . فتفاقم شغف المهدي بها ،  
كأنه لا يبرح في الحففة الاولى من ملحاح الهيام . وتهتف بها بطاغى الشوق :  
ارى الدنيا في غواليك ، يا حسنة . فكأن باريك اختار اسمى ما لديه من  
فواتن وجاد به عليك . لقد بناك مداميك من قسامة وسحر وسلطان . انك  
لتملكين من قوة الاسر ما لم تقبض عليه امرأة من جميع من عرفت  
من الغواني !

فابتسمت واغتبطت وقد شفاها هذا الشاء الفواح من هواجها .  
وتمايلت سكرى لفرط الدلال . وسددت الى المهدي عينين اتسع بياضهما ،  
وحلك سوادهما ، فزادت في الاستهواء . على ان نظرتها لم تطل ، وكانت  
خاطفة ، اشبه بالومضة ، بما بالغ في وقعها . واذا الاهداب تتعاقد امعاناً في  
السيطرة وفي الاقتناص ، وقد ارحت ، لفرط طولها ، على المعاجر ظللاً من  
التيه ، دل على اعتزاز الجارية بتفوقها في القدرة ، والافتئات بالنهى

والاكباد . قال ابو عبدالله ، وما زال منها على مخمور جوى: لست اعدل بك جميع نساء بلاطي . فانت يتبنة هذا الحمى . فجرري ما شئت ذيل التباهي ، وانت الخليفة بالزهر والاستعلاء !  
وألقى رأسه الى صدرها ينعم في دفئه وخصبه باندى وسادة . وما انفك شذاها المراع يلاً انفه، ويعمن في الامساك به . قالت الجارية، وهي تعلم ان الساعة مسعفة في الطلب والادراك: هل لي ان اسأل امير المؤمنين في حاجة ؟

ففاض بالقول المتحمس ، وهو المتلىء النفس كلفاً وانشراحاً : كل حاجة لك مقضية، يا حسنة، كل حاجة . فاطلي ما تشتهين، وهو لك حلال !  
قالت على تمتعة وخفوت ، كأنها لا تؤمن ببلوغ الارب : ما فئت اعلل نفسي بان اكون احدى نساء امير المؤمنين . فهلا اعتقني وتزوجني ، فابيت تلك المستعلية بحق واصالة ؟ ... فاي شأن لي وانا ابدو اليوم في البلاط متظاهرة بالسوق والانفة ، ومقامي لا يعدو مستوى جارية ؟ ... أفلا ينظر اليّ من حولي ساخرين معلنين : «بطرت الحنفاء!»؟ ... ولست ألومهم في الافاضة بهذه المثابة ، وموقفي لا يجاوز مكانة جارية . على حين استطيع رفع الرأس، وقطع كل لسان خبيث، وامير المؤمنين يدرأ عني كل ما يشوب جبيني من كدرة . وابو عبدالله كان قد تल्पف ووعد بانقاذي بما يعيب عليّ حسّادي، مع فيض ما اسبغ عليّ من نعمه الوارفة . فهلا انجز ؟  
وهي كلما دعتة الى اعتاقها، والعقد له عليها ، استيقظ من سكرته بها ، وتذكر الحيزران . فليس يرتضي ان ينكب بطاغوت آخر . حسبه السيدة الاثيرة . وعبس، على كره منه، وحسنة تدعوه الى رفعها اليه من وهنتها،

كأن لم يخطر له ببال ان الجارية ستعود الى مطلبها الوعر . وتولاه نفاثاً كاد به يصرف عنه هذه الناهدة الى الارتقاء العجلان ، بل الى ركوب المحال . الا انه لم ينس ما عاهدها عليه من قضاء حاجاتها جميعاً ، فاضطر الى المداهنة ، قائلاً : هذه امنية لن تستعصي عليك ، يا حسنة . فما ان يصفو الجو حتى انبلك المشتى !

فتجرات على الاستيضاح : ومتى يصفو الجو ، يا امير المؤمنين ؟ ...  
فاني لاسبع منذ عهد بعيد هذا الوعد ، وما كان للغمامة ان تسح !

فقال ، وقد اوجعته وخزتها : ليس من امر عسير ، يا حسنة . هلا صبرت ؟  
فايقنت انه يماطل ، وانها لن ترتع في الصبوة . وسال دمعها فابنعد عنها المهدي يزوتي ما بين عينيه . ليس يقع من النساء على سوى الباكيات ، كأن قوتهن في سكب العبرة . وابى ان يجرح حسنة في اعماقها جرحاً لا يبرأ بصدوده عنها ، فرجع اليها يقول : لا حاجة بنا الى الترفع ، يا حسنة . ما ان ننهي من الخيزران حتى ينتظم شملنا . اني لموطن النفس على الخلاص من تلك المتعنتة . وعندذاك يصفو لنا العيش ، ويطيب . ولا ارى الزمن بعيداً للظفر بالرجاوة . ساصرف عني الصلفة الحرقاء ، المؤلّبة عليّ الفتى ، وأحلك محلها . فما يدعوك الى التلهف ، وستبلغين من زمنك ما يعدو المتى ؟  
فنفثت من نفس خائبة : طال ارتوائي بهذا الامل ، يا امير المؤمنين ، حتى كدت اخشى الظماً !

فدغدغ خدها وقال مداعباً : لن تعطشي ويميني تسقيك . فالشهووات لا تزحف الى المرء باجمعها ، بل تقبل اليه فرادى . وليس يضيرك ان تتسلقي الذرورة خطوة خطوة !

فلوت رأسها واعتراها السكوت . ليس لها ان تذهب الى ابعد مما ذهبت اليه ، وقد تبادت في دالتها على الخليفة . وجنحت الى الانصراف والاسى في خاطرها . ابو عبدالله لن ينيلها طلبتها . فكلما حدثته عنها شغلها بالعرض عن الجوهر ، واغرقها في وعود بواسم . الا انها على وضائها اشبه بالفتاحات . فما ان تشرق حتى تنشطى في العدم كخالب السراب . ولم يغب عن المهدي امتعاضها ، فززع الى خزانته ينتضي منها عقداً من اليافوت ، ويلحق بالجارية فيطوق جيدها بالقلادة الباهرة اللألاء . وصفق يدعو اليه منارة البربري ، صائحاً به : احمل على الفور الى حسنة عشرين الف دينار !

فشكرت حسنة ، ولا بد من الشكران ، اكباراً لعطية امير المؤمنين . غير انها ابتعدت عن البلاط غير راضية ، وما شفى المهدي طماحها . وظهر منها للخليفة انها لا تبرح غير مطمئنة ، فبلغ ريقه تبرماً . هل له ان يتوفر على ارضاء الجميع ؟ ... وتجلى لحاطره ان معظم المنتظمين منه اقرب الناس اليه . فليس للعامه في الشكوى لجاجة الخاصة . وراعه ان يكون بين هؤلاء المتذمرين من بالغ في ان يجزل لهم الهبات . فلم ينل ذو حظوة من صلاته ما نالت الخيزران . والخيزران في طليعة المتململين الكافرين بالنعمى . وحسنة لقيت من بسطة يده ما غاضت به على مستفيض الوفور . الا انها تروم ما هو اسمى . فهي تطمع في ان تنبوا مرتبة نساء الخليفة ، فتتعادل في العزة والخيزران آه من الخيزران ، كم احيت من جشع ، وكم اجازت من دلال . فكل زوجة من زوجاته ، وكل جارية من جواربه ، تبغي الوصول الى حيث بلغت السيدة الاثيرة . ولكن رحاب امير المؤمنين لا تتسع لجميع هذه الشهوات . وتجهم ابو عبدالله . ان نساءه ليقلقنه فيما تقلقه الفتن في بلاد فارس .

ورأى ان يجنح عنهن للنظر في شؤون الدولة ، والاصفاء الى المظالم . وكان يستطيب الانصاف . فلا يبدو بين يديه صاحب حق الا ويظهره على خصمه . غير انه لم يكن اليوم راضي النفس ، حتى وهو يأخذ من القوي للضعيف . فان اضطرابه بين الخيزران وحسنة ، فجعه بالهدوء والارتياح . ففي اعماقه ما يمسخ طمأنينته . فلا الخيزران شاكرة ، ولا حسنة . أف للزمن الكنود ، والاحسان فيه بات مدعاة للاضطغان !

وضاق به قصره ، فقام بجولة في بغداد ممتطياً صهوة جواده . وشاءت الاقدار ان يمرّ بجانب صرح اساس ، فزفر ، وان يدنو من مقصورة حسنة ، فانتفض ، وهتف بنفسه : كما بعدت دنوت ، كأني فراشة تحوم على سراج ! وضرب بمهازيه جواده ، فانتهب الفرس المسافات الشواسع . الا ان الخيزران ابصرت امير المؤمنين . والجاربة ابصرته . والاثنتان اطلقتا فيه نظرات الحقد ، ودمدما عليه . وقد تكون الدمدمة حفزتهما الى التهديد باختطاف الانفاس . وليس للغضب قيدٌ يمسك به عن التوكؤ على كاسح الالفاظ



بجھضيب الفرحة ، ومرنّ الاستبشار، تلقى صرح اساس خبر رحيل لبابة الى جرجان . فصادف النبا في الخيزران مفرط الجذل ، ورخيّ البشاشة ، كأن الكابوس المرهق انجلى عنها . فباتت اليد تنبسط على مداها ، وليس من حائل يعوقها عن الامتداد الى المرام

ولم تحفل الخيزران بالجارية حسنة ، مع كل ما نجم لها فيها من رھيف التنافس ، ومع فائر نعمتها عليها . فالسيدة الاثيرة موقنة ان لوب الكيد لبابة . فتى نجت من ظل امرأة موسى الفاحم ، الضاغط، تداعى عنها الكابوس ، وعادت الى سيطرتها الشاحطة على نية الخليفة . فتسبل به الى ابرام كل مأمول . ويتخاذل الكاشعون . وحسبهم ما قادوا فيه من طجاح واثرة . وهتفت الخيزران بجاريتها عتبه : ألا نادي اليّ زبيدة والرشيّد . عليّ ان انفجها بصيبح البشري !

واغارت على الرشيّد وزبيدة تعانقهما فور ظهورهما لعينيها ، وتصيح بمستفيض الطلاقة : لنا الهناء . لحقت لبابة بموسى الى جرجان ، واضحى زمام المهدي بايدينا !

فاستطلعت زبيدة بطرب ميّاد : هل تأثرت اختي زوجها ؟  
فاوضحت الخيزران : بروحت اليوم بغداد الى جرجان ، وانقذتنا من دمامة طلعتها . فكل ما يمجزنا عن ابي عبدالله امحى بانصرافها عن البلاط ، وقد نفثت فيه خباثتها ، وافسدت علينا خاطر ابيك ، يا هارون . وليس بالامر النزر ان يشيح عنا ابو عبدالله ، سيد الدولة وراعيا !

فقال الرشيد بحشية : ولكن أيصح ابي عننا ، وقد تفاقمت غضبته علينا  
بعد وثبة الحارثي علي اخي الهادي ، فأنهنا بالجروح الي اغتيال موسى ؟  
فجهرت الحيزران بمديد الايمان : سيفصح . ليس ابوك بالحقود ، وله من  
صفاء النية ما يهيب به الي الاغضاء عن المساءة . وساقنعه ببراءتنا من الظنة ،  
وبضرورة العفو عن يحيى البرمكي واعادته البناء . وما ان يلتئم شملنا ، حتى  
نقص الاجنحة الدم ، المرفرفة اليوم في جو الاعتزاز ، وقد عدت طورها  
في سو الحظوة !

فقلت زبيدة ، ولم تكن تطمئن الي مغفرة عمها المهدي : ولكن لبابة ،  
اختي ، ليست وحدها في مناوأتنا ، وثمة الربيع ، والجارية حسنة !  
فضحكت الحيزران ساخرة . واعلنت بامتهان الواثق بركين سلطانه :  
اما الربيع ، يا زبيدة ، فليس بذئ خطر في مصاولتنا . واما حسنة ، فلن  
تقوى وحدها علي المضي في الكفاح ، مع كل ما تفيض به من مكر وبغضاء .  
وانا للخبيثة بالمرصاد . ولست اري المهدي يرفعها عني ، مع بليغ كلفه بها .  
فهي لديه لساعة من الزمن . اما انا فاني لرفيقة كل حين !

علي ان المخاوف ما برحت تواب زوجة هارون الرشيد ، فقلت : ألا  
يبدو لامرأة عمي ان عمل ساعة يعني عن مجهود دهر طويل ؟ ... في حسنة  
من القوة علي تكبير زلال الماء ، ما لا يهوي بها عن مكانة لبابة في التهشم  
والتنكيل !

فبجح بالحيزران اعتدادها وزهوها الي الجهر بمخمر الدلال : كنت  
اخشى علي نفسي من حسنة ، وقد ظهر لي في المهدي ولوعه بها ، بما لم  
اتبينه فيه حبال جاربة من الجواربي . غير اني ما نشبت ان ادركت انه

يسلوها حين ابدو بين يديه . فليس لي الا ان امثل ، في باصرتيه ، حتى  
يتناسى كل ما حثت به الوغدة وعيه من سفاسف وغنائم ، بما هبط بها تجاهي  
عن منزلتها . فباتت لديّ نكرة لا تخمش ، وهي المقلّمة الاظفار . ولا  
تعضّ ، وهي المفلولة الانياب . كل ما تشيد من ببيان ، وما تحبك من غائلة ،  
تنسخه نظرة مني الى امير المؤمنين !

فاذاع الرشيد : ولكن الذبابة تدمي مقلة الاسد ، يا أماء !  
فاعلنت بغير من المرح : بروحي انت ، يا هارون . أيمدو عليك الوهم  
ان أمك تكبو بها القدم ، ولا تقال لها عثرة ؟ ... ولكن جميع هؤلاء  
المتهاكين في البلاط على دس الدسائس ، لتقويضي في خاطر ابيك ، لا  
يقدرّون على قطع خيط نسيل في اخبث غلالة من ريث مبادلي . واذا بدوا  
لك في أشري ، وبطر ، فان هي الاغفلة الزمن الوشبكة التلاشي . طبّ  
قلباً ، وثقّ بامك ، يا ابني . فما دامت لبابة جلت عنا ، فالضم اذن في  
الرحيل !

وتناهد في الجلاء . ستمود الى القبض في هذه الدولة على الناصية ،  
وتنفض من لب المهدي كل من لقي فيه مساند للاتكاء . قال هارون ، وقد  
ادهشه فيها العجب ، وليس ما يبيحه : ولكن ما هي حيلتك ، يا أمي ، في  
استعادة عطف ابي عبدالله ، وقد رضضاه بمروقنا من فروض الولاء ؟

فكشفت عن ضميرها ببسمة تنوء بالتيه ، معلنة بوارف الرضى : سادفك  
اليه ، يا عين أمك . فادخل عليه وهنته بفوز اخيك في جرجان . واظهر  
انتعاشك بالنبي الانيس . واذا ما سألك عني ، فابلغه اني اكابد السقم .  
وان ليس يشفيني سوى مرآه ، وراقته بي . واني اردد اسه في ساعات صحوي

وغشيانى . والتس منه الرحمة للعيلة الجسم والروح . واملك من سعة  
البيان ما تخلب به النفس ، فتجد اباك مقبلاً اليّ ، وفي صدره العفو ، وفي  
طلعته اللهفة . فلست اراه يقوى على القعود عني ، وانت تصف له ، من عصفات  
الداء بي ، ما ينسخ من ضميره كل إحنة وضمن !

فالتفت اليها الرشيد على ذهول . زادته يقيناً ان في نفسها من نفائات  
الروغان ما لا تعلموها فيه ختالة . فابانت ضاحكة من سهوه الحسير : كنت  
اعتقدك امضى ذهنأ في مداهنة الناس . فمن يسلك طريق الصدق ، يا ولدي ،  
يتعب فيه . وثمة من الوعورة ما ليس لقدم ان تسلم من التواقى والاختايد .  
وابوك بمن يقدر علينا الزمن مصانعتهم ، وفي يمانه حظوظنا ومصائرنا . والا  
ركدت ريجنا . واكلنا الحُصوم قبل ان نجبو الى نضج . اني لساعية للنهوض  
بك الى اسنى الرتب . غير ان صدعات الدهر تسدّ عليّ المبيع . فكيف  
ادوخها ان لم استنصر عليها المكايذة ، والمخاترة ؟ ... ان الفطين من لا  
يستصعب المين ، والشين ، في ركوبه الى الصبوة . و عليك ، وانت تبلغ غداً  
من زمنك ، ما يجبس عليك ذروة السلطان ، ان توارب ، وتماذق ، للفوز بما  
ينيلك مودة قومك ، وتأيدهم عهدك . والا اذا اعتمدت فيهم على الصدق ،  
اودت بك الصراحة وظهرتهم عليك . وليس لمن يسوس الناس ، وقد اختلفت  
ميولهم ، وتعددت مذاهبهم ، ان يعتصم ابدأ بالحق !

فوقف منها مشدوهاً ، كأنه لا يفهم . بل هو لم يفهم . أيعرضه الحكم  
للتناق ؟ ... ونجلى للخيزران انه لا يبرح في طبعه فطيرواً ، فقالت : ارى  
معاملة الناس تندّ في واقعها عنك . بيد ان الايام سترجي اليك عظاتها .  
فكل ما أريدك عليه الآن ان تشخص الى ابيك . ولتكن زبيدة ، امرأتك ،

رفيقتك اليه . وحده بما بثتُ وعيك . والعقدة المعقدة لا تلبث ان تنحلّ ،  
وتنشق الغمامة ، ويصفو الجهم ا

فهنت زبيدة: اني لعاملة بما توحى اليّ به امرأة عمي . ولا اجد ما يقف  
بهارون عن الامثال للشهوة . فمن يتشوّف الى النواصي ، فعليه ان يجتال  
على تذليلها بكل ما يلويها . فلا يمك عن انخماة، ولا عن طعنة ، حتى في  
الظهر . فالصدام وجهاً لوجه لا يقود في كل ساعة الى الطلبة . فان للروغان  
احياناً من الحسنات ما لا ينكر اثره ، ولا يدحض جداؤه . والا فاني لك  
ان تقهر موسى في ما تتحفز له نوازعكما، ياهارون، وتضطرب به موداتكما ؟  
فارمد عينه ان يخادع وينافق. اما وولاية العهد لا تلاينه، الا اذا سعى  
اليها في تعاريج وسرايب ، فلم يتنكب عن الاذعان للشورة ، على ما  
يعتورها من زيف وزور . قال : ومتى اقف في حضرة ابي ، يا أمي ؟

فاعلنت الخيزران بارتياح واغباط: اوفد اليوم من يستأذن لك عليه ،  
وكن لديه في الموعد ا  
- ألا يغلق بابهُ دوني ؟

فشقّ على الخيزران ان يمور الرشيد بهذا العياء كله . وصاحت به باحتدام:  
هل رأيت اباً يقسو على ابنه حتى لا يطيق مرآه ؟ ... ابن اثمك كي يدينك  
ابو عبدالله بالاحتجاب عنك ؟... فالثمة رست في عنقي وعنق مجي البرمكي .  
اما انت فبراء . ادخل ولا نخش . سيفتح لك صدرأ سمحاً ، ويضمك اليه  
بذراعين مشتاقين ا

وعلا صوت زبيدة عابثاً بكل احجام : ليس لعمي ان يتعبس لنا ،  
ونحن منه على صلة لحم ودم . أينسى ابو عبدالله ابنه هارون ، وابنة اخيه

زبيدة ؟ ... من يخفق بين حوائيه قلب المهدي ، يجهل الحقد ، ويرتفع عن الجفاء . فالاصلاب والارحام ، مها طغت عليها السخائم ، لا بد ان تسكن الى موامة ، وتركن الى عطف ا

ورأت الخيزران ان تتدبر الامر بنفسها . فالانكال على الرشيد قد يذهب بالنهزة . وصفقت تنادي جاريتها عتبة . فاطلّت معشوقة ابي العتاهية النفور تقول ببسة خضلة : ها انذا ، يا مولاتي ا

والخيزران يشوقها في عتبة سلامة الذوق ، ورهاقة الدهن ، فضلاً عن الوسامة . فهي على خفة روح وفهم ورونق . قالت السيدة الاثيرة : عليك بالانطلاق الى البلاط ، يا عتبة ، وتقبيل الارض بين يدي امير المؤمنين ، والاستئذان عليه لهارون وزبيدة . فالرشيد يأبى الا ان يبنى مولانا الخليفة بما ادرك من فوز ، في مغالبة الزنادقة في جرجان . فاسرعي وعودي الينا بجوابه . متى يضرب لهما موعداً للانحاء في حضرته ؟

فما خفيت على عتبة المحاولة المبطنة بالاستدرج والاسترحام ، وقالت : اني لو ائبى على الفور الى قصر الخليفة ، يا مولاتي ، وساجيئك منه بالبيج الحفي ا

وعتبة يروقها ان يحظى البلاط وصرح اساس بصفايا الامس ، وان تعود خلجات القلوب في القصرين الى وازن خفقاها . فلا تستشري الضغائن ، ولا تُرضّ ضلوع السيدة الاثيرة ، وقد تراءت الخيزران لعبة كاسفة البال ، شاحبة اللون ، غارقة في الوحشة . فالسؤدد الفارط انطوت صفحته ، وقفت اخضراره . فاضعى صرح اساس قاتم الجبين ، اسعم المهجة . فلا قدم تطأ عتبه للمتمس رقد ، ولا يجبو اليه صديق ، كأنه مفزعة ، او وكر أبالة .

وهو بما لا تستنيم اليه عتبة، وقد احست بمضض العزلة الجافية، الكاسرة الضلع  
وازفت الى معنى امير المؤمنين طائراً منشور الجناحين . ونادت منارة  
البريري. واليه تستنيم، لايمانها بصدقه ووفائه. فهفا اليها العبد يقول: أنت،  
يا عتبة ؟ ... ألا ماذا في صدرك من مكنون يروم التبيان ؟

فابتسمت وقالت : لديّ ما يسرّك ، يا منارة ، يا وجه الخير . هارون  
وزبيدة يبغيان الاستئذان على امير المؤمنين ، لتهنئته بما حاز من نصر في  
جرجان ، وقد كسر شوكة المارقين !

فغمز بعينه. ما هذه الحيلة المكشوفة الستر ؟ ... أهنئة ، ام زلفى ؟ ...  
ان رائحة الاستعطاف لتهبّ منها حادة كاوية. قال منارة متخابثاً: والسيدة  
الاثيرة ، يا عتبة ، ألا ترغب في الاستئذان على مولانا الخليفة ؟ ... اراها  
ابطأت في استعتاب امير المؤمنين !

فهمست في اذنه مؤنبة : ألا اسكت ، اسكت ، يا منارة . هل سهوت  
عما قضى به ابو عبدالله على الخيزران ، وقد منعها من المجيء اليه بلا دعوة  
منه ؟ ... ثم هي تقاسي الاوجاع ، فانابت عنها ابنها وزوجته زبيدة . ألا  
متى يأذن لها امير المؤمنين في موعد يتبركان فيه بتقبيل يديه ؟

وتحدثت عن مرض الخيزران ، دون ان تدري ان مولاتها اعتصمت  
بهذا الزعم في استرقاق كبد الخليفة . ولقي منارة في البيان وجه العذر ،  
فانساب الى ابوان امير المؤمنين يتمم ، وقد تقوّس ظهره لفرط الانحناء :  
الرشيد وزبيدة بألان امير المؤمنين في موعد يقرّه لهما ، لاداء فروض  
التبريك بالنصر الميمون !

فارتعش الخليفة . وكاد يستوضح : « وابن الخيزران ؟ » . غير انه

تذكر منعه اياها من الاقبال عليه بلا اذن منه ، وعالن البربري : ليكونا  
غداً في حضرتي . هذا الشباب الطريّ تروعني طلعتة ، يا منارة !

وحنّ فجأة الى الخيزران . فما حدثه منارة البربري عن هارون وزبيدة ،  
حتى رفّ في خاطره طيف السيدة الاثيرة . وكان قد تنامى وافلح . الا  
ان التناسي لم ينقذه من يقظة التذكار . واحس بما يدفعه الى الخيزران مع  
كل سعي منه لكبح جماح النزوة . فنهض عن سدته للترويح ، وقهر  
الخاطر المهتاج . الا انه تضاعف في العزيمة . وبلغ ، على كره منه ، مجلساً يحفل  
برهط من رجاله يتبارون في الرمي . فقبض على قوس سدّد نبلتها الى الهدف .  
فاصاب . وهتف له جميع من حوله . وكأنه استعاد بهذا النجاح بعض مرحة ،  
فاستطاع ان يذلّ من اندلاع فورته ، وان يمضي في التناسي ، ولكن على  
رجرجة ووهن

وأحسّ بفراغ حوله ، وقد نزحت عنه لبابة . بل احس بعناء يحتاج فيه  
الى من يسنده ، ويقيه الزلل . فما كانت تتفخ في سماعه امرأة الهادي ،  
وتغذي به روحه من جفاء وكره ، اشرف على النقاد . فان لم يدركه من  
يجيد ، كلبابة ، نفت الحزازات ، وهى ذرعه ، وألقى امره الى الخيزران ،  
مع كل ما يضر لها من نفرة . فما زال يشعر بان وقعها عليه لا يغالب ،  
وبانه مسوق اليها على رغبته ، ما دام لا يجد بقربه من يحجزه عنها . غير  
انه ظل يكافح منازعه . فلن يصفح عن سمع لاشعال دولته بالفتن ، كي  
تهوي به عن سدته ، وما تورعت عن تنظيم المكاييد لاغتيال ابنها الهادي ،  
والخلاص به مما يعترض طماحها من عقبة عنود

ورقد ليلته يتقلب على قتاد . وهاله ان يكون عدوه في جنبه ، وان



يعيا عن طمسه. وأقرّ بغلبة الحب. فهو رب الامر في هذه الدولة ، الممتدة الجنبات حتى لا يكاد يغرب عنها ضوء النهار. الا انه ازاء الحب كليل عائر، لا يرجح احقر عبد من عبيده . وهذه الغادة القاهرة ، المتوسدة اعلى مرتبة في المطبخ العربي ، سيطرت على جوارحه ، فامسى حيا لها مائعا رخوآ ، كأنها ربة الشأن ، لا هو . فما هو الا الكافي الموثق . ورصد بجي هارون. ان هارون ليطلع على سريرة الخيزران ، وله من صفاء الطوية ما يهيب به الى الاعلان

ووقف ، في الصباح الباكر ، في شرفة قصره ، يرقب ان يطل هارون وزبيدة ليستظلمها حال السيدة الاثيرة . وما عالنه الحاجب ان الزوجين بالباب ، يلتسان الوقوف في حضرة امير المؤمنين، حتى اصلىح من هندامه، وجاهد في قهر ارتبائه . وربع بسدته مهيباً جليلاً . ودرج اليه الرشيد وزبيدة يلتويان ملياً بين يديه، ويزحفان الى العرش للتبرك بيمين ابي عبدالله. فلم يمنع عنها راحته ، بل بسطها لها وهو يتسم ، ويضمها الى صدره ، ويقبلها بشوق. قال يعاتب بجليّ التأثر: طال هذا النزوح عني . فما اقعديا عن ارتياد القصر ، وانتما لا تجهلان مقامكما مني ؟

ودعاها الى الجلوس عن جانبيه. هارون عن يمينه، وزبيدة عن يساره. وصاح بحاجبه ان امنع عني كل مستأذن عليّ. وحبس مجلسه على ابنه وابنة اخيه . قال هارون : ما كنا لنفتقر في التماس رضى امير المؤمنين . الا ان لمولانا الخليفة من اشغاله ما لا يطيق الاحراج . فصبرنا وبنما صفا البال ، ولاح النصر ، واقبلنا نعلن التهاني ، وندعو بدوام العز والسعد !

وقالت زبيدة : امير المؤمنين مائل ابدأ في الافئدة والنهي . غير اننا

ابينا ان نصدف به عما هيا له نفسه من تأديب الزنادقة الكفار . اما وقد  
ألقي عنه هذا العبء، بما ابتهجت به الارواح، فرأينا ان نفو الى مشاطرته  
المسرة ، والى الجهر بمسيرنا ابدأ في طاعته . وما نحن منه سوى افلاذ كبده  
الدارجين في الارض !

فاطال اليها النظر ببسة مخضوزة ، بمراع ، وقال : ان عيني لتقرّ  
بمرآك وانما لباب نفسي . فمرحى لكما تبذلان لي من مودتكما ينبع  
الولاء . ولكني لست ابصر بينكما الخيزران . فابن هي أمك ، يا هارون ،  
تقاسكما اداء الاستبشار ؟

ونطق بحافز من صميه المشتعل بسورة الهيام . فلم يحتمل التفاضي عن  
الاستيضاح ، ومرأى هارون احبا في صدره حنينه الدفين . ولم يتلعم الرشيد  
في الجواب ، فقال : أمي تشكو غائلة الداء ، يا امير المؤمنين . ولولا ما  
يلمّ بها من اذية ، لاستعجلت الوثوب الى رحاب الخليفة ، تؤدي مفروض  
المخالصة . فان امير المؤمنين ليرسخ منا جميعاً في اكرم موئل . وليس  
لنا سواه من راحم مجير !

فهتف ملهوفاً : أتكابد الخيزران الالم ؟

فاوضعت زبيدة تنصر الرشيد في الابانة : هي منذ اسبوع على غلبان  
جيين ، يا عماء . فالحمى لا تغرب عنها ، وقد امعنت في احراقها ونهكها .  
واخست من نفسها بانكسار العزيمة ، فاوفدتنا الى امير المؤمنين نهىء  
بالفوز الفضااض ، ونعتذر عن اقعدها الداء عن القيام بالتبريك ، واعلان  
لزام الطاعة !

فصاح مبغوتاً : وكيف سهوتما عن ابلاغي ما تعاني ؟ ... أبيضركما

اطلاعي على النبي الوجيه ؟

فقال الرشيد يتناهى في الرقة : لم نشأ ان نزيد في الاحراج ، يا امير المؤمنين ، وقد خيل البنا انها وعكة عارضة . بيد ان الواقع نسخ الظن !

– وهل تتألم الخيزران بما يأبى عليها الحراك ، يا هارون ؟

فافاضت زبيدة بفاجع المقال : انها لمقعدة ، يا امير المؤمنين . تئن ولا تتأسك . ويدهما احياناً القيه . فاذا رأى عمي ان يجود عليها برحمته ، فيعودها ويبسط عليها نداءه ، فانه ليسبغ عليها العافية . ان لجفاء امير المؤمنين اياها الاثر البالغ في عنائها . فما الخليفة سوى غيث الله . إن امطر انعش . وإن امسك اتلف . فالرأفة ، يا عماء !

وكانها جرته ، على رغبه ، الى السيدة الاثيرة . فصاح بهلع : أأكون الجاني على امرأة عمك ، يا زبيدة ؟ ... لا والله ، يا ابنة اخي . لست بمن يجور على الخيزران . اني لوائب اليها الساعة اعودها . وحق من يراني من عدم ، ما كنت لاصدف عنها لولا ارتيايي بمودتها ، وتجهتها لابنها البكر . فليس اخوك موسى بالنكرة ، ولا الرذل ، كي تسمى أمك للاعتداء على ايامه ، يا هارون . اراها جاوزت في الخطوة الكابية حد الامومة السحة . أفلا يكون موسى نطفة امتصت دما ، وتغذت بلحمها ؟ ... وعلى م تشتهي هدمه ، ولم اقف عليه ولاية العهد دونك ، وقد جعلتك صنواً له فيها ؟ ... فانت من بعده صاحب الحق الصادع . وتراوى لي في المنام ، يا هارون ...

وسكت يتحامى الاعلان . وانتابه خادش الاكتاب ، فhez رأسه ولواه ، كمن تراكت عليه الشجون . فهاج الفضول زبيدة ، واستفهمت بهتفة

مخضّبها صارخ الالحاح : ماذا تراهى لك ، يا عمي ؟

فاجاب بمرارة ، وقد عاد يهز رأسه كمن تساوره الفجيعة : ما لي وللجلاء ،  
يا زبيدة . ان النبا لناخع يجزنا جميعاً . دعيني من الانغماس في الكوارث ،  
يا ابنة اخي . ولننطلق الى الخيزران . فما عراني من حلم لا تبتهج به روح  
من ارواحنا ، وهو يصينا في دعامة منيعة من دعائم بيتنا !

فتولى الشده هارون وزبيدة . ما يعني امير المؤمنين ؟ ... على ان  
المهدي ، وقد اتقى البيان ، زاد في شرهما الى الاستجلاء . والتفت بعضها  
الى بعض في طريقهما الى صرح اساس يستبحثان . من يكون المهدي  
بالمكروه ؟ ... والايان بالاحلام زيّ شائع ، يملأ دنيا العرب ويعودها الى  
الاطراف . فما يلوح في المنام اشبه بالامر المقدور ، لا ندحة عن وقوعه .  
وشاق الرشيد وزبيدة ان يتبيننا الكارثة المنذرة . فلم يهد لها اليها ابو عبدالله ،  
وهو يتقدمها على متن جواده الى صرح اساس ، مخترقاً مناهج بغداد الى  
السيدة الاثيرة

ونبأ النفار ، المستعكم بينه وبين الخيزران ، على مدى اشهر رحاب ،  
ثقب كل مسمع . وجنح بالناس الى القول : « قضي على الخيزران ! » .  
غير ان بعضهم ، وهم من يتفائلون خيراً ، حتى بالرزايا ، لم يؤمنوا بان الحصام  
يبلغ اشده بين الصرحين المنيفين ، وللخيزران من القدرة على الاستهواء ما  
تنهار ازاءه الحوائل العنسد . وللمهدي من الشغف بالسيدة الفضلى ما لا  
يرتضي القطيعة على الامد . واصاب المتفائلون . وابتسموا لصدقهم في  
التخمين ، وقد لاح لهم الخليفة يطوي السبل الى مبيت أم موسى . وقالوا:  
عادت الامور الى مراتعها في الوكرين . فابن لبابة وحسنة تعينان عيشها

الفسيد ؟

وعتبه ابصرت من بعيد موكب امير المؤمنين زاحفاً الى الصرح .  
فانفتلت الى الخيزران صائحة برهبة : مولاتي ، مولاتي !  
وتأملتها في وهلتها الخيزران ، فاستوضعت بخوف : ماذا يا عتبه ،  
هل من بلية ؟

فاعلنت الجارية بارتياح تنبسط في اعماقه فرحة الاستبشار : اقبل الينا  
امير المؤمنين !

فاستدارت عينا الخيزران هلعاً ، وهزتها المباغنة . ما جاء اليها عفواً  
امير المؤمنين . فلا بد من عذر فزع اليه في ارتياد صرحها . وما العذر الا  
الرغبة في عيادة الزوجة العلية . والخيزران ، زاد الله في همتها ، على عافية  
راجحة . واقلقها ان ينخدع المهدي بما اختلقت من حيلة ، فهتفت بجارتها  
بمديد ما أوتيت من فطانة : عتبه ، اصلحي سريري . عليّ ان اضطجع ، كي  
يؤمن ابو عبدالله بما نمتت له من فتكة داه ندييني !

وهفت الى سريرها ترفد فيه ، وتخفي بالغطاء وجهها ، وتنزع منه المساحيق .  
وعمدت الى الزعفران تصبغ به قسامتها ، وتخلع عليها الاصفرار . واطلقت  
الأنثى البواكي . فهي تغور في لجة الالم . ودخل عليها ابو عبدالله ، فوخز  
قلبه منظرها الرث . انها لفي زفير وضى . وانحنى عليها يقول وهو يتضائل  
اشفاقاً ، كأن لم يبق فيه من الخليفة غير كبد مقروحة : ما بك ، يا خيزران ؟  
فالتفت اليه بعينين مسترحمتين ، دون ان يرشح مقولها بنأمة ، كأنها  
عاجزة عن النطق . قال المهدي بمتمادي اللهفة : ألم يرحم فيك الداء حتى  
سلامة اللسان ؟

فتنهت. وهمّ دمعها بالانحدار حسرة على نفسها . فقال ابو عبدالله يحشها  
على البيان : ولكن تكلمي . اريد أن أصفي الى حديثك !  
فغابت نفسها على النطق، وجادت بغفمة ترشح بالاسى: الصدود يقتل،  
يا امير المؤمنين !

فخلبت له باسيف بيانها . وأحس بان في قلبه دموعاً تترقرق . وجاهد  
في الامساك بماء عينيه عن المتون ، فقال وفي حنجرتة غصة عضوض : والله ،  
لست ابغي ان يعدو عليك الضيم ، يا خيزران . ولكنك خرجت عن موئل  
نعمتي . فما كنت اريدك على نسج الاحابيل تدمين بها مهجتي ، وكدت  
تذهبين بابنك البكر . فهل يطيب لك العيش وانت تودين بي وبموسى ؟ ...  
محا حقدك هداك . فرفقاً ، وما نحن بمن يريدون لك الاذى . هلا تريت  
في كره احب الناس اليك ؟

فجمجمت ، وبودها لو تجلجل ، فيسلاً صوتها صرحها: لا يزال امير المؤمنين  
يسدد الي ظنة انا منها سلمية الضمير . فكيف اجرؤ على النيل من سيدي  
وموئل عزي ؟ ... ولكنهم الوشاة زخرفوا لابي عبدالله ما يجلو لهم به  
اقصاؤه عني . ان السماء لتشهد اننا ما حاولنا نكرأ ، ولا انطوينا على غل .  
الا انهم الحساد ، وما حيلتنا فيهم ، يا سيدي واميري ؟

وعادت تكتوي بدمعها . فكاد المهدي يفنى شعوراً . قال يستجير بها  
منها : ألا ازيلي عنك هذه السواجم . فان مرآها ليخمش جوارحي . اني  
لمحتاج الى الاستمتاع بنصرة احاديثك ، لا الى الوقوف حيال فيض شوؤنك .  
اذا كنت ظالمة ، فعفا عنك الله . وان تكوني مظلومة ، فمفوك عني . هل  
يرضيك التناسي ومحو الماضي ، كأن لم ينتشر لكل ما وقع سحاب ؟

فأهبطها العرض، ولم تكن لترجو الفوز به. غير انها كتبت ما انتفضت به حوائجها من طرب . وقالت وهي تشكو ابدأ وطأة الداء الكابسة : ليس لي الا ان اشكر لامير المؤمنين حنوّه عليّ في سعدي وبؤسي . فان الشكر لمفروض علينا لرب الدولة، سواء في النعمة او النقمة. غير ان النقمة تذهب بالارواح ، يا ابا عبدالله !

وشهقت شهقة كان لها في نفس المهدي ابلغ وقع . فأنحى الخليفة على هذه الفارقة في سرير الداء يقول بسلامة طويته ، سألحاً منه كل حرد عليها ، كأنها لم تنله بمساءة : بروحي انتِ ، يا خيزران . لكأني احس ، وانا اراك تنوئين بعلمتك ، بالداء ينزل بي . عوفيتِ ، يا هناء ايامي . اذا غضب عليك محمد المهدي، فلقد اوجعه انقطاعه عنك بمقدار ما احزنك الصدود . الا اني لن افتح اذنيّ لثاني، حاسد ، ولا لواشٍ كنود . فالخيزران هبة الجنة لابي عبدالله . وليس ابو عبدالله بمن يزدرى عطابا الساء !

وعانقها وقال : هوّني عليك . ستميشين كما كنت، موفورة الكرامة ، راضية النفس . فالبلاط لن يضيء الا وقد اشرق فيه سناك . فمتى تبلىين من سقمك ؟ ... أأوفد اليك طبيبي ؟

ولم تكن بحاجة الى طبيب، وهي السليمة من النهكة . فالطبيب يفضح خديعتها . وعلا صوتها يذيع بدهاء خبير: حسبي ان انعم بعبادة امير المؤمنين كي اشفى . فان رؤيته بلسم للجراح ، وبعثٌ للاكباد النخرة . لا ارى الداء يلزمني والخليفة يجود عليّ برضاه !

فابتسم وقد اطربته فيها روعة البيان . وقال بمستطيل المسرة : زيديني من هذه الشوادي !

وانتفت من خاطره حسنة ، الجارية المرموقة . فلم يبقَ لها بين اضالعه  
متكأ ، والخيزران تحتل سويداءه . غفز لها كل سمي مشؤوم ، وكل مأرب  
خبث . واسترعى حبالها لا يميل الى ارتحال . فقالت السيدة الاثيرة ،  
واليقين بالسيطرة على خبجا امير المؤمنين ازال عنها شوائب الكمدة : لم  
يكن للعوادي منفذ البنا ، ونحن نعتم بكنف ابي عبدالله ، بمعزل عن  
النّمامين . اما وقد درج هؤلاء في فناء الخليفة ، فامسبنا بمن لا ترعى لهم  
حرمة . ما عرفت الغضاضة معرفتي لها في هذه الايام ، يا امير المؤمنين . غير  
اني كنت واثقة بان الغشاوة ستنجلي عن العين المخدوعة بالسراب . فنتقد  
الحقيقة لسيد هذا المطيئن بسرballها النصيح . والحمد لله ان يكون الامر جرى  
كما شاء الانصاف ان يكون !

واستولت على الخليفة حتى باتت لا تخلو منها فيه نزفة . فالسيدة الاثيرة  
عادت تستقر ببال المهدي سيدة اثيرة . قال وسخائمه تتلاشى فيه : لا ترجعي  
بي الى الاويقات الدم ، يا خيزران . فلقد نسختها من نفسي . هاتي ما يجب  
اليّ يومي ، ويحفزني الى الاستئناس بغدي !

فالتفتت الى هارون وزبيدة تقول ببسة وارفة : لست ارى اشهى  
من هاتين الريحانيتين يتعطر بشميمها امير المؤمنين . فالفتوة الجهبيرة ، اللدنة ،  
تجري في معارفها ، وتترنح بها اعطافها . ولن يزيد في رونقها وقدرها  
سوى عوارف ابي عبدالله الفيّيح !

وطاب لها النفاذ الى رضاه . فتميل به عليها وتبلغ منه هارون ما  
بلغت لبابة لموسى . فتألفت طلعتّه بالبشر ، وهو يجيل ناظره في الفتوة  
القشبية ، تجرّ اذيال النضارة والوسامة . وما قالك ان قال : اني لاجد في



هاتين الحليتين اكرم درر تاجي. فرعياً للصباحة المثلى تتبختر في اهبى البرود.  
ألا استمتعا بفلواء العمر ، ايها الصفيّان . انما في موسم الصباة اللاعجة .  
فاغتنماه وقتلياً لذائذ الهوامي !

وردد ما سبق له اعلانه ، كأنه لا يجد لهارون وزبيدة من دأب غير  
الاستمتاع باللهر والهيام . فقالت الخيزران تبغي ما هو ابعد شأواً : ولكن  
الرشيد بات يقوى على انتضاء السيف وخوض المعارك . فما يقف به عن  
الانطلاق الى مغالبة المارقين ؟

فادرك مقصدها . ما تروم الا ان تقيم من الرشيد ندأً للهادي . قال :  
ولكنني لن ابلج به على المعالي بتزودها . فما ان تحين السوانح حتى اطيرو به  
الى استدرارها . فتهاً لركوب الوعر ، والوثوب منه الى المجد ، يا هارون !  
فقالت بلجاجتها المأثورة : ولماذا نرغب السوانح ، يا امير المؤمنين ،  
وفي الدولة مجال الى الاستعلاء والبلاء ؟

فنظر اليها بقطوب . فهي ما تزال اياها في فرض مشيئتها ، كأنها لا  
تعبر بما ألقى عليها من عظات زواجر . واستوضح ببعض جفاف : وابن  
هو المجال ، يا خيزران ؟

فكادت تعلن : « في جرجان ، يا ابا عبدالله ! » . الا انها خافت ان  
تسيء الى روحه بهذه الاستطالة على رغائبه ، وقالت : لست اميل الى رؤية  
الشر يستدئب في هذه الدولة الايدة ، يا امير المؤمنين . ولكن اذا تحركت  
بوادره فلا تنس هارون ، وهو يكفيك الاعباء . فان في جوانحه من الجرأة  
والحنكة ما يرفعه الى مضاف ابيه الامثل واجداده المساعير !

فخجل هارون ، وتورد خدها ، كأنه العذراء . وادناه منه المهدي يقبله

ويقول : لا عجب أن يتوقل بهمه في مصاعد الحزم والافدام ، يا خيزران ، وهو من تربة لم تنبت غير الصيد المقاديم . له اسوة بجده المنصور ، وبعمي ابي العباس ، وعمي ابراهيم !

فهتفت تمنن في اسره : وبك ، يا امير المؤمنين !  
فتمايل زهواً ، ولقي في الخيزران من تستنم اليها افانين الارضاء . فلا تخطيء الملاطفة ، ولا تفوتها الفرصة لامتلاك المهج . قال وهو يجيل عينيه فيها وفي هارون : لن اتواني في اعداده لليوم الازهر ، يا خيزران . فطبي قلباً . صدقت في ما تبغين له من الترس بالصواب . فعلى من يقبض على الناصبة ان يكون من السادة والقادة ، المشهود لهم بالتفوق في كل مضار . وما ان تلمع شرارة تنذر باكفهرار الجو ، حتى ادعو الرشيد الى جلاء الخطب . فكن على أهبة ، يا رجاة ابيك !  
فانتشر الطرب في محيا السيدة الاثيرة . وقال هارون : ما انا غير نبلة في قوس امير المؤمنين ، له ان يطلقني الى حيث تسدني بينه !

وقالت زبيدة : كلنا فداك ، يا عماء !  
فسره هذا الامثال لرغائبه . ومال على الخيزران يقول : اريد لك الشفاء العاجل ، يا مفرجة الكروب . لدي الساعة من الشؤون ما يناديني الى انجازها . غير اني سأعود !

فشى هارون وزبيدة في تشييمه حتى امتطى جواده وتوارى . وهتفت الخيزران على بهجة متأدية ، فيما يخلو لها الجو ، وقد نضت عنها الغطاء ، ووثبت الى هارون وزبيدة تعانقهما : خلعتما علي الحياة بما اعدتما لي من مصالحة امير المؤمنين . فكل ضم تلاشى عني ، وكل محنة تداعت . فان لنا ،

في صفحة الغد، من زخارف النعمى، ما يكتب لجميعنا الهناء الرخي. ستملك في هذه الدولة الامر، يهارون. فلست الخيزران ان لم أوطىء لك مهاد العز! واطربهم نجاح الحيلة. قالت زبيدة: ان الحظ ليساعدنا على اعدائنا. فما دامت اختي لبابة تزحت عن بغداد، فلن تصدمننا عقبة. وليست الجارية حسنة بمن يقوى على تكدير الافق، وقد امتت عزلاء، لا تستطيع ان تشهر علينا سلاحاً!

فضحكت الخيزران من حسنة. فمن تكون كي تنصب العراقل?... انها لقطرة ماء في مرشف النار. قالت السيدة الاثيرة: ما بالنا نلتفت الى الحنافس?... اعداؤنا موسى ولبابة والفضل. وتقبل حسنة في آخر الشوط. ومن الغبن ان نقيم وزناً للمهازيل بعدما نأى عنا العناة. رحيل لبابة بدد الاسى. غير انها لن تمأ في جرجان، وسأقوض كل رغد وامل تموج في غلائلها. ما ولاية العهد لسوى هارون!

وارتجت ان يطل على الدولة العباسية يوم كالح المهجة، مستظير الشر، فيهب هارون للذود وكبح جماح الرزيثة. ولن يكون الهادي خيراً من ابنها المصطفى. وستستدعي يحيى بن برمك ليعضد الرشيد في الكفاح، ولن يجيبها المهدي بعدما ألقى اليها امره. فلا غنية لصرح اساس عن حكمة البرمكي المنفي الى ازربيجان، مسلوخاً من عطف امير المؤمنين

واليوم المرجو اشرقت شمس. فالقائد « ميشال » البيزنطي استباح في الشمال حدود الدول العربية. فحنق المهدي على العليج الوقح، ونادى في قومه: الى الجهاد، يا من تظللهم الرابات السود. ان سيوفكم المصقولة لتأبى ان تشوي بالاغمد، والعدو يرتع في لحكم، وينهش كرامتكم!

وهرعت اليه الخيزران للتذكير : مولاي ، لا تغفل عن هارون !  
فصاح ، وقد راقته المهزة السخية : لعينيك ، يا خيزران . سيكون علي  
رأس مئة الف مقاتل !

فعدت الى الاسترحام ، وهي موقنة ان كلماتها في المهدي اشبه بالامر  
القاطع : مولاي ، زوده صفوة الابطال !

فاعلن: ولكنهم باجمعهم في خدمته، يا خيزران. فما عليه الا ان يختار!  
فابتدت بجرأة لا تهيب امدأ يقف بها عن غلوائها: لست اجد افضل من  
يحيى البرمكي ، يا امير المؤمنين . فانجده يحيى !

فزوى ما بين عينيه ، وصاح بغيظ : عدوت الحد، يا خيزران . أندعو  
الينا من هووا عن مكاتهم منا ?

فدنت منه على مذلة لفي تقول : اصفع عن المخلص للسدة العليا ،  
يا ابا عبدالله. فالمرجفون افتروا. فهل يسيطر على نية المهدي المرجفون?...  
ما كان يحيى الا النصيح الحفيظ ، المؤاسي في النازلة ، والمغتبط في الرفاء .  
يوجع قلبه ان تلمّ بنا الدواهي ، ويجاهد ببعيد ادراكه ، وماضي وسعه ،  
في انقاذ مجدنا من طواحن العناة !

فبددت فيه كل نقمة على البرمكي ، حتى بات يراه منكوباً بما آل اليه  
من تشريد واغضاء . على انه ظل يتاسك ، فقال : دعيه الى سائحة اخرى ،  
ايتها الآمرة الناهية في المهدي المدعان !

قالت بصوت يرشح بالاستعطاف الملتاع : لست اجد سواه حرزاً يقي  
الرشيد الاخفاق . فانصره به ، وادفع عنا الحيبة . ليكن ناراً مندلعة على  
اعدائك ، فيصوّحهم ، ونغم به خادماً اميناً في خدمة هذه الدولة ، وعليها

وقفنا الارواح !

فتمت وهو يتسم : انك لذات صولة في الاقناع ، يا خيزران . جاريناك  
في طلبتك وأعدنا اليك البرمكي ، على ان يتحامي الزوجان !

فهمت بفسيح الطرب : تبعته في عنقي ، يا امير المؤمنين . أما بدا  
لك في ازربيجان ذلك الوفي\* ، المعتم بالامانة للخليفة ، ايده الله ؟  
وانحنت على يده تقبلها دليلاً على بليغ الشكر . فالتفت المهدي الى وزيره  
يعقوب بن داود يقول : ليرجع الينا يحيى البرمكي ، يا يعقوب . فلا محيد  
عن الانتفاع بثاقب رأيه ، ويانع علمه !

ويعقوب بن داود تولى الوزارة ، لدى المهدي ، بعد انقطاع ابي عبدالله  
معاوية بن عبدالله الاشعري عنها ، لوحشة اصابته في ابنه ، وقد اطاحه المهدي  
بتهمة الزندقة . قال يعقوب مدهوشاً من استعادة الخيزران سلطانها المترامي  
على الخليفة : سماعاً وطاعة ، يا امير المؤمنين !

وما هي غير ايام سراع حتى كان يحيى بن برمك يقبل الارض في حضرة  
ابي عبدالله . فقال المهدي بجلال الصّفوح : وهبناك للخيزران ، يا يحيى .  
فعدت لديها الى ما كنت فيه من اخلاص في النصيحة ، وغيره في الخدمة .  
والزم هارون . عقدت له راية القيادة في مقاتلة اجلاف الروم !

جفل الاروام حيال وثبة الرشيد عليهم بجيشه الضخم . واخلوا آسيا الصغرى ينزرون في قاعدتهم « بيزنطة » . وتأثرهم هارون يضرب في اقفيتهم السيف . فبلغ بقواته ضفاف « البوسفور » يشرف منها على عاصمة الروم ، ويجمعهم متوعداً . ابقى وراءه ، من اعدائه ، أوف القتلى يفسدون الهواء بنتن هياكلهم المتناثرة ، وأوف الجرعى يملأون الجو انيناً واستغائة . ونصب على شواطئ المرّة ، الفاصل بين الشرق والغرب ، العلم العباسي الاسود يتبه دلالاً على الاعلاج المختبئين ، في مطاوي الاجحار ، فرقاً وخذلاناً وسقطت الانباء الى المهدي فاستنشق عرف الغبطة . جناحاه يبسطان ظلها المديد على الدولة المترامية الجنبات ، ويصونانها من القواصم الراضخة . فليس لموتور ان يفلح في خطوة غادرة . الهادي في جرجان ، والرشيد في آسيا الصغرى ، يحطمان كل عدا ، ويكتبان لابيها الصفحة المجلوة في سفر المجد . وتمايل المهدي جذلاً . من يجرؤ على الالتفات ، بعين شزاء ، الى الحمى المصون ، والاسد اليقظان ؟

وهفت الخيزران الى قصر السلام تصبح بابي عبدالله بمنذلع المسرة : رأيت الفتى النجد في ترويع اعدائك ، وتوطيد اركان دولتك ، يا امير المؤمنين ؟ ... تطايرت رؤوسهم تحت نصلة سيفه ، كأنه يضرب في هشيم . فأمر في تبديدهم حتى لم يبق منهم غير هامات مبتورة ، واسلاء منشورة ، غابت فيها الساق في الذراع والامعاء ، كأن الاندال غاروا في لجج في الدم !  
فاعلن المهدي بفضفاض الارتياح : لنا البشرية ، يا خيزران !

وضحك للسيدة الاثيرة بلء حنجرته وفه . ففتفت ، وقد كادت تضيق  
بها دنياها لمتادي فرحتها : وهل بقي لك ما تعيب على هارون، وهو يتسلق  
بجده واقدامه ذروة البطولة ؟ ... كنت تجد فيه خشي ، وتعيّره القعود  
عن المعالي، فماذا تلس اليوم في ضلّاعته ؟... أتظل تنهه بالحمول، وتجاهر  
بانه لا يصلح لسوى الحدور ؟

فقته ضاحكاً حبال شوخها وبطرها ، وقال : بدأت اعرف فيه نجابة  
من نشأ في مهدنا، وربّي في حضننا. فهو من اصلاب قوم بنوا للمجد الدعائم  
الرواسي ، وانقذوا الانفة من الكبو والاسفاف !

قالت وما زالت العنجية تتواثب فيها : ومن تعدل به وقد عجمت  
عوده ، وبان لك شأوه ؟ ... ألا تتوسم فيه فرحاً من افراخ البزاة، يرفع  
من شم العباسيين الى حيث يجزى كل سو ؟ ... ليست دروب الروم  
الوعرة ، كسبل جرجان المعبّدة . وليس الروم الصلاب الشكائم ، كالفرس  
المقيمين على ديننا ، واعماق مهجهم تختلج بطاعتنا . فالروم يملون الى نسفنا،  
كأننا لم نكن ، وهم اعداؤنا في المذهب وفي الدم . على حين ان الفرس ،  
وقد صاهرتاهم ، وصاهرونا ، وانطورا مثلنا على شرعة الرسول ، لا يهندون  
الى محونا، بل الى مشاطرتنا السؤدد. فاذا ما ظهرنا فيهم مؤدبين، ومدوخين،  
ذكروا انهم منا في القوادم ، وان الخضوع للكتاب يجمعنا معاً في سبط  
واحد . فيزول عنهم العصيان، وتلتوي المغالبة . ونسي جيباً اخواناً، إن  
لم يشدّم العرق ، شدّم الاستمساك بعروة النبي الامين !

فلم يغضب المهدي للمفاضلة ، بل قال وهو يتسم للسيدة الاثيرة مباسطاً  
اباها : ألا نتزحزح قيد أغلّة عن طباحنا، يا خيزران ؟... والله، ما عرفت

في النساء من تبلغ في التثبث بالرأي بعض ما انت فيه . كاد هذا الجماع يكلفك الغالي . فما يدعوك الى الرسوخ في مخاطره ؟

فاوضحت بشدة : مائة جماع ، بل مصلحة ، يا امير المؤمنين . فمن الخير للعباسيين ، ولا سباً للمهدي ، ان يتولى هارون بعدك الامر . فيستقر بالمنصب من هو خليق به ، وتجري سياسة الدولة على مستوى قويم من الخنكة والسداد . اما اذا انتهت الخلافة الى الهادي ، فمن لك يقف بالغواية عن مستفعل رعونتها ، وبالفوضى عن مستشري نكدها ؟ ... خوفاً على الدولة ، من العثار ، يحفزني الى الاعتصام بعنادي ، يا ابا عبدالله !

فهز رأسه وزفر . ليس له ان يدحض جهالة الهادي ، وفي موسى من الفورة ما لا يسكن الى هدى . على ان هذا الجهول من البسالة والحمية ما ينسخ فيه المنقصة . فاعدته قسوته لكبح جماع الشر ، واريحينه لامتلاك الناصية . وربما كان الرشيد ارحب صدراً ، واسلس قياداً . على ان الاعتزاز والتحكم ليسا في الولاة عيباً فاضحاً . وارجع المهدي ان تلح عليه الخيزران في فسح ما ابرم . فلماذا هذا السعي الاخرق لمحو المكتوب ؟ ... ولجأ الخليفة ، البريء الدخلة ، الى التؤدة في مخاطبة السيدة الاثيرة ، وليس يميل الى مقاطعتها كشأنه في ما تصرّم من عهد . قال وكل ما فيه يرشح بالجد والرزانة : هل لي ان ادري ما يملك على هذا المقت تكتينه للهادي ، وهو ابنك ، يا خيزران ؟ ... كنت اجد ، في منافرتك اياه ، باعث غيرة ، لو انه ابن سواك من نسائي . اما وانت ولدته ، فلماذا تنطوين له على الكره العُصوف ؟ ... فلا تنطبق لك اهداب الا وقد سلته من خاطري ، وانزلته من مرتبة سامقة لا اراه افتأت بها !



فقلت فيها احقادها ، وهنت بغيبظ : ولكنه دون ما تتوسم فيه من  
المخايل ، يا امير المؤمنين !

فاعلن يحفظ غيبة الهادي : لا يلوح لي منه ذلك السقط ، كما يلذ لك  
ان تصوّره . فان يكن يجبهك بالعصيان ، وامراته تنفت في ما حولها  
الزواية بك ، فليس عصبانه ، واستصغار لبابة لشأنك ، بما يقوّض فيه كل  
فضيلة ، ويميز حرمانه ما هو حقّ به من مرتبة . فدعيه لما اقمته فيه ، وما  
هو بمن يخشى ظله . لا ، يا خيزران ، صدّقيني ، عهد موسى غير طويل !

وتصاعدت من حنجرته أنفاسٌ حرار . وأنّ يجهد ولذعة . فحدقت  
اليه الخيزران مدهوشة ، ولم تدرك سر حرقة ، ولم يتكشف لها ما يفيض  
به من لغز . كيف لا يكون عهد موسى الهادي طويلاً ؟ ... هل حدد  
ايامه ابوه في سرير الخلافة ؟ ... ورقبت بياناً ، وقد فاتتها الجرأة على  
الاستطلاع . فقال المهدي يؤدي كلماته متأنياً ، ملثاعاً: ابصرت في منامي ،  
يا خيزران ، ما لا تبرح تكتوي به كبدي . وهو بما لا احسبك تطربين  
له ، مع متفاقم غضبتك على الهادي . فتراءى لي كأني دفعت الى موسى  
قضبياً ، والى هارون قضيباً . فأورق من قضيب موسى اعلاه ، واورق  
قضب هارون حتى لم يبق فيه ملمس الا صاح فيه الاخضرار . وهي رؤيا  
كدت اقصها على الرشيد وزبيدة ، يوم اقبلا بهنثاني بانتصار موسى في جرجان ،  
ويطلعا نني على ما ألمّ بك . الا اني تمالكت ، ولم اشأ ايلاهما بالمرّوع الدامي .  
أندربن على مَ تدل الرؤيا الجافية ، حفظك الله ؟

فوقفت ازاءه مدهوشة ترصد ما لديه من تأويل للحلم . قال بمضض  
قاصم : ان تكن غابت عنك حقيقة الرؤيا ، ألا فاعلمي انها تشير الى ضوولة

عهد موسى في الحكم . فما ان يربع بدست الخلافة ، حتى ينهار . فتفيض روحه وهو في غفوان السن . ويقبل بعده هارون فتطول ايامه ، وتزهو سنواته . وما دام الزمن خادمك ، فما يلبج بك في حرمان موسى - واحسرتي على موسى ! - مرتبة هو فيها لشهور عجاف ؟ ... فما ان يستمتع بالعزيز حتى تهوي به القدم في حفرة المنون !

فلم تؤمن بصدق الاحلام . وليست تريد ان تستند في طامحها الى الواهي ، المشكوك فيه . ومع يقينها ان للروى اثرها في النفوس ، وان القوم يلبسون فيها الواقع ، ويجرون في تقديرها على اقتناع بنفاذها ، سخرت بمعتقد الناس . واصرت على ان تبصر بعينها ، الاثنتين ، ابنا موسى مخلوعاً من ولاية العهد ، والرشيدي راسياً فيها . قالت والهزه ينمطى في كلامها : زاد الله في ايام امير المؤمنين ، ما كنت لاشترى خيالاً في ظلام . ربما صدقت الرؤيا ، وما يبدو للمهدي المقدسى غير الراهن الوثيق . على انها قد تطيش . وابن نمسي وقد زاغت عن مسلكها ؟ ... ما نخمعتي ببليّة ادهى من هذا الرفق بموسى ، يا ابا عبدالله !

وران الاسى على الخيزران . وبدا فيها كمد الحبية . فساء المهدي ان تتألم . وقال يزدلف اليها بلطيف نبرة : لا تمتعضي ، يا خيزران . فما اردنا بك شراً ، وقد وهبنا لولدك الحق بما ناه فيه سواهما بالاخفاق . وكنا نجاريك في رفع هارون ، دون موسى ، الى المنصب المختار ، لولا ان نكون جاهرنا قومنا بما ازمعنا . وليس لنا ، وقد نشرنا على الناس رغائبنا ، ان نتراجع في ما سبق اليه اللسان !

فاعلنت متحصرة : لكأنك تبغي قهري ، يا امير المؤمنين !

فانكر عليها الظن الاثيم . ما رفع موسى ليزري بها ، بل ليعمن في اكرامها ، وقد حاز ولداها الشرف الاثيل بركوب مقعد الخلافة . اما وهي الناقمة على موسى ، فاي حيلة يفرع اليها المهدي ليبعد الهادي عن منصب اقره فيه ، فترضى الخيزران ، وتنفرج برطمتها ؟ ... قال ابو عبدالله بعد بمضّ تفكير : هل لديك سبيل الى نقض المبرم ، يا أم موسى ؟

وناداهما عمداً بكنيتها كي تذكر ابنتها البكر ، فيرقّ له قلبها . بيد انها لم تتأثر بشعور الامومة ، كأن موسى ليس منها في حلّ ولا حرم . وقالت بشدة : ليس من سبيل ، مها ضاقت ، يعسر على المهدي انتهاجها . فمن عقد العقدة بجلّها ، يا ابا عبدالله !

– ولا يمتننا الناس ، يا خيزران ، ولا يعيروننا التقلب في الرأي ؟ ... والله ، اصبحت اميل الى خلع الهادي ، من ولاية العهد ، كي افوز باتباسمة لينة من رطيب ففرك . فارشدني الى الصعيد الآمن لثلاعاثر ، وأرمى بضغف الحجا . كيف نازل موسى عن مسند أبحنا له التوكؤ عليه ؟

فقال لا ترهب وخامة المغبة : يدعوه اليه امير المؤمنين لثلا يتردد في جنده بيجرجان ، ويعالنه امر الخلع ، واثبات الرشيد !  
– وينقضني الامر بلا فتنة ، ولا سفك دم ؟

فصاحت وقد ادركت ان المهدي بات في قبضتها مرخيّ الجناحين ، طوع الشهوة الملحاح : ومن يجروّ على الفتنة ، يا امير المؤمنين ؟ ... لا احسب هذا الوالغ في دمه ولدته امه . ولا ينسّ امير المؤمنين ان له من مضاء الرشيد ما يطبع كل وقع زنيم . ليقبل كلمته ، فيخشع حياها كل جبار عنيد . ما هؤلاء المستظلون لواءه سوى رجاله وعبدانه . وليس لذي مكنة

فيهم ان يسير في مناهضة محمد المهدي !

ونفخت فيه العزيمة ، وقد خشيت عليه من التداعي . وعزّ على المهدي ان ينكص ، وينكث . فقال يلهو بالماطلة: هي لي فسحة من الزمن ادقق فيها في ما تدفعيني اليه . وعندني ان نصبر ريثما يبدو فينا الرشيد ، وقد عاد من مناكرة الروم . فنتبادل الرأي على بصيرة ، ونعلن ما نراه يتفق والمنشود !

فرأت من الحكمة ان تلوذ بالصبر . حسبها ان تكون مالت بالحليفة ، في ولاية العهد ، عن نصرة ابنها البكر . فالرضى بخلع موسى فوزّ جسيم لها ، ما كانت لترجو بلوغه . بل ما كانت ترجو ان يرغب ابو عبدالله في العودة الى المباحثة فيه . اما وقد جاوزت المأمول ، وسمعت المهدي يوافقها على الطلبة ، فستهب له ما يطمع فيه من اويقات للتدقيق والتفكير . ولن تقف منه مكتوفة اليدين ، بل ستقوده الى رجاءاتها مستعدية عليه الرشيد وزبيدة ويحيى . وستكون لها كلمتها الفاصلة . ولن يصدها ابو عبدالله عن البغية ، ما دامت لبابة في جرجان نائمة على عهد قلىق ، تحسه وطيداً وقد عصفت به ريح هصور

وكتبت الخيزران الى الرشيد أن عدّ وقد استوسق لك الامر . ففي بغداد ترقبك المعالي . وكان قد زحف الى مناخزة الروم يصعبه خالد بن يحيى البرمكي ، لا يحيى نفسه . فالخيزران استبقت يحيى بجانبها ليقود خطوها في تذليل العسير ، واستنجاز المروم . ويحيى اشار بعودة هارون ، وكتب الدعوة . فالنهزة تفرض اغتنامها ، ما دامت لبابة في تزوح عن امير المؤمنين ونغي الى حسنة ان الوثام بلّ الدواخل الجافية في قصر السلام وصرح

اساس . فتلاشت جزعاً . وادركت ما تكلفها الوحدة من ضم . فلم يكن للخيزران ان تنفذ الى بال المهدي لو حرصت لبابة على مقامها في البلاط . اما وقد جرت الى جرجان في اثر زوجها ، واباحت المضار للخصوم ، فمن الشاق على حسنة ان تجلتي في الشوط ، والواقفون لها بالمرصاد يعرقلون وثباتها، وينتفون جناحيها. واغارت على قصر السلام تنتعب وتطالب ابا عبدالله بعهده . فاكرم الخليفة وفادتها . وهش لها وبش . ودغدغ خديها . وتظاهر بانه لا يبرح يقرها منه في السامق من الجوانح . على ان هذه الملاينة لم تكن لتصدف بحسنة عن غليانها . فهتفت : هل قام على الرمل ما بنينا ، يا امير المؤمنين ؟ ... ابوك ، رحمت الله عليه ، لما شاء الفتك بعمه عبدالله ابن علي، جزاء عصابه ، شيد له بيتاً على الملح . وما ثوى به عبدالله الجبار، حتى كانت مياه الفرات تعبت بالدعائم وتذييبها . فانهارت الجدران على عم ابيك، وقضت عليه . وهكذا انت في جاريتك الامينة حسنة . بنيت لها في حوانيك بيتاً منيفاً ، فاتن الزخرف . ولكن على الرمل . فما ان بدت الخيزران ، حتى تساقطت عليّ الحيطان تدفني تحت انقاضها . وهو ما كنت اتوقع ، يا امير المؤمنين . مع سعيك لاقناعي بانك في مودتي على الامل . ان حسنة لعائرة الجد في شغفها بالمولى الجليل !

وبكت بين يديه بدموع سخان . فحار في كفكفة هذه السواجم . فالخيزران تبكي . وحسنة تبكي . أف لهؤلاء النساء، ما اسخاهن بالنحيب !... وما جهل ابو عبدالله انه لم يقم من الجارية المرموقة على حفاظ . فما ان عاهدها على عقد هواه عليها ، حتى ظهرت الخيزران تدمر العالم ، وتستأثر بالمواد . وهو ما رقت حسنة، وحدثت منه امير المؤمنين . فجاهر ابو

عبدالله بالسوخ في العهد ، ولن يقوّض ما انشأ . الا ان الخيزران كالرياح  
السواقي ، تذهب بكل مكتوب ، وتمحو كل ميثاق . قال الخليفة يبرّد  
لهبة المدامع : ولكني ما نسيتك ، يا حسنة . فانت ابدأ في نظيرة نسائي .  
وان كنت اجزت للخيزران ان تبدو في حضرتي ، فما اعدتها الى مكانها  
الاثير مني . وهي دونك . وانت تلك المكرّمة عندي، ورفيقتي الوحيدة  
في رحلاتي !

ولكن هذه الوعود ، على حلاوتها، باتت مُزّة الطعم لدى حسنة . وقد  
تناهى فيها الايمان بان لا ثبات ، لامير المؤمنين، على رغبة لا تلقى في الخيزران  
ارتباحاً . رأت الجارية الحسيرة ان تلوذ بالهادي ولبابة . فتدفع الى جرجان  
من ينبتهما بالخطر المشتر الاردان . وتهيب بهما الى الاحتراز من ديهانس أم  
موسى . قالت ودمعها لا يفتأ يجلد بلا هوادة خديها : انك لتذلي ، يا امير المؤمنين ،  
وانت ترتفع بي الى شاهق ، ثم تقصيني عن مرتبتي ، فاهوي الى حيث يشمت  
بي اعدائي . اصبحت لا اطبق الظهور في اترابي ، وانا الضائعة في عطفك ،  
المنكوبة برضاك !

فضمها اليه هاتفاً بها : أينساك امير المؤمنين ، يا حسنة ، وانت لديه في  
طليعة من ينفعه بمخبور الصباة ؟ ... لا بارك الله في من يسلك . الا انها  
سياسة المواومة ، يا وجه الخير ، وارانني مكرهاً عليها . فليس لي ان امضي  
في مناكدة أم موسى ، وقد اطلقت ولديها الى اقتحام النيران . ولكن ابن  
هي منك ؟ ... بعوضة في حوض !

غير ان هذه الشوادي امست كليله في حسنة ، وباتت تراها جوفاء اللب .  
ولم تعتب الجارية المربوقة على المهدي في جنوحه عنها . فامست تعرفه معرفة

اليعين . انه اضعيف حبال الخيزران . ولم تعتب على الخيزران ، والسيدة الاثيرة تهتد الى بلوغ اربها . بل عتبت على الحظ . هو هو الجاني . وستقاومه حسنة بما تستطيع . لا تهادن ، ولا تنكص . الا اذا تحطت سهاها ، وانقطع وتر قوسها . عندذاك ستدعن للمقدور . واصغت الى ما يجاملها به الخليفة من التآسي . ولكن دون ان تحفل بما يلقي اليها . ليرجع امير المؤمنين الى الخيزران . وسوف يندم . وربما كان يحفر قبره بيديه . فالجارية المرموقة ستنتقم انتقاماً جارفاً ، قشوشاً . فإما هي ، وإما الخيزران ، ومن يحظر في حواشي الخيزران من مردول البطانة . وانحنت في حضرة امير المؤمنين ترقب ان يأذن لها في الانصراف . فاضحت تشتهي الابتعاد عن مقر نخزي فيه وشكرت بمجبا كمد ، وبكلمات مراض . قال المهدي يباعد في المؤانسة : لا تزال مرتبتك لدي على مناعتها ، يا حسنة . فما كانت لتكسفك الخيزران . ومن يدري ؟ ... ليس ما يبعد ان نصبحي في حرمي من زوجاتي !

وخيل اليه انه ينيم فيها مفض الحيبة ، وهو يعلمها بالخطوة السامقة . بيد ان حسنة ملئت الوعود الخالبة ، وليست تعقد ، ولا تزهو . وعادت الى الشكر دون ان تقوى على ستر خذلانها . فكل ما ينشق لها ابو عبدالله سيظل جافاً ، جديباً . وانكفات الى مقصورتها ، وامانها في نواح . الا ان طماحها في زئير . ستزع من نفسها كل هيام بابي عبدالله ، وتنحو في ولها نحو الهادي . فلا بأس ان تشاطر لبابة حب موسى ، وتستبدل بطلعة الاب وجه الابن . فمن حق الهادي ان يتسرّها ، على ان تظل امرأته لبابة في الرعيل الاول من حظاياها . بل السيدة المقدّمة في نساته . فإن تم هذه الرغبة ، فلن تبقي الجارية المرموقة من المهدي والخيزران والرشيدي على خلجة . فالسم

في متناول يمينها للاجهاز على الجميع

واستقرت باحدى زوايا حجرتها تطلق الزفرات الحوانق. وكادت تحتقن بحوابسها . وما زالت تطمع في ان توفد الى جرجان من يبلغ الهادي ما اعتزم ابوه، وما استعادت امه من الحظ المكين. فامست سيده الدولة، والبلاط يخلو من لبابة . ويخشى ان تمنع عن موسى حقه بولاية العهد ، وان نجس الامر على هارون . وليس لمهمة الابلاغ سوى الجارية سعدة . فتدفعها حسنة الى جرجان ، وفي شفتيها رسالة جبهة تنشرها على مسمع من ابن الخيزران البكر ، ومن اخت زبيدة . فإما ان ترجع لبابة، وتكبح جماح الخيزران المستأسدة ، وإما ان يباح للجارية المرموقة تقصير ايام المهدي

ولكن حسنة لن تنزل بامير المؤمنين فتكتها، الا وقد استمعت بالجنيّ من المنى . فاي منزلة يحلها منه الهادي ، لدن تدفع عنه شبح ابيه المضطرب الرأي ، المائع الكلمة ؟ ... فهل يسو بها منه الى حيث ترتع في حياض المهدي ؟

ان حقدتها الطاغية لبشدة بها الى الانتقام الحاصد، حتى اذا تنكب الهادي عنها . فستخدم مآربه عفواً في ركوب شهوتها . وليس يضيرها ان تسمى مغمورة، مهجورة، حين تودي بالمهدي وبالخيزران، وتشفي قلبها من ازرائها بها . فلن تبلغ الخير في مودة هذا المتلاشي حبال بسمة ، بل حبال نظرة تسدها اليه أم موسى

وأبت حسنة التقهر في مآربها ، على وعورته وخطره. ستضرب في أس الدولة قذيفة ناسفة لا تبقي فيها على ذي حس . واقتعدت الظلمات تعاند في ان تبدو للنور، حتى في مقصورتها. فهي في حزن على نفسها، وفي حداد على



املها . وغلت في جوارحها البغضاء . سنتقم . وكل من ابصرها من خدما وجوارحها خشبي الدنو منها ، وهي ذات شراسة في حنقها ، وذات كتمان في مصيبتها . فلا تكشف عن اشجانها في حضرة من هم دونها

وطال انحباسها في الزاوية دون ان يوفد اليها المهدي من يقرئها السلام . لكنها الحاملة المنسية . واشتدت بها الضغينة وهذا الاهمال يعصف بها . ورسخت في نيات السوء . فما دام ابو عبدالله لا يكثر لها ، فلن تكتب له البقاء ، والسوانح لن تضيق بها للفوز بمقصدها

ورقبت مؤاتاة الايام . فلا بد ان يسخو عليها الزمن بما يحقق الرجاء ، ولتذهب عنها بعدذاك حياتها . حسبها انها انتقمت لقلبها المكوم ، ولأمينتها المخدولة ، متنصفة من ختل الحدائق . واذا بالرشيد يعود من ضفاف « البوسفور » اجابة لرغبة امه . فاندفع المهدي للقائه بعظماء الدولة ، ويبحث بمور بالطبول والمزامير والاعلام . بل هفت الدولة العربية قباطة الى اللقاء ، هاتفة للغازي اليافع ، القائم ، مع لدونته ، باعباء الكفاية والمجد . وضمه المهدي الى صدره برعشة مستطيلة من صافي الحنين . وقبله في جبينه متمماً : وهبك الله من العمر ما يقيدك على هذه البسطة ، من الدنيا ، سيداً ملء برديه الغلبة . انعشت روحي ، وزدت في سعدي ، وانت تقهر اولئك الاذئاب . فمن حسبنا الاوغاد كي يتحككوا بنا ؟ ... ان هم الاجرني ، هازيل !

وصاح بمن حوله : مرحى للرشيد !  
فضاقت السهول والفجاج بتروديد المتناف . وبدت الخيوزان في الحشد تضم ابنها الصفي الى قلبها ، وتطلق دمة الفرخ . نالت ما اشتت . وسوف

تدرك ما لا تزال نشتهي . فما دام مجال الحظ اتسع ، وطال ، فنسلكه  
حتى الامد . ودعت من حولها من الجوارى ، المقنعات الهواجج ، الى  
الانشاد ترحيباً بالفاتح القاهر . ورشته بالزهر والعطر . وجارتها زبيدة في  
مهزة اليناس

وقامت الزوراء قومة الرجل الواحد في التكبير للرشيد، الظافر باعلاج  
الروم . فامتلات الطرق بالرجال ، والنساء ، والاطفال . وكلهم على حفارة  
وبشر . فدخل هارون عاصمة ابيه كأنه احد الغزاة المصاليت . واشرفت  
به بغداد . وفتحت له ارحب صدر . وانبت في الدهماء ، بوحي من الخيزران  
ويحيى ، من يصبح : ولاية العهد لهارون ، لبطل العرب الحمي . عاش  
هارون ، ولي العهد !

فعبس المهدي . ما هذا البيان الشاذّ النغم ؟ ... وكاد يدعو الى اخفات  
الصيحة ، وفيها ما يعكر صفو اليوم البهيج . غير انها تفاقمت حتى امت  
هتافاً ملحاً ، يعاد ثم يستعاد ، ولا يسكن له قرار

وانبسطت جوارح الخيزران تدغدغها الاغنية الحلوة . وتبادلت وزبيدة  
النظر المراح . وابنتت طويلاً ابتسامة النشوة والاعتزاز . انها لتخطو  
حثباً الى المنشود . وبجئت ، من كوة هودجها ، عن يحيى البرمكي . فاذا نظراته  
تصبّ على الهودج بشوق ومسرة . فماذا بقي لاميير المؤمنين كي يعترض  
على رغبة الشعب الصارخة ؟

ووقف الموكب ، على غليانه ، في افنية معنى السلام ، قصر الخليفة . ودخل  
السادة الاعلام البلاط . وكان للشعراء ، من امثال بشار ، وابن ابي حفصة ، وابي  
العاهية ، النصيب الجزيل من القول الجذلان . فتناهوا في صوغ فلائد المديح ،

يرصعون بها نحر الرشيد الهمام . وضفرت له غواني القصر أكلة الغار ،  
يطوقن بها هامته ، اقراراً بحسن البلاء ، واناقة الصنيع

وتكلم المهدي في الجموع المائثة ساح القصر ، لا نني تطلق هتافها :  
« هارون ولي العهد !... ولاية العهد لهارون ! » ، فقال : الحمد لله الذي  
زاننا بالقوة الغالبة ، واقام منا هداة انجاداً ، ورزقنا توأمين ندين نعتمدهما  
في الغواشي ، هما موسى وهارون . والشكر لكم ، انتم ارباب اليد الماضية  
في المصاولة ، وفي قهر الطغاة المستسرين . فما من مكرمة الا وتجد فيكم  
رايتها المرفوعة . سنبذل للرشيد من فيض ارجيحتكم ما تقرّ به عيونكم .  
فانصرفوا على بركة الرحمن !

فتفوا له هتافاً صيحاءً ، واكرموا باذخ مشيخته فقادروا باحات القصر .  
وتبودلت التهانى . واجرى ابو عبدالله على قومه الرزق الوفير . فغرف من  
بيت المال ، لا بالحنات ، بل بالبدر يسخو بها على السائلين . واكل الفقراء  
هنيئاً ، مريئاً ، من خير امير المؤمنين . غير انه لم يطلق نامة في امر ولاية  
العهد . فعزّ عليه ان يجبد عن ستة اقرّ معالمها ، وطبع رواسمها . وليس  
ما يعلن المهدي مما يجوز العدول عنه ، والمواربة فيه

وتباحث صرح اساس في قعود المهدي عن حبس ولاية العهد على هارون ،  
دون موسى . وبدت الخيزران مدهوشة ، فقالت : ولكن الجموع على بكرة  
ابيهما التمس بالخاف من ابي عبدالله انصاف الرشيد . فما به يغضي عنه مع جليل  
سعيه ، وصادق بلائه ؟ ... فهل كان للهادي ان يبلغ من الروم ، ما بلغ  
هارون ، وهو قاهرهم ، حتى لم يبقَ فيهم ذر جرأة على رفّة هذب ؟ ...  
اعرف المهدي عادلاً ، لا يهضم حقاً ، فما يمسك به عن حق ابنه هارون ؟

فقال يحيى البرمكي : هذا النصر ، تقبض ايدينا على نواصيه ، لم يعرفه العرب في عهد معاوية، عاقد راية القيادة لابنه يزيد في مغالبة القسطنطينية . ولا في عهد هشام بن عبد الملك ، المفوض الى اخيه مسلمة امر الروم . فالاثنتان بلغا ضفاف البوسفور ، الا انها عادا عنها مهزومين . اما نحن فذوّخنا العلوج ، ورجعنا بهالات النصر . وغزوة موفقة ، هذا شأوها ، لا ترجعها ولاية العهد . نال هارون نصيبه من العلى بجده وحزمه ، ومن العبن ألا يرتقي الى حيث لا يعادله حظي !

على ان المهدي لم يكن ليرضى بمحو ما كتبت يمينه . فليس للخيزران ان تحاول ما لا سبيل فيه الى ابن . فالكلمة المعلقة تنزّل ركين ، لا تمحى حروفه، كالنقش في صخر . فهاج هياج الخيزران . واطلقت تعاتب رب قصر السلام، صائحة، غضبي : أهذا ما يلقى من ابي عبدالله الاصفياء الاوفياء...؟ ألا ماذا يقدم عليه موسى في جرجان ؟ ... انه لينام بلاء عينيه ، ويقلق الآذان بشخير السقيم . وكل ما اندفع فيه لا يجاوز مناوشة صبية . فهل تقيسه بمستوى هارون، خاضد شوكة الجبابرة، الشوس...؟ والله، اني لادعوك الى النصفة ، يا امير المؤمنين . كفتنا الميزان بين يديك ، فانظر أيهما ترجع ، وأيها تشيل . فالافعال تتكلم . ومن الحيف ان يتجانف ابو عبدالله عن القسط في الحكم . وليس من الحكمة ان ينعم بالرفعة غير الكفي !

فهد ابو عبدالله الى التسوية ، كأنه لا يزال يبيع للابام ان تنوب عنه في حل المشكل ، واعلان الكلمة الفصل . غير انه احس بالاحراج والضيق ، فنزع الى استشارة ضميره . واذا ما يعالنه به ضميره ان ليس لمن قهر الروم ان يستوي ومن اخمد فتنة الفرس . فالفرس ، كما قالت فيهم الخيزران ،

قوم يدينون بدين العرب ، ويجدون في الخلفاء العباسيين نفحة من انفاص  
الرسول. على حين ان الروم اعداء في السياسة وفي المذهب. فمن يدوّنهم  
كمن يدوّن عدوين مزدوجين ، المنافس في السيادة ، والكاره للدين . على  
ان ابا عبدالله يلتب حيرة كلما فاضل بين موسى وهارون. ويضيق به مشواه  
فيهرع الى حسنة يلتمس لديها الراحة ، ويرجو البرء من مجرائه . ولكن  
الجارية المرموقة اضحت لا تشتهي رأى الخليفة ، المستهين بعهوده لها. فتلقاه  
بفتور ، حتى ليكاد يحنق ويهدر دم الجارية . الا انها تبكي وتتنظّم ، فيرقّ  
للساكية المغبونة . وما ندّ عنه انه لم يفرّج عنها الكربة . بيد أنه لا يعد ،  
وكل وعد يسيء الى الخيزران لا نصب له من الوفاء

ويلاطف حسنة . ويهب لها الاموال والحلى . ولكن الجارية الحردة  
تلتمس ما هو اسمى واوذن. وطالت على ابي عبدالله المهدي الرجرجة. فلا  
هو لدى الخيزران مطمئن المهجة ، ولا عند حسنة مأمون الانس. ومال الى  
الخلاص من الاضطراب العابت بجلده. فليس يطبق الارتباك الفاشي في نفسه  
حتى يوشك ان يعميه عن امره . وذات ليلة ، وهو يقيم من الخيزران على  
جهامة ، ويكاد يعود واياها الى ما تولاهما بالامس من مستفعل القطيعة ،  
انحنى بين يديه فارسي مقبل من جرجان يقول : لم يبق لنا من مفزع سوى  
امير المؤمنين ، ادامه الله وبسط عزه. فالهادي ينزل بنا من ضروب المخاشنة  
ما يرضّ فينا الانفة ، ويبدد الطمأنينة . فلسنا اعداء ابناء اعمام النبي كي  
نلقى من التنكيل ما يذهب عنا بالروع ، وبالروح . فالمرء منا بات لا يأمن  
الهلكة ، حتى على ثوائه بالمسجد يتعبد لحالقه . وهي حال لا احسب خليفة  
رسول الله يرضى بها لمن تشدّم اليه عروة الدين الحنيف !

فأوجعت الظلامه المهدي ، وصبا الى تبديد المنجيه . غير ان التذمر  
توالى حتى لم يكن يطل يوم الا والمتظلمون يقرعون باب امير المؤمنين .  
واذا وفد من ذوي المكاة في جرجان ينحني بين يدي ابي عبدالله ليقول :  
نصر الله امير المؤمنين على اعدائه ، وشتت شمل معانديه . ما وقفنا بين  
يديه ، على التواء هامة ، الا لنبدي ما يرمينا به موسى ، ولي عهده ، من ويل .  
فسلبنا اموالنا ، وهددنا بسبي نساتنا ، إن نحن لم نبايعه بالخلافة ، وهو الجانح  
الى الانفصال عن ابيه ، وانشاء دولة في فارس تناكد دولة المهدي ، وتنتهك  
حرمتها بما تفاجئها به من ترويع . وهالنا الانسلاخ من عطف امير المؤمنين ،  
فاتفقنا على المجيء اليه ، خفية ، لمعالتته الطاعة ، ومصارحته بما تتزى به  
جرجان من فورة توشك ان تطفى . فلا ترحم شيخاً ، ولا ترق للظيم !

فقال ابا عبدالله ما يشك في اذنيه من قاصم رهيف ، ونبر : أيفعل  
الهادي ويتنكر لابيهِ ؟ ... ومن براني من عدم ، إن كنتم تقصون عليّ  
الاراجيف ، فلاطيحتكم طيح الاماليد في هبوب الاعاصير . ما أحسب  
الهادي يتردد على ناجله ، فيعق المنعم عليه بالضياء وبالمنزلة . خذلكم أرواحكم  
إن كنتم كاذبين !

فاجابوا ولم يروّعهم التهديد : ما كنا لنفتري على ابن سيدنا الخليفة ،  
ووليّ عهده . بل ما كنا ندلف الى حامينا الامين ليردّ عنا المتالف ، لولا  
اننا نعاني من قسوة الهادي ما تكبو به الهمم ، ويذل الكرامات . فيسومنا  
الشقاء والقسر . ويفرض علينا من المكاره ما تنبو عنه طاعتنا لخليفة رسول  
الله ، ونحن من اعوانه ومثّقيه !

فقوضوا فيه كل ما يدّرع من مناعة ازاء الاحداث . أيفكر الهادي

في الاستئثار بفارس ، ويجحد اياه ؟ ... واكفر المهدي . وجحظت عناءه  
سخطاً وامتعاضاً . ولكن أيزمن بما يلقي اليه ؟ ... لقد توالى الظلامات  
حتى بات الايمان بها فرضاً . وما درى الخليفة ان الخيزران وبجبي البرمكي  
اتفقا على ايفار صدره على الهادي بهذا الدس المنكر . فهما من رشقاه بهؤلاء  
الشاكين من ابناء جرجان ، لسيلا به عن نصره موسى . وتشجعت اعصابه .  
واكتوى بما يقع في سبعه . فاذاغ في نافثي التضليل : ساتدبر امركم بما يصون  
سلامتكم ، وينيلكم الانصاف . عودوا الى دياركم آمنين ، ولا عليكم . فالمهدي  
لن يغفل عن حق ضائع ، ولا يرضى ذمة من يخفر الذمام !

ونادى اهل الرأي من رجال الدولة ، وفي طليعتهم بجبي البرمكي  
والربيع . فقال الربيع ينكر ما رمى به الهادي من فرية العصيان : ليس  
اولى من استدعائه اليك ، يا امير المؤمنين . فاذا لبي فهو المطيع . والا  
صدقت الظنة . وللخليفة ان يقطع صلته بولي عهده ، ويتجهم له !

وما استطاع البرمكي ان ينفر عن تأييد الربيع في ما ابدى من نصح ،  
لثلا تنفض المكيدة المنسوجة الاديم في صرح اساس نفسه . غير انه زاد  
امعاناً في الاساءة ، فقال : وليحذر امير المؤمنين بما قد تجرّ العودة من  
وبيل الذبول . فليحترس في جنده من وخامة المنقلب !

فالتفت الربيع الى بجبي واصطكت اسنانه حقدآ . ونفتت عيناه النظر  
الشرر . وججم في ما بينه وبين نفسه : يا للؤم الطافح سماً . الله من  
النفس المتمرّعة في الاثم !

قال المهدي : سادعوه اليّ . فالرأي ما اعلن الربيع . وسابث عليه  
الارصاد . فاذا وضع لي مينه وغشه ، كان المطبق مأواه . وقد اضرب

عنه عبرة للمتطاولين . فلن يكون عندي ، اذا تمرد عليّ ، افضل من المنع  
الخراساني، بل يرجعه في البغضاء والجحود. فان عدوي لمعدور وهو يقلوني.  
اما ابني ، المجهول بدمي ، فاي عذر يملكه في الانقلاب عليّ ؟

وارفد الى جرجان من يبلغ الهادي : اسرع ، ابوك يدعوك !

الا ان الهادي ، وحسنة تنشر في اذنه المؤلم الناعب ، اوجس من  
الدعوة شراً ، وتردد في التلبية . ماذا يريد منه ابوه ؟... أينهد الى سوى  
خلعه من ولاية العهد ؟ ... قالت حسنة وهي تطلق اليه من بغداد جاريتها  
سعدة : عادت الخيزران فوثبت في البلاط الى مكانتها السامقة . فان بعاد  
لبابة عن مشوى امير المؤمنين اباح للماكرة ، على متادي وسعها، الرتوع في  
النعم والصدقات . فباتت ولا كلمة سوى كلمتها ، ولا شأن لسواها بين  
اقرب المقربين الى الخليفة . وتراخى المهدي في حذبه على جاريتيه حسنة .  
فلا يخاطبها الا مدهانة لثلا يبدد فيها طراوة الحس . ورجع هارون من  
مقاتلة الاروام خفتاق اللواء . فسعت الخيزران لوقف ولاية العهد عليه .  
وقد تكون رفقت للمأرب . واضهى موسى مهدداً بالخلع . فلترسخ قدمه  
في جرجان . ان بعده، في جنده، عن بغداد، يمانع في اقرار التدبير الظالم،  
ويبعث على الاحتراز والتأني . فكل دعوة ترد عليه من الخليفة تفرض  
الاحتراس وسوء الظن . فالخيزران شفة نمامة ، وعين قمامة ، تفيض  
بالجائث ، وتقوِّض المعصنات !

وهذه الشواذخ الدوامي افلقت في الهادي الضمير . أينقض ابوه ما  
ابرم ؟ ... وخطر له الاستئثار بجرجان . فيبني دولة فارسية اللون ، عربية  
الوجه ، يدوِّخ بها عرش بغداد . غير انه تريت . فمن الحطل استباق دورة



الزمن . وليس بالصعب عليه، عندما يشاء، تبديل الميسم المطبوع . فما ان يلوح له ، من ابيه ، التجانف حتى يعاجله بالصدام . والمشاكاة آن اوانها ، وهذا الرسول المطلّ عليه من بغداد يقف بين يديه لابلاغه دعوة الخليفة بالمسير الى بغداد . فهزّ الهادي رأسه ، مستخفاً برغبة ابيه، واعلن باعتداده: ألا ليعلم امير المؤمنين ان ما كلفنا من اشراف، على التوطيد في جرجان، لا يزال يدعو الى بقاءنا فيها . ومتى استتب الامر، ودانت الناصية ، لن نتواني في الامتثال لرغبة سيدنا الاثيل !

وصرف عنه الرسول لا يكرم مثواه . فليوقن المهدي ان ابنه موسى لا تخفى عليه المغلقات . هذا الفخ المنسوب لن يسقط فيه من يسدو شجاً في حلق الخيزران

وابو عبدالله ما وقف على قعود موسى، عن الاذعان، حتى رسخ في خاطره ان هؤلاء المتظلمين، من خروج الهادي على سنن العدل، لم يجهروا بالافك . فان موسى ليميل الى مناكرة ابيه بانشاء دولة تعادل دولة بغداد، بل تلوها . وفي التنافس من الخطر ما يقلتق الهناء ، ويتوعد الغد . واستعان المهدي برأي البرمكي : ماذا يلوح لك من الناشز ، المجاهر بالعصيان ، يا يحيى ؟

وشعر يحيى بارتباك المهدي وجزعه . ففكر ملياً قبل ان يعلن بمصانعة المتلبسة بالولاء الفطير: ليس لامير المؤمنين الا ان يشخص بنفسه الى جرجان، ويعود بالهادي الى بغداد . وما ان يمسي في كنفك ، يا مولاي، حتى تذيع فيه مشيتك . فيعزّ عليه التمرد وانت تضرب عليه جندك نطافاً لا تلم له عصمة !

فاطمأن الى الرأي . لن يخضد شوكة الهادي الا والفتى في حضرة ابيه .

فاذا لم يستسلم طوعاً ، استسلم استحياء . ونشر الخليفة في بطانته انه ازمع الرحيل الى جرجان . وتذكر حسنة . فلا بد منها في الرحلة الشاقة ترطبها بمواقتها . فهي صديقة الهادي ولبابة ، ولها فيهما الاثر الموموق . عدا ان أمير المؤمنين وعدّها بان يزجها ، في طليعة نساها ، يوم يجوب الامصار . وحبا اليها يعانها الرغبة ، قائلاً : هذا هو الموعد ، يا حسنة ، فتأهبي . سنندفع الى جرجان في زيارة موسى ولبابة . ومن سواك للرحلة الميمونة ؟ ... امامك ثلاثة ايام لاعداد حوائجك !

فبوغت بالنبأ . ما يجنع بابي عبدالله الى بلوغ جرجان ورؤية الهادي ؟ ... وكانت قد سمعت ، ولكن بمن لا تفرض قوله راجح الثقة ، ان موسى تنمر ، ومانع في المجيء الى بغداد ، وقد استدعاه اليها ابره . وتراوى لها في الدعوة اثر شفاف من كبد الخيزران . فقالت في نفسها : « إن يكن يستأسد الهادي ، ويذري بشهوة ابيه ، فعليّ ان أمدّ اصابعي الى النار ، فاغتم اندلاعها ، وازيد في ضررها ! » . والآن ، والخليفة يهب بها الى مرافقته في الوثبة ، لم تمنع ، ليقينها ان وجودها ، على مقربة من الهادي ولبابة ، يزيد في مكنة موسى ، ويضعف من لظى الخيزران . فقد تجري هناك الامور ، وحسنة بجانب موسى وزوجته ، على غير ما تطمع فيه السيدة الاثيرة . فيتداعى المأرب ، ويتلاشى الحلم . قالت حسنة بابتسامة خضبية : على عيني ، يا امير المؤمنين ! فضما اليه يتحسس فيها موانع الهوى ، ويقول : لست اعرف اللذة الا بين ذراعيك ، يا ذات الخد الاسيل !

فابانت بفتح غرّار : وستكون راضياً ، ايها السيد الاوحد !  
غير انها ما انسلخت من المهدي حتى كانت تندلع الى جاريتها سعدة

تقول بمجلة تقرض الكلام : سعدة ، هذا اوانك . تعالي !  
فاعلنت الجارية بلهجة المهور المطواع : ماذا ، يا سيدتي ؟  
- أريدك على العودة الى الهادي في جرجان !  
- حباً وكرامة . وفي مَ تزجيني ؟

فاوضحت بتؤدة ، كأنها تصطفي أفاظها : ابليغيه ان اباه سائر اليه .  
ولا يسير اليه لسوى خلمه من ولاية العهد . وساكون رفيقة المهدي في  
الرحلة . وبوسعي ان اقضي الحاجة على وجهها الاصح . فعلى مَ يقرّ رأي  
الهادي ؟ ... أأضرب فارجع ، ام اتوانى وابيع للحظ الانطلاق في مجاله  
الرحيب ؟

فاتسعت عيننا سعدة، ومضنا يبريق خشبان، تجلي منه لحسنة ان وصيفتها  
ادركت البغية . قالت الجارية المرموقة نستطلع : أفهمتِ ؟

- فهمت ، يا مولاتي . ومتى اسلك طريقني الى جرجان ؟  
- على الفور . وليندّ عن الجميع انك منطلقة اليها . فاندفعي سهماً  
سبوقاً . وعودي في لمحة خاطفة . وقد أفاك في الطريق ، وبعد ايام ثلاثة  
سيجري موكب الخليفة في صعيد جرجان . فاسبقينا وارجمي اليّ بمشيئة  
الهادي الراهنة . فهو موقن اني استجيبه في كل ما يبدي من رغبة، ويجري  
من تديرو !

فاعتلت سعدة سنام ناقة سبوح طوت بها الفدافد والجبال والادوية الى  
بلاد فارس . وكان لمرآها في مقر الهادي رعشة استغراب . فانبرت لها  
لبابة تستنطقها بارتباك : ماذا ، يا سعدة ؟ ... أقلقتني بهذه العودة العجلى !  
ففضت عن بيان مولاتها ، الجارية المرموقة : امير المؤمنين زاحف الى

جرجان ، لتنجية موسى عن ولاية العهد ، وحبسها على هارون . هكذا تريد الخيزران . وسيدتي حسنة تعالكما انها ستكون في موكب الخليفة . وليست تنكب عن العمل بما تطلبان !

ففتفت لبابة جازعة : أيزحف الينا الخليفة ليزيل الهادي عن ولاية العهد ؟ ... ولكنه يتعسف ابو عبد الله . بماذا اساء اليه ولي عهده كي يخلعه ؟ ... ان الخيزران لعقرب تحذق اللسع . غير انها ستعض صلب الحديد ، لا رسغ ابنها البكر . تعالي ، يا سعدة ، واسردي للهادي ما ابلفتك اياه مولاتك . فان ما يحاول فيه اعداؤه لفظيع !

ومن هم اعداؤه ؟ ... امه ، واخوه ، وابنة عمه زبيدة . وضحكت لبابة ضحكة متهمكة مرّة . وقادت سعدة الى الهادي تنشر عليه ، بحق ، قولتها المضطغنة : أتدري ما يقود سعدة الينا ؟ ... مولاتها حسنة اطلقتها الى جرجان كي تقصّ علينا ما يروم فينا الحصوم !

فتفتح ناظراه ألماً وفضولاً . وجلجل بقسوة : وماذا يرومون فينا ؟ فواضحت جارية الجارية : مولاتي تبلغ سيدي المهيب ان اياه يقنعم اليه السبل ، لينزع منه ما سما اليه من منصب . فلن تكون ولاية العهد من سوى نصيب هارون ، امثالاً لحكم الخيزران . وتسال مولاتي حسنة عما تستطيع في خدمة سيدي ، وقد اختارها المهدي ، دون جميع نساته ، رفيقة له في الرحلة !

فصرخ موسى ، وكل ما فيه على احتدام ، وارتجاف : ماذا تثرثرين ؟ - لا تثرثرة في ما ابدي . فالحقيقة كامنة في كل كلمة تلقى الى سيدي ! فاذاذع وما برح على صرخته النفور ، المختلجة بوفر من هزه : وهل كلف

ابي نفسه مشقة المجهيء اليّ ليخلعني ؟ ... لست اراه راجماً في الصفقة . فما كان عليه الا ان يُشير كي أُطيع !

وثارت فيه عنجهيته ، فرعد: ولكن رويد امير المؤمنين . انه ليكرهني على النيل منه وهو يبدو ازائي ليجردني مما وهب لي . يعطي ابو عبدالله ويسترد ؟ ... يقضّ صلي ان لا يظفر بالارب . لا والذي نفسي بيده ، لن يرجع المهدي الى بغداد سليم الروح ، وهذه بغبته . فاني لآخشي ان تسبقني يميني الى ايدائه، وهو يدعوني الى التخلي عن منصب اراني فيه صاحب الحق المنيع . تباً للخيزران ، ما اعداها على الانصاف . الا انها ستلقى ما يحطم اضالعها . فلا المهدي ، ولا هارون ، سيد الدولة العباسية ، بل انا ، موسى الهادي . ابلغني حسنة ان تضرب ضربتها، وهي عندي بمقامها من ابي عبدالله . بل سأرفعها الى ما يجاوز شأوها في دولة ابي . لتدفع عني لؤم المهزة ، بانقاذي من والد شئت الرأي ، تائه القرار ، ولها مني ما تطمع فيه من شأن . يؤلمني محو من نجاني . الا اني مكروه ، لا بطل . لتذهب حسنة بروح امير المؤمنين قبل وصوله اليّ، ولها نصف دولتي ، بل دولتي على فسيح ارجائها . فان صدري لينسع لها على مداه !

فتعتت سعدة ، وقد خلع قلبها ما تسع من دعوة الى البطش بامير المؤمنين : ابلغها أن ... أن ...

وأرتج عليها . فما استطاعت نطقاً لفرط ما سادها من رهبة . قال الهادي بشدة لم يكثرث بها للجلجة القينة : ابلغها ان تسقي المهدي السم ، وكفانا الله شر الحصام !

فكادت تسقط الى الارض لفرط ما استحكمت منها الوهلة . فاستقصى

الهادي : ومتى يرغب ابي في ان يأتي اليّ ؟

فتحايلت علي نفسها في النطق ، مغفمة بمجد تكاد تفيض به حشاشتها :  
هو في الطريق ، يا سيدي . نأيت عن بغداد فيما يتأهب لبراحها . واحسبه  
اجتاز اليك من المراحل نصفها !

فهدر : أتذيعين صدقاً ؟ ... ألا ما يبقيك بين يديّ والخطر يشق اليّ  
الفيافي ؟ ... عجلي في الانصراف الي حيث تنشب مخالب مولانك في من  
يريدني على الهلكة . أهددني الخطر ، وانت هنا ، قبالي ؟

ونفض كأنه همّ بالوثوب على الجارية فيختلس لبها . فتخاذلت سعدة ، ولم  
تكن تدري كيف تتالك ، وتبلغ الباب . وامسكت بذراعها لبابة تساعدها  
على الخطو ، وتخطبها بقولها : تعالي ، يا سعدة . ساعلتك بما عليك . فالامر  
بات يحتاج الي السعي الحازم ، السديد . لا ارتباك ، ولا ابطاء . والا قضي  
علينا جيبعاً . وفاز الكاشعون القدرّة !

وسارت بها الي حجرتها تهمس في أذنها : ان تكن مولانك تحرص على  
حياتها ، وتريد لنا ولها الراحة والسؤدد ، فلتسكب في طعام امير المؤمنين  
السم . والآتي في قبضتنا وقبضتها . فمن المحال ان تنجو حسنة من كيد  
الخيّزان اذا انكسرت شوكتنا !

ودست في يدها حقاً ، وهي تبدي بحذر ، وبصوت وطيء : هذا هو  
العلاج . فلتحسن مولانك نفثه في طعام امير المؤمنين ، والنجاة مأمونة ،  
والسعد جاثم في العتبة . فلن نقضي على الخيّزان بسوى القضاء على عمي .

انها لدسيسة منكورة . ولكن لا معدى عنها في خذل المنتمرين !  
فارشك الحق ان يفلت من قبضة سعدة ، لشدة هلعها ، لولا ان تخفيه

في صدرها . وانسلت من مغنى الهادي وكل ما فيها على ذعر . اي مكيدة تدبر في ليل أليل ستولى مولاتها تفجير حمها؟... وماجت الوصفة هولاً . وعادت تعطي سنام ناقتها المرسال ، وهي تحرص على نفسها من ان تندرج الى الحضيض . فان ما تراهي لها ، وأذنت به ، ليمسح له القلب الصليب

واختبأت في زاوية هودجها ، وهي في شبه خبل . وامتنعت حتى من الطعام ، وما فتىء شبح الدسيمة الرابع مائلاً لعينها . كيف تقتل سيدتها امير المؤمنين ؟ ... أفلا تهتز الدنيا ، ويفور الافق ؟

وبلغت « ماسبذان » . فقيل لها ان موكب المهدي يرسو فيها ، في انطلاقه الى موسى . فدفعت الى مولاتها من يبلغها سراً انها رجعت من مهمتها . فظفرت اليها حسنة بحيث الميل الى الاستطلاع . وحسنة تقيم على لابر ، بانتظار الوصفة الحاملة رسالتها الخطرة الى الهادي ولبابة . ولاحظ لها فانقضت عليها ، تستوضع بشوق خشيان ، وهي تتلفت الى ما حولها ، وناظراها يختلجان بالفزع ، وبالرغبة في الاطلاع فوراً على الحبيء : ماذا ، يا سعدة؟... بم عدت اليّ من الرهط الامين ؟

فما زال الوهن والاكفرار يطغيان على الوصفة . قالت وهي تضطرب : هما يطلقان في الامر يدك . فاستعيني على المهدي بما يجزبه ، ويرديه . واذا كنت بحاجة الى دواء حاسم ، فاليك بهذا الحق ، هدية لبابة اليك . ففيه الضعفة القائلة ، كما اسمعتني . عاجلي به امير المؤمنين ، وأعتة الدولة بين يديك . صارحني الهادي بانه سيرفعك منه ، الى حيث لم يعرض لك في ضمير ان تبلفي ، اذا انت دفعت عنه عدوان ابيه !

فابتسمت حسنة . ولكن ابتسامتها بدت اشبه بالكشير ، كأن هول

الموقف يأبى عليها الانبساط . سترتقي الى ارفع ذروة . الا ان لطفة الدم  
لن تنجلي عن بشرتها وقسامتها. فستظل تبصر ميسم الجريمة مطبوعاً في نفسها  
وجسدها. ولولا كرهها للخيزران، لتعدت عن الاثم المشوب بالدناءة والجحود.  
غير ان نفرتها من السيدة الاثيرة، وحقدتها عليها ، دفعها في سباق اهوائها.  
ستضرب ، ولتترزل الارض !

وتناولت الحق من وصيفتها، وقد انتضته سعدة من صدرها تروم الخلاص  
منه . وكانت نحس ، وهي تحمله، بانه حلّ ينهشها. وطاب للجارية المرموقة  
ان تنعم بلمزة الوعد ، فاستدرجت سعدة الى التوكيد تسألها : هل وعدك  
المادي وعداً قاطعاً بان يقيني لديه في اسنى منزلة، وانا أردّ عنه اذى أمه ،  
وميعة ابيه ؟

— وعدي بان يب لك الدولة على فسيح ارجائها. ولكن أنغدر مولاتي  
بامير المؤمنين ؟

فزوت حسنة ما بين عينها . وألقت على جارينها نظرة متوعدة، كأنها  
تهدر بها دم الجارية الوقعة . ولم تجب ، بل انصرفت الى امير المؤمنين ،  
والحقّ في كمها ، والبسة في ثغرها . فقال المهدي وهي تلوح له طروباً  
لعوباً : لا اراك على سوى اخضلال محيا ، يا حسنة !  
فاجابت بغنجها الميّاس : وهل لي الا ان اكون كذلك ، وانا في  
كنف امير المؤمنين ؟

قال : ان لوسامتك وبشاستك فضلاً عليّ ، وهما تنعشان روحي . فهل  
لك في جولة تشرف بها على هذه الانحاء، وربما لن يتفق لنا ان نرتادها حيناً آخر ؟  
فاجابت بعدوبة مشرقة : ليس لنا ان نعاند امير المؤمنين في شهوة ،



ونحن نجري في ركابه حتى الامد ا

فراقته فيها آيات الفطانة . وقال يجاهد في نفي الاشجان عن نفسه

المعذبة : هيا ، يا حسنة ا

فقلت بصوت نعوم : هلمّ ، يا امير المؤمنين !

على انها ، قبل ان تنطلق في ظل الخليفة ، الى ضواحي « ماسبذان » ،  
نادت اليها بعض خدسها ، وعهدت الى اثنين منهم في صنع الحلوى للرحلة .  
وكلفت عبيدين زنجيين خنق سمعة ، لثلاث بوح بما تعلم . ولم تكن منها على  
ثقة شعبي ، وقد لمست فيها الرجرجة . قالت وهي تخاطبهما على خلوة :  
اخفها في هذا الليل . واطرحاها في بئر مهجورة . وعودا اليّ بمخضلة من  
شعرها ، وباذنيها ، ولكما اسنى عطية ا

فانحنى العبدان يعلنان الطاعة ، وليست تخفى عليهما مكاييد الصروح .  
فما هي بجهة التأكيد الاولى الموكولة اليهما ، وقد تعودا الغوائل يجرّهما اليها  
الولادة . فلا بد آتاً ، بعد آن ، من هذه الحوامم ، للخلاص من المزعجين . وبعد  
سويعات ، كان المهدي في موكب ضئيل الى الحماثل والادغال ، المائلة  
هاتيك الهضاب . فرام ان يريح نفسه من عنائها ، ولم يكن مطبئن الروح  
الى ما يجهد فيه لبه . فانه لمقبل بارتحاء عزيزة الى جرجان ، لعزل ابنه موسى  
عن ولاية العهد . وما كان له ان ينكر على موسى الضلعة ، والجدارة .  
ولا ان يتنكر لعهد نادى به وأقرّه . الا انها انباء السوء المتطايرة اليه عن  
الهادي ، وإلحاح الخيزران الثاقب ، ليل نهار ، اذنيه ، لا يبيح له تزرأ من  
راحة . وشعر ابو عبدالله بوخز الضمير ، وهو يقترب من جرجان . وكاد  
يرجع الى بغداد ، نازعاً من نفسه الافتئات بحق ابنه موسى ، لولا ان يقع

في وعيه ان لهادي ينهد الى العصيان، والى انشاء دولة تزحم عرش بغداد .  
فالحوف من قيام هذه الدولة ، فت في عضده ، واحرق مهجته . وهو ما  
يبيب به الى الانقراض على معقل الهادي في جرجان، فيفلّ حده، ويقوّض  
قاعدته. وما كان يرى الامر جسيماً صعباً، لولا انه يصادم فيه ابناً حبيباً اليه  
وافضي الى حسنة بما يغلي في حناياه من المشجيات . قال وهو يحوب  
واياها الرياض والمضاب : ليس لي ان اغتبط بمسيري الى الهادي اقلق فيه  
المهجة ، يا حسنة ، وهو فلذة من افلاذ جناني . غير ان طماحه يقودني الى  
ما لست اشتهي . فما كان عليه وهو يجيبي الى ملتسي ، ويمحو عنه وصة  
العصيان ؟ ... ولكنه غرّ عنيد . أيكايده اياه وليس له ان يرتع ، لولاي ،  
في سوّدد ولا في جاه ؟ ... أف للابناء العققة ، انهم ليدمون اكبادهم  
واكباد منجيهم . ما حسبتي ألقى في الهادي هذا الدلال !

فاوضعت الجارية المرموقة : ان يكن الهادي ضلّ عن مهيع السداد ،  
فلا ينسّ امير المؤمنين ان تمّ الحافظ الراغم ، وهو الحرمان بعد العطاء .  
فليس للخليفة المفضل ان يسترد بيسراه ما وهبت يناه . على اني موقنة ان  
المهدي بريء من تبعة التخلف ، وما قضت بالفادحة الا الخيزران . ولكن  
هل لسيد جليل ، كمولانا الخليفة، وبين يديه يسجد الاقبال، وبخشع الكماة،  
ان يصفي الى امرأة تركب جموحها ؟... للخيزران ان تلتمس ما يطيب لها،  
يا مولاي، وعلى النهاية النيرة ان ترع وتهدي . فلا تنحني ازاء مشيئة امرأة  
يستوي لديها الدرّ والحصى . ان الهادي لعلى وزر، وقد عصى . وعلى ضم ،  
وقد أصيب في حق وضاح !

فما استطاع ان ينفي . حسنة تنطق بالبيان المقعم . وآثر الصمت .

لم يكن عليه ان يصيخ للخيزران. ولكن هل له ان يتذوق علالة من هنا  
اذا جافى أم موسى ، وادار لها اذنأ صاء...؟ وتأوه. فهو ينوه بالارتباك  
واشرف الركب على قرية « رزين » ، وحلّ فيها . وسكت المهدي  
عن اعلان امره . هذا لبس امير المؤمنين ، بل احد افراد الناس ، يصعب  
قوماً بيجورون الامصار انتجاعاً للعافية . ودعا الى ضرب خيامه في ناحية  
معتزلة من القرية . وامرت حسنة بالموائد فمدّت . وجلس في الصدر امير  
المؤمنين يأكل ، وفي نفسه كمدّة ، وفي له بجران . وتفنن المداعبون في  
المفاكة . بيد ان الانس لم يكن يأوي الى بال ابي عبدالله

وتهادت اطباق الحلوى. و ابو عبدالله على شغف بالقطائف المحشوة بالجوز  
والسكر . فاعتكف على طبق منها يأكل بلذّة رويّة ، مع كونه يمرور في  
شجوره الاسيان. وهتفت حسنة بصوت مرنّ، وهي تراه يفوص على الطبيبات:  
هنيئاً مريئاً ، يا امير المؤمنين !

فابتسم لهذه الفارعة، اللدنة . وقال يفالب ما يعتره من اكتاب : ان  
للشهوة مسارب الى النفس وانت تتماوجين في العيون ، يا حسنة !

وكانت مباسطة تفتحت لها الحناجر على مستطيل القهقهة . ونهض المهدي  
يعقد مجلسه ، ويصفي فيه الى مطارحات الحاشية . وغنت الجواربي، ورقصن ،  
وباعدن في نقر الدف والعود ، كأنه يوم أغرّ ، محجل . واستقرت حسنة  
بجانب ابي عبدالله تجاهد ، كما دل عليه مظهرها، في ان تحي في نفس الخليفة  
المسرة . غير أن ابا عبدالله ما ان ينسم للنضارة المبسوطة بين يديه ، حتى  
يتجهم ، وقد عاودته احزانه . واذا به يشعر بألم وتآب مجزه ، كأن في  
احشائه مساراً رهيف النتوه . فتالك . الا ان الامم قادی . فشكا المهدي

وجمه بانين المكروب : من يلمّ بتسكين المضض ، فينقذني ؟ ... اني  
احترق وانمزق !

فقام رجاله وقعدوا لللممة الكاوية . ماذا دهى امير المؤمنين ؟ ... ولم  
يبق فيهم ذو اطلاع على شربة ، او علاج ، الا وصفها للخليفة . ونودي  
الطبيب ، ولم يكن في الرحلة عنه غنى . غير ان الطبيب لم يجد كلاماً يوضح  
به الداء . فوقف من الرزية على حيرة . واشتدت بالمهدي الاوصاب . وعلت  
صرخاته : انجدوني . اني احس بالموت يمشي في عروقي !

فران على القوم الجزع . وصبغ الاكفهرار الوجوه . ووهنت قوى  
حسنة . هل اشرف على منيته ابو عبدالله ؟ ... وشعرت الجارية المرموقة  
بمخفقان شديد في قلبها . وبردت يداها ورجلاها . وغار الدم في شفيتها ،  
وفي خديها . وقبضت على راحة امير المؤمنين ، كأنها تروم ان تبثه الحياة ،  
وهي بحاجة الى من يمسك فيها الرئوع . وصرخت باعلى صوتها : تداركوا  
مولانا الخليفة . أليس فيكم من يستنقذ خليفة الرسول ؟

ولم تكن تجهل ان الضربة ماحية ، لن يعتصم منها المهدي بأمن ، والجارية  
المرموقة صبت بنفسها السم في ما التهم امير المؤمنين من قطائف . فالحقّق  
الصائر اليها من جرجان ، تحمله سعدة باشارة من لبابة ، اراق جميع مائه  
في الاكلة الطبية ، وعلى التلذذ بمضغها ، وازدرادها ، يعتكف ابو عبدالله .  
وحسنة ما سكبت السائل القاتل في القطائف المحبوسة على المهدي ، حتى دعت  
الخدم الى عرضها عليه ، دون سواها . ففعلوا . وكانت الفاجعة الريداء  
وتقياً الخليفة المرضوض المهجة . واستجار على امره بالله . فصاح الطبيب  
عند ذلك : امير المؤمنين يعاني فتكة السم !

فالتفت الجميع بعضهم الى بعض على ذعر. من اودى بسيد الدولة?...  
من اذافه السمّ النسّاف ؟ ... ما ابقى ابو عبدالله في صحفة القطائف على  
بقية يستدل منها على السمّ في الحاوى. واهتز المهدي واستغاث : من ينقذني  
ويشاطرنى دولتي ؟

وولدت حسنة تحفي باعوالها اثما . ولطمت وجهها . وشقت جيوبها .  
واكتوى المهدي بالالم . وتلاشي نَفْساً في نفس بين زجرة الحقد ، ونجيب  
اللوعة . وطار الى الآفاق ان الخليفة العباسي الثالث جاد بمهجته . فترنحت  
الاعطاف على مرح في جرجان. وجمدت العيون على رعب في بغداد . من  
الضارب الناحر ؟ ... فراجت اقوال . واذيغت شوائع . وتحفز اثنان  
للوثوب الى الدكة . فتى جرجان ، وفتى بغداد . وصال فتى جرجان وورعد،  
يميل الى اضرامها ناراً اכולاً . انه لصاحب الحق الامثل . وأسرّ الى زوجته  
لبابة بقول رضيّ : سلمت يد حسنة . صانتني من دم عارّ عليّ ان اذريه  
بنفسي . وكدت اسفحه لو لم اقع على من يقيني الشائبة !

فابتسمت لبابة ابتسامة تترجح بين الفرحة والحشية . فما مضى مخيف .  
الا ان ما سوف يأتي اخوف . وستطاحن القوتان المتنابدتان عيناً لعين ،  
وصدراً لصدر . فهي السنة المئة والتاسعة والستون للهجرة . وقد اوسكت  
فيها الدولة العباسية ان تشرف على الاضحلال ، لولا ان يتداركها الحلم ،  
ويشفع فيها السداد . فهزّتها مصرع المهدي كما هزّ الاعصار شامخ السنديان ،  
ويكاد يقلعه من جذعه ، هسباً يكفّنه الهشيم



## الفصل الثاني

### قاتلة ابنها

١

طفت موجة الذعر على بغداد، بل على الدولة العربية في مسبطرّ نخومها،  
لدى نعي نعي إليها أبو عبدالله محمد المهدي ، الخليفة العباسي الثالث ، وابن أبي  
جعفر المنصور ، مالى الدنيا رهبة ، وماحي العتاة

وراع القوم ان يتلاشى ، في ومضة خاطفة ، سيدّ ملء جوانحه العافية ،  
وطفاح كبده النشاط . فهو في الثالثة والاربعين . في مستهل الكهولة .  
الا ان الشباب لا ينفك يتوآب فيه على جمام . فتبسط عليه النظارة  
مواهتها . ويشعّ في طلعتة العزم . وله من ضلعة ألواح ، ومناعة أعصابه ،  
ما يأبى على الوهن الناهك ، والفناء العاجل ، ان يدبّا اليه

وذاع في الدواوين ، والمجالس ، ومضارب الوبر ، والفلوات ، على متناهي  
آمادها ، ان ابا عبدالله قضى غيلة . فالشحناء ، المستأسدة في الصروح ،  
اودت به . ولم يكن يملك القدرة على ارضاء المتحاسدين المتنابذين . وجنح  
فريق الى القول ، لا يتحسّم ، ان الهادي قتل اياه ، وقد سعى خلعه من

ولاية العهد. وثمة من روج ان الخيزران دبرت المكيدة ليستنب لهارون الامر وهفا يجيبى البرمكي الى صرح اساس على سهوم ورعدة . تداعت الحيلة المنظمة لتهر موسى والافتئات بحقه . فما نادى ابوه بخلعه كي يستأثر بالامر هارون . ونفرت الخيزران الى البرمكي ، وهي تبصره ببلج باب مقصورتها ، هاتفة بمرير الاتباع : أرأيت ابي داهية نجتاحنا ، يا يجيبى ؟... والله ، كسر الاوغاد ضلمي ، وقد حرموني الساعد القاطع ، والسيف الحامي . فمن لنا يتدبر بليتنا ، وينقذنا من الاضحلال ، ايها الصديق الاوفى ؟

وناحت السيدة الاثيرة ، وهي تجمجم فيما تسكب دمعها : لم يفتك به غير موسى . غادرنا اسداً زائراً ، فما عدا عليه ، بين ليلة واختها ، كي يتوسد التراب ؟... خصومنا غير ناعمين عنا ، وهم يعدون عليه خطونا ، بل نفقسنا . كيف السبيل الى درء البلية ، يا يجيبى ؟

وغاصت في النوح الخيزران . كل ما شيدت صار الى الانهيار . فالموت العاصف بابي عبدالله فوّض المنيع ، واطاح المرجو . لن يركب مقعد الخلافة غير الهادي . وهو ما يخضخض مهجة السيدة الاثيرة ، ويذيب املها . فاي سؤدد يبقى لها ، وابنها البكر ، الصلب الشكيمة ، سيقبض على الاعنة ، ويدبر الامر على هواه ؟... قال البرمكي ، والكعدة تطع ببسها القائم اساريه : علينا بالصبر ، يا ذات الجلال . فليس لذي جبروت ان يعاند المقدور . مات المهدي ، وستنفذ فينا وصيته باقرار الهادي ، في الخلافة ، قبل هارون . ولا ندحة عن طأطأة الرأس للحكم المعلن . فالهادي خليفة المسلمين ! فرضّ المقال الماصر كبدها . وهتفت بغيظ : لا ، يا يجيبى . لن يتسلم غير هارون مقود الدولة . واذا كابر الهادي ، اوغرت عليه صدور الجند .



فأثيرها فتنة دامية ، جارقة ، لا تبقي من المناوئين على روح !

فلم يلتهب البرمكي بما تلتهب به السيدة الاثيرة من حنق يزيد عن الهدى .  
بل قال بحصافة الاريب ، العليم : مهلاً ، يا ذات الجلال ، ليس الزمن بالمؤاتي  
لاضرام الفتن . ربما التهمتنا الهائجة ونحن نشعلها ناراً جيوحاً . فالخزانات  
تضطرم في صدور الكارهين لبني العباس . وليس الكارهون بالعديد الضئيل .  
والحكمة توحى الينا بان نذكر رؤيا المهدي ، وان نعتمد عليها في التدبير .  
لن يعتر موسى في السدة العليا . فصاراه ان يدير فينا الحكم سنة ، او  
بعض السنة . ولا يضيرونا ان نصبر على ضم يعضنا فترة من الزمن ، ثم  
تضحك لنا الايام عن ثغرها الشنيب . لنعلن خضوعنا باستسلام رصين للمشيئة  
المبرمة ، مخافة ان يقول فينا الشامتون اننا نتخاذلنا حيال النائبة . وإن  
خدعتنا الرؤيا ، فلن نخزى في الركون الى البواتر تئيلنا ما نصبو اليه من  
شبي ، سبين ا

فما اصاغت له وهي تنهد الى العجلة . قالت والكراه يغلي في دمها :  
لست اؤمن بالرؤى . انت تقذف بالقول الضغث ، يا يحيى . اذا ابجنا للمهادي  
ان يسود ، فانه ليطوينا الواحد تلو الآخر . ويزجينا الى الارماس نتوسدها .  
فالسلمة في المقاومة . والغلبة في الطفرة . ان الجند ليحايبتنا ، والدولة على  
رحبتنا تدعمننا ، وقد رسا في الاذهان ان المهادي قاتل ابيه . لنشعل الثورة ،  
ايها البرمكي ، والفوز لنا ا

فمانع في اضرام الثورة . لن يفسح للشهوات الرواكدطريقاً الى الانفجار .  
فما ان بوصم المهادي بتهمة القضاء على امير المؤمنين ، ابيه ، حتى يتحفز  
للوثوب الطالبيون ، والعلويون ، والحوارج ، والفرس ؟ ... ومن لهذا

التيار المنتمر يصدمه ، وسبغى على كل تخم ومصر ؟ ... فتضيع الخلافة على العباسيين ، ويتحكم فيها اخو نزوة ، لا يطبق ظل موسى ، ولا خيال هارون. فبجئت ارومتها. ويقضي على الخيزران ويجبي وساثر اللف. قال البرمكي : اوثر ان تجنح الخلافة الى الهادي ، يا مولاتي ، على ان يقتنصها موتور قبيح. فلا بأس ان تنتهي الى موسى ، وتسلم من انياب اعداء البيت العباسي . فلست تدرين اي شر يعول ونحن نفزع الى الفوضى كي نشفي بها الاضغان . علينا ان نتقي الندم ، يا ذات الجلال . فما يبرح موسى ابنك . ومهما نغم عليك ولدك ، فلن يدفعك الى الهوان . لكنك على نزوة من رصانة ، ولنفتح للهادي صدورنا . فمن المحال ان يتعبس لنا ، ونحن نقره على ما اقره عليه ابوه !

فجلجلت الخيزران : لكأنك اصبحت من شيعة الهادي ، يا يحيى !

قال ابن خالد البرمكي : العاقل من اتقى جموح العاصفة، ايتها السيدة الاثيرة . فليس لمثلنا ان يعتمد على الشغب ، في موقف يفرض علينا السكون. سنبايع الهادي بالخلافة احقاقاً لمشية المهدي، ونغم مودة الناس، وندراً عنا ظنة الفتك بابي عبدالله . وعندما يقبض موسى على الزمام ، فلا بد ان تساوره عنجهيته ، فتتفر منه الرعية ، وتعلو مكانتنا ، وتجه الينا الانظار . وتقبل الينا الامامة طائفة ، بل مستجيبة . فلا نكلف انفسنا الا الهدوء في سريرها . واذا طال عهد موسى في الحكم ، وجرت سفينته في مهب ربيع مؤاتية ، فلا يصعب علينا ان نضرب الابن بسلاح اردى الاب . وواحدة بواحدة . والبادى، اظلم !

— أنقله حين تسمن ضلعه ؟

- ما تميل اليه اليوم سيدتي، سنحاوله في الآتي ، ولا خشية من سبانه  
الضلع . وكل ما علينا الساعة ان نترث . فالتأني نعمة من نعم السماء !  
فتأوهت ونبرت : انك لتغلبني على امري ، يا يحيى !  
فاوضح : بل الزمن هو الغلاب ، يا ذات الجلالة . وكل ما علينا ، كي  
نستدرجه الى المواءمة ، ان نسايره في حكمه ، حتى اذا ما والانا ، قبضنا  
منه على الناصية ، ودفعناه في خدمة مآربنا . المهدي قضى ، فمرحباً  
بالمهادي . ليس لنا ان نكافح المقدور !

فكبح جماحها . واحست بالهزيمة ، فبردت حدتها ، كالمقدر الفائرة خمدت  
تحتها النار . على انها جرضت بريقها . ودل الاكفهرار في معارفها على احتمالها  
القهر ، على كره منها . ونادت اليها الرشيد وزبيدة ، تقول لهما بلهجة كابية :  
هل سمعنا رأي يحيى في ما يدعوننا اليه الموقف من سعي ؟

فاستوضحت زبيدة بشوق : وماذا يرى السيد البرمكي ؟  
فاعلنت الحيزران ، وهي تلتف : يحيى يهيب بنا الى الاستعانة بالتؤدة .  
فلا نطالب ، ولا نخاصم ، بل نرتقب وفور السانحة !  
فغمم الرشيد باحتراس ، وقد راعه ان تفضب أمه : ليس لنا ان نصدف  
عن نصيحة البرمكي . فهو ابي ، وقد مات ابي . لك ان تقضي بما تشاء ،  
يا ابا الفضل !

فألقت الحيزران على ابنها نظرة ساخطة ، تتلظى امتهاناً ، وصاحت به :  
أراض انت بما يذهب اليه يحيى ؟ ... كنت احسبك أحسى أنفأ . أيروقك  
ان يسود اخوك وتخزي ؟  
فصبغ وجهه الاحمرار . وسكنت نامته وهلة . قال البرمكي ينجده :

لا تغضي عليه ، يا ذات السنى . فهو قرين الصواب . ليس لنا ان نبيع  
للاخوين ان يتقاتلا ، وما يبرح الاب في نعشه يرقب من يدفع جثامه الى  
التراب . سنشخص الى قرية « رزين » ، في « ماسبذان » ، ويتولى الرشيد  
الصلاة على ابيه قبل دفنه . وينادي بالهادي ، فيبايعه . وتنطلق الدولة في  
خطوها المأمون ، لا تزل بها القدم في منحدر صلد ، فيكتب لها البوار !

فاعلنت الخيزران : أنبايع ونحني الهام ؟

فاذاع يحيى البرمكي بسلطان اللبيب ، الواصل بصحة بيانه : لا معدى  
عن المبايعه . لنجرح الى مفروض الحكمة ، يا أم موسى !  
فضربت كفاً بكف ، وهتفت بالتبايع : واويلاه ، انها لكسرة كاسفة  
لا قبل لنا بها !

غير انها لانت وألقت امرها الى البرمكي . فهو الصديق النصيح ، الباقي  
على الدهر . وليس لها ان ترتاب منه بولاء ، ولا بسداد رأي . واجال يحيى  
في الرشيد عينين تنضحان بنزفة من امر ، وقال بنبرة جازمة : هلم ، يا هارون .  
ليس لنا ان نتأخر عما يهيب بنا اليه المقام من صلاة ، وجنازة ، ومبايعه !  
وجرى بهما موكب حفيل حزين الى « ماسبذان » ، لايداع المهدي مقره  
الاخير . هذا ملكٌ ضخم يلفظ روحه ، وعلى بطانته وشعبه ان يبذلا الوسع  
في الترحم عليه . قال يحيى ، وهو يحث السير بجانب الرشيد ، الى المأتم المعقود  
في ربوع فارس : حذار ان تبدر منك رعشة خوف ، او فورة حدة .  
فافعل كأن الامر يجري عفواً . فلا مكيدة مدبرة ، ولا خصومة تفصل  
بينك وبين اخيك !

فاعلن الرشيد : ساعمل كأن ابي مات قضاء وقدرأ . فلا يد اطعمته

السم اضطفاناً عليه . ولا بغضاء تبعديني عن اقرب الناس اليّ . كلنا في  
المصيبة على معادلة ، يا أبتاه ا

واشرف الموكب بجلاله على « ماسبَدان » . وبلغ قرية « رزين » واجماً ،  
مرضوض الحشاشة . وولوات حسنة . ومنتفت شعوها وهي تبصر الرشيد  
ويجيبى البرمكي . فالحوف من ان تعرفها الظنة اهاب بها الى الامعان في  
ابداء الجزع والنحيب . وخلعت عنها حللها الزهر ، وارتدت المسوح .  
وحللت غدائر شعرها ، وعافت الحُضاب والماسحيتي . واحمرّت عيناها لفرط  
سكب الدمع . واعولت والرشيد والبرمكي يدنون منها : يا للويل . انهار  
صرح المروءة ، وتداعى ركن الجلال والجود . فمن للبلية الفادحة يدرأ عنا  
اهوالها ، يا هارون ؟

فبكى الرشيد . وأطفّ حاجبا يجيبى على عينيه ، وانتشر في اساريه  
القطوب . ولم يلتفت الى حسنة وقد لمس في عبراتها الكلفة . بل أكبّ  
على الجنان الوقور ، المعروض على دكة عالية ، وقبل راحته . وحذا حذوه  
هارون . واطلق على ابيه الدمع الهتان ، وقد شعر بجسامة الفاجعة

وناحت النائح على موئل الكرم ، ونبغة المعروف . وكبّر الجند .  
وتعالت صيحاته الملتاعة . ان الخطب لجلل . ووقف الرشيد ، فصلى على  
ابيه ، ونادى بمبايعة اخيه الهادي . فلم تصدق الآذان ما يسقط اليها . هل  
اقدم هارون على المكرمة السمحة ، وتناسى ، في الموقف الفصل ، ما بينه  
وبين اخيه من تنافس مرير ؟

وجالت النواظر في النواظر دهشاً واعجاباً . موسى الهادي اضعى امير  
المؤمنين . وباع الناس . وطاب قلب يجيبى البرمكي . هذا ما ابتغى .

ويأبى الدهاء انتهاج مسلك آخر. فالعدول عن وصية الراحل، المعلنة، طعنة في صدر الدولة العباسية . بل قذيفة في ركنها لا تسلم بها من التدمير

وقفل القوم الى بغداد يحملون من «ماسبذان» اوجع ذكرى. واقاموا يرددون بحبيء موسى الخليفة ، وقد بايعته الامصار العربية جميعاً. والهادي ركب دواب البريد. وأطلّ بعد مسير عشرين يوماً على الزوراء ، مرفوع الهامة ، بمثلئ النفس اعتداداً . ولم يشأ الالتفات الى امه بعين شزراء. فهفا اليها ، فور بلوغه بغداد ، يقبل يدها ، ويذرف دمعة سخينة على ابيه ، ويقول بجرقة : ستظل امي في مقامها السامق . فكأن المهدي لا يزال ملء العين والاذن . وهي من قبل ، ومن بعد ، طريقي الى النور . فلن تهمل لها طلبه ، ولن يزدري مقال !

فاستفاضت الخيزران في اذلال الدمع . وقبلت ابنها البكر في جبينه . وتمت بجرقة جنان ، وخيبة امل : ابقى الله لي ولدي. فجعنتي السماء بالعقل المدبر ، والقلب المؤاسي ، الا انها لم تحرمني جناحي . فما ازال فادرة على الخطو ، حتى وعلى الطيران ، باعتمادك ، يا موسى ، واعتماد اخيك هارون ! وصافع موسى اخاه الرشيد ، وعانقه ، واعلن : هذا اخي ، معقد الرجاء فينا . فكن بجاني سيفاً مسنوناً، ولك الامر من بعدي في دولة العباسيين ! وسجد بين يديه يحسى البرمكي يذيع خضوعه . فقال الهادي : لا تصدف عن الرشيد ، يا يحيى. فانه ليجتاج الى خمير رأيك ، وينبع اخلاصك. نحن في هذه الدولة يدٌ واحدة ، وإن تعددت اصابعها . وسندفعها في طريقها المرسوم ، وقد مهده لها جدي المنصور ، وابي المهدي !

وخطب في المعتشدين في باحة القصر يقول : مات المهدي يتغمده الله

برضوانه ، وقام فيكم على اثره من ارتضيتموه خليفة وسيداً . وستختبرون من حذبه عليكم ، ومن حسن مداراته لكم ، ما توقعون به ان اليد الساقية العطاش ، المضدة الكلوم ، لا تبرح تسوسكم . فالمنصور والمهدي اقدما فيكم على نظامين مختلفان لوناً ، وان كانا يتشابهان جوهرأ . فالشدة البادية في المنصور ، تراخى عنها المهدي ، مع سعيه لاعلاء شأن دولة ترسو على عواتقنا تبعاتها . اما انا فأساجري فيكم على منوال لا هو الشدة على اقصاها ، ولا اللين حتى اطرافه المائعة . فسالوا وانتم بنجوة من النخعة . كل ما على الوالي ان يقود الرعية بعدل وحزم !

فعلا الهتاف : عاش الهادي امير المؤمنين !

على ان القوم احسوا بالعنف في المنطق ، والذلّ في الرفقة . وما نذت عنهم انهم حيال فتى في الرابعة والعشرين ، لم تحنكه التجارب ، ولا خففت من غطرفته السن . فما يبرح اعجر العود ، على لدونة إهابه . غير انهم أعجبوا منه بالصلاية ، مع نفورهم من الطغيان . فانهم ليطمشون الى الاعتزاز في السادة . وانصرفوا وهم يرددون فيما بينهم : في الهادي منعة المنصور وبطشه . فعلى اللاعبين بالنار ان يتشدوا . عهد الحلم انقشع ظله !

غير ان المهدي لم يكن دون ابيه بطشاً . الا انه قصر عنه جلالاً ليفوقه كرمأ . وهست الخيزران في اذن البرمكي : ماذا يلوح لك ، يا ابا الفضل ؟ فاجاب يحيى راضياً عما بدا له : لا ارى الا الخير ، يا أم موسى !  
قالت : ألا ينشب فينا محالبه ؟

— لا احسبه يفعل ، وحاجته الى رضانا ليست دون حاجتنا الى رضاه !  
فاطرقت السيدة الاثيرة . فما الخليفة سوى ابنها . والابن في رفته بها

اشبه بالزوج. فلن ينساب الى لبه العقوق. بيد انها تعرف من قسوة الهادي، وميله الى الاستقلال بالرأي، ما يفني عن البيان. وهو ما تكره فيه. على انها مالت الى الظن بانه لن يؤلم فيها رهاقة الحس، وما يخفى عليه انها أمه، وان الله دعا الى اكرام الوالدين. وودت لو كان هارون في مرتبة موسى. الا ان الاقدار جنحت عن النصرة. وعلى الخيزران ان تدعن للراهن الواقع. فالمناضلة وبخيمة المغبة، كما قال يجيبى البرمكي. ولكن أترضى الانزواء في صرحها، كأنها في صومعة، من وهب لها الحليفة الراحل الدنيا وما فيها؟... ان حاشيتها لتقدر عليها اعانتها على امورها. فهل يجيبها الهادي الى كل ما تلتس من رجاوة ورفد؟

هي تقوى على استدراج موسى اليها، لولا لبابة وحسنة. اما وهناك الموسويستان، إمراته والجارية المرموقة، فليس لها الى الاستظهار عليه سبيل. وباتت أم موسى تهاب الجارية حسنة، بعدما ازدورتها، في عهد المهدي، حيناً طويلاً. الا ان المهدي ركدت ريجمه، وانظفأت روحه، وليس ما يمنع ان يقيم الهادي جارية ابيه في كتلة نسائه، فتبيت ولبابة جحراً متعالى الفحيح، تنفث فيه لهاتان، طافعتان بالسلم، وشاياتهما بالخيزران. ورهبت السيدة الاثيرة الغد الطالع. وراعها ان يهي ساعدها، وتزلّ قدمها. فاستطلعت البرمكي بألم ناحب: أظلل تلك الاثيرة في عهد موسى، كما كنت في عهد المهدي، يا ابا الفضل، فلا تُردّ لي كلمة، ولا يجيب سعي؟

فادرك البرمكي ما تترجع فيه من هول. وقال ينفي عنها الوهلة: لا اراه يجحد أمه. فاذا ما داربناه لقينا فيه الاليف الصفي! فغارت في سهومها. ان الضربة لقاصّة. ولكن على الخيزران ان



تقي وقعا بالدين والمداورة . فلا تبدو جافية ، مستسرة ، كما ظهر منها في  
ايام ابي عبدالله . ويسحق روعها ألا تبقى تلك السيدة الاثيرة ، الملتوية في  
حضرتها الهامات !

واقبلت على الرشيد تضمه الى صدرها، وتبكي وهي تجبجج : حرس الله  
مهجتك ، يا عين أمك . هذا حظنا من دنيانا . فلم يكتب لنا بلوغ الارب .  
فلا تمتعض ، ولا تغضب . لا بد ان ينجلي الافق ، ويصحو الجو !  
ولم تكن تدري كيف تنجاب الغمامة الربداء . فالهادي لا يبرح في  
الريق من العمر ، سليم البدن ، منيع العضل . فاذا ما رقت موته ، فكأنها  
ترقب ماء من صخر ، بل رفقا من ذئب . وضحكت في نفسها من رؤيا  
المهدي . قضيبُ يورق اعلاه ، وقضيبُ يورق كله . وغمغت بلذعة في  
حوانيها : اضفات احلام !

وما انفكت تشتهي ان يموت ابنها البكر . ولو اتفق لها الساعة ، مع  
كل ما تستع به من عطفه ، ان تلوي عوده ، لانزلت به الموت . فالبغض  
المستشري فيها ما فتىء يأكل من لحمها وخيلائها . وان تكن تحتل نزق  
موسى ، فما كانت لتطبق دلال لبابة ، وغطرسة حسنة . وهو ما يستل منها  
الزفرات اللهاب

وكادت تميزع وهي تبصر حسنة متلفعة بالمسوح ، غائصة في الحداد على  
المهدي . وأفضت بسخين شجورها الى الرشيد وزبيدة ، قائلة بألم يستشيط  
غلاً وسخطاً : هل ابصرتما ما هو ادهى ؟ ... قتلته ولبست عليه الحداد .  
يا للختالة ! ... مات فيها الحياء والاباء . قضت عليه ، وبكته . هل من  
مكر اسفل ؟

وارتجفت السيدة الانيرة حنقاً. فقالت زبيدة، ولم تكن دون الخيزران نعمة على حسنة: انها لتلعب بنا جميعاً. وسوف نلقاها تداور موسى، كما داورت اياه. فتحتل لديه ما ادركت لدى ابي عبدالله من حظوة. وربما... وربما... فتهفت الخيزران بصوت أجش: وربما زحمت في مودته اختك لبابة. ليس هذا ما يروقك ان تعلني، يا ابنتي؟

فابتت زبيدة: هو ما اوضحت امرأة عمي. ستلقى لبابة الضى من كيد حسنة. والله، لتنتزعن منها الهادي بجيلة تضرب بها الامثال في القهر والمراعة. غير ان لبابة هي الجانبة على نفسها. فلولاها لم تبلغ الحال ما بلغت من الشدة. وعلى من يدلل النمر ان يحتمل نهش انيابه، وخدش محالبه. انقذ الله أختي من الشر المهدد بالوبال!

وسكت الرشيد، وكل ما يلوح له لا يرضيه. فلا أشر اخيه، ولا نفار امه، ينزلان منه منزلة التأيد، وهو طالب مواءمة وموالاته. وساده اليقين ان يداً اثيمة بطشت بابيه، وما مات المهدي عفواً. ولكنه لا يملك الدليل على المأثم والآثم. ومن يلتمس ائزال العقاب بالجانبي، ان يكن ثمة من تعمد اختلاس الروح، وقد يكون هذا الجاني ذلك المستأثر بالناصية؟

لقد انساب الى عرف هارون ما تواضع عليه، في البسطة العربية، اهل الرأي والفظنة. حسنة اطعمت ابا عبد الله السم بوحى من الهادي. على ان الحجة، على صحة التهمة، بائدة الاثر. فاللفظ بالشائعة يزيد في اضرار الشحاء، وفي الجمعية بلا نفع

وآثر هارون ان تطوى الافاريل صوناً لجلالة السلطان، ولاحدوثة البيت العباسي المستوي في الذروة. وما حفل بنزوع حسنة الى اخيه الهادي،

ولا بسعيها للمواربة . فكل ما نهد إليه ان يستقر الامر بنصابه ، وان فنجري  
الدولة في طريق مأمون ، غير محفوف بالملكة . ولم يقلقه ان يسع من  
عيونه ان حسنة تغدو وتروح الى اخيه الخليفة، لتبكي بعين، وتضعك بعين .  
فتتلف على المهدي ، وتغبط بركوب الهادي سنام الملك . وتطلب انصافها  
برفعها الى مرتبة نساء الخليفة، وهي من دفع موسى الى المقام الاسنى . فقد  
جاهدت حسنة ، في معتقد الرشيد . ولمن يجاهد الحق بالمكافأة . فاذا ما  
اجازها موسى ببعض ما يعادل صنعها ، فما اتى امرأ إداً

على ان هذه الجائزة ستدوم بدوام الهادي . وبعد ذلك سيكون للرشيد  
وأبه وحكمه، اذا بقي في عداد الاحياء . وخاطب من جاء يقص عليه اخبار  
حسنة بقول حازم ، حشن : دعوني من نتن الخنساء فيتفاهم به اشترازي  
من ابناء الدنيا . حسنة تبحث عن خيرها، وعلينا ان نبعث عن خير البيت  
العباسي . فلتحاول ما تملك من وسع ، وسنحاسبها في زيغانها ، اذا وفقنا  
يوماً للمأربة !

واطلق لهذه الساعية للتقويض ، كي ترتقي على الانقاض والجماجم الى  
مطامعها، يدها في الكيد والنسيمة . فما جنح بها عن الاخلاص سوى غيرتها  
من أمه الخيزران . فلو توارت السيدة الاثيرة ، من الساحة ، لظل المهدي  
ينعم بالبقاء . الا ان إلحاح أم موسى في امتلاك كل وزين ، وحجب كل  
منافس ، قضى على ابي عبدالله . ولتنتد لبابة . والا لقي الهادي مصير ابيه،  
وحسنة عين مفتوحة ، ويد مقوضة

على ان موسى ولبابة لم يتجها لحسنة ، بل جاوزا في اكرامها الامد .  
فما بدت للهادي في مسوحها، تحرّ ساجدة بين يديه، وتقبل الارض ، وكان

قد بلغ بغداد ، وخطب في مبایعه خطبته الصاعدة ، حتى هتف بها : تعالی  
الیّ فی العتمة ، یا حسنة !

وشفت لهجته عن العطف والرضی . واطاعت الجارية المرموقة . فحبت  
إیه فیما تغور بغداد فی الظلمة . وما استأذنت علیه حتى كان ينهض إليها ،  
فيقبض علی ذراعها الرافعة ، ويقول بجزيل البشر : دام لك الانس ،  
یا حسنة . امانتك لي درأت عن نفسي الوحشة . وانقذتني من تلطیح يديّ  
بدمه ، وهو ابي . شكراً لاریحيتك المثلي !

وامال بها علیه يختم بشفتيه مبسها . فامعنت في الالتصاق به . وتنهدت  
عن فيض اشواق . وتمت بحنين ظامئ الى نقع الغلة : مولاي ، ما انها  
من ساعة !

وابت ان يلتوي عنها الا وقد اسمعها انها اذعت من نساءه ، بمقام  
لبابة نفسها ، او تلو لبابة . وما ابطأ في الابانة ، وليس يجهل ما وعد به .  
قال ، وهو يشدّ حسنة إلیه حتى يكاد يصرها ، لفرط اكباره محاسنها :  
ستكونين من نسائي اقراراً بجميل سعيك . فانت في حريمي بعد سيدة  
أنسي ، ومجلى بلاطي ، لبابة !

ولم تكن تطمع في ما يسو هذه المكانة . لبابة في الطليعة ، وهي في  
اثر ابنة الاكرمين . فلن يسعها جناحها في الطيران الى ما يجاوز هذا  
المدى . قالت وعيناها تبدلان بدوب الابتهاج الثريّ : شكراً للسماء ،  
وقد التفت اليّ امير المؤمنين !

ووهبت لقبلاته جيدها وصدرها . وشاقتها فيه الفتوة المخصاب ، والجلالة  
السامقة ، فتراخت بين يديه عطية خالصة . هي عبدة من عبدانه في ميولها

واحاسيسها ، وستجري في خطوه مستبينة في رضاه . فلم يذهب مجهودها  
ضياءً ، وقد جازفت لاجل الهادي بحياتها ، فيما تسقي اباه نقيع السم

وتفنت في نفعه بالمذات الكامنة في دما الفروار . فكانت بجانبه اشبه  
بها في حزن ابيه ، وقد رنحتها ساعة الاستسلام . فمتف الهادي بجذل ريتان :  
ان فيك لنواضر ابكاراً ، يا حسنة ، لا اراني وقعت على نظائرها . كان ابي  
سعيداً بقربك ، وانت تسرفين في هذه العطايا السباح !

فتذكرت كلمات ابيه . بمثل هذا المقال المانع الدفء كان يخاطبها  
ابو عبدالله ، وهي تسخو عليه بكل ما يجتليج فيها من شهوات لواعج .  
وايقنت انها قبضت على زمامه . فما من خيزران اخرى تصدف به عنها  
قد يؤلم لبابة ان تصدى لها من تنافسها في مودة الهادي ، غير ان حسنة  
ستبذل ، من نفسها ، ما يميل بلبابة الى وثيق الايمان بانها السيدة الاولى في  
نبيه امير المؤمنين وحرمه . فلن تجد فيها ذات استطالة على الحق المصون .  
قالت حسنة تعالني الخليفة المطمئن فيها الى نوافج الطيب : كل ما تنبض  
به عروقي من شعور تتأجج به روحي ، وانا انعم بعطف امير المؤمنين .  
هذه المثة المخلوعة عليّ تجنح بي ، الى اليقين ، اني اسعد الناس !

وألقت رأسها الى كتفه ، متممة بمتوهج الفرح : نلت من زمني ما  
اشتهي ، يا مولاي ، وانت تعلقو بي الى حيث يجتجب عن عيني زينة القوم ،  
ولا يبدو حتى الاقبال . ولكني اربأ بنفسي ان اكون عقبه في طريق لبابة .  
فاني من زوجتك المجلوة لصديقة ، لا يقلقل طماح ولاءها ، ولا زحام .  
فهي في البدء ، ونحن في الاثر . واذا قضت عليّ بان اتوارى عن حنانك ، فاني  
لانزع ، مكتفية بما اسبغت عليّ من عطاء ، ما حسبني ابلغه في يقظة .

فان صداقتي للبابة تفرض عليّ ما تستطيب السيدة الاولى من ترضية ا  
فقال باسماً ، وقد راعه ما تحقق به نفس حسنة من عذوبة وفداء :  
لبابة تلقى فيك اختاً صادقة المبرّرة ، يا حسنة . فلا يخطر لها حبالك انها  
ازاء ضرّة ، تسومها القهر ، وتثير فيها الغيرة . وخيرٌ لها ان اجنح اليك ،  
من ان أهم بمن لا تطيق لها ظلاً . فلا اراكما تتناهشان ، وقد امسيتا معاً  
في مقدمة نساء الخليفة ا

قالت حسنة بمديد الاستكانة : بروحي لبابة ، ولست ارضى ان اعكّر  
عليها صفو الماء !

فعاد يضمها بعنف ، وهو يجارها يرفق وبشاشة : اذا طاب لك ان تقفي  
على رأي لبابة فيك ، فاني لاصارحك بما كان بيني وبينها في حديث عارض  
عنك . قالت : « حذار ان تغفل عن حسنة ، يا موسى ، وهي تذيب لاجلنا  
النفس والمقام . فالخيزران تقلوها ، وتريد لها الموت . وهي تناوى الخيزران ،  
وقد سبقتها في عطف ابيك . فاذا ما ظفرت بما ترجو من سيطرة ، وركبت  
مقعد الخلافة ، فلا تنسّ الباذلة المتلاف . فلتكن من نساءك ، لا من  
جواريك . ومن الفرحة لي ان اجدها على كئيب مني ، وقد بتنا على هوى  
ودين ! » . ومن تبئني هذه النجوى ، فليس يؤلمها ان ارقى بك اليّ .  
يبهج قلبي ان تقيمي لبابة على وحدة في الميول . ستقبل وشيكاً من جرجان ،  
وتهنئي بك ، وتهنئك بالتמיד لنا الى هذا الموئل المنيف !

ولبابة ما زالت في جرجان . ولما بدت في بغداد ، وألّمت بما كان من  
المادي في حسنة ، ظفرت الى جارية الامس ، واحدى سيدات اليوم ،  
تعانقها ، وتذيع فيها ببشر فيّاح : هذا قليل فيك ، يا حسنة ، وما اديت

الينا من خير جلا عنا الظلمة . ان البلاط ليزدان بثلثك ، وانت فينا على  
نضيد روعة ، وباهر وفاء . وليس من العجيب ان تصبح الجارية المرموقة  
سيدة مرموقة . فكل جائزة اجراها عليك امير المؤمنين دون ما وجب لك  
عليه . فما انصفك الا وقد ضمك الى حظيرة نائه . فمنحك حقك من  
الاکرام ا

وعادتا تتعانقان . وفتحها معاً ، فقهة الشاة ، واسم الخيزران يعرض  
لها في الحديث . قالت حسنة ، وقد اشفت من السيدة الاثيرة بازالتها عن  
مكانتها الشاهقة : لا احسبها تنفض منها ما انتابها من خمول . فالذروة  
تصدت بها ، فهبطت الى الحضيض . انها لنهاية كل متغطرس حقود . تاهت  
علينا ، في عهد عمك المهدي ، حتى امسينا حياها نكرات ، بل حشرات .  
فهدمت كل ما بنينا ، وعبثت بكل ما ابرمنا من عهود ، كأنها من سوا في  
الاعاصير . وملّ المهدي سعاياتها وغرائبها ، الا انه كان يجد نفسه حياها  
مكراً على الامثال ، كأن لها عليه السلطان القهار . فتقوده في خدمة  
مقاصدها طائماً ، حيراً ، وقد تلاشت فيه كل عزيمة على المغالبة والنكوص .  
بيد ان زمن الامس التوى ركنه ، وانكسفت شمس ، واضعى زمام الامر  
بايدينا . فماذا تستطيع المروضة الذرع ؟

فقال لبابة بفضاض الانس : ظلت ترتع في لحوم الناس ، وتذكّ  
منعاهم ، حتى رتع النكد في لحمها ، وأذلّ ناصيتها . على ان الخير في محوها .  
والا ان هي بقيت تتنفس وتعيش ، فليس ما يحول دون خطبها مودة ابنها .  
وبوسعها اذ ذاك ان تتفوّق ، وتستعيد مقامها الاثيل ، وهي تزخر بدهاء  
نقصر عن حجب صولته ، والحؤول دون منشوده . فالحكمة تدعو الى

الابادة، لا الى الاكتفاء بقطع ذنب الافعى. فاذا ما ارتقت عند قدمي ولدها،  
مستجيرة لهفى ، تناسى الهادي حقه عليها، وابع لها الازدلاف اليه، فترتقي  
على رغنا الى قمة انحدرت عنها . فحذار ، حذار ، يا حسنة !

فاتسع امام حسنة أفق كان مغلقاً عليها. فما يمنع الخيزران ان تستعيد  
مكاتها، وتغزو موسى، وهو قطعة من كبدها، كما غزت محمداً زوجها?...  
فان يكن الهادي ذلك الناقم الجبّير، فما خلاصيره من سلامة طوية ابيه.  
فيغفو عن المسيء اليه ، وقد استرفده السماح . ولا بد لحسنة ، وهي تروم  
العيش الزلال، من ان تقطع على الخيزران كل طريق الى الهادي، والا هان  
على أم موسى التوغل الى حيث يتراءى لحصونها انها تنوء بالعباء . فاذا ما  
فجعها موت المهدي بتحطيم رجليها، وقصّ جناحيها ، فلن يطول الامل على  
نمو الريش، واندمال الجراح. والتفتت حسنة، الى لبابة، تقول بغیظ وثاب:  
اجل ، علينا بسدّ كل منفذ لها الى موسى. والاعتمكت من استهوائه، وقد  
تغذى بلحمها ودمها ولبانها . فالامومة تغري ، يا لبابة . صدقت ، يا ابنة  
جعفر ، لا عجد عن سحق الرأس ، بعد قطع الذنب ، والا تولانا الحسف ،  
وشقينا حيث ينجم لنا اننا بامان . فما عرفت مكرّاً تنطوي عليه حنايا  
خبيثة كحنايا الخيزران . ولقد لاح لي ، يا اختي ...

وسددت الى لبابة عينين معكرتين ، تسودهما الوهلة . فقلقت لبابة  
واستوضحت جازعة : ماذا لاح لك ؟ ... ألا اوضعي !

— لاح لي ان ما تخشين أطلت بوادره. فلنكن على يقظة. موسى هفا الى  
امه ، فور رجعت الى بغداد ، يعزبها بابيه ، ويمدها باستبقائها في حظوتها .  
فانحنى يقبل يدها ، وينفي هواجسها . لن يسيء اليها ، وهو في عنفوان



بحده ، كما اساءت اليه في ريعان عزاها . بل يهب لها ، من القدرة والحول ،  
ما كانت تيمس فيه في سطوع عهد ابيه . وهي كلمات انعشت من روح  
عبدة النار . فاستشقت منها الخيزران رسوخ السعد في طاعتها . واستعاد  
بها يجيب البرمكي الروح ، والهادي كلفه المضي في تأديب الرشيد . ان شيعه  
فارس لمستمره في مناواتنا ، ونحن سادة هذا العهد ، يا لبابة . فهل ترضين  
عن خذلاننا ، حتى ونحن نرفع الراية بايدينا ؟

فارتاعت لبابة ، واستفهمت بلجاجة : هل اقبل الهادي على امه يلثم يدها ؟  
— هذا ما كان منه ، يا ابنة الخير . فما وطىء ارض الزوراء ، حتى  
وثب تواء الى صرح اساس ، يعزي ويفيض بالمواثيق ، كأنه يجهل من  
هي الخيزران !

فهمت لبابة ، وهي تنتفض ألماً ، وقد وقع ما تحاذر شره : ما خيل  
اليّ انه يقدم على هذه الهفوة . اما وقد فعل ، فزاد في ضرورة احتراسنا  
من حبالل الفارسية الغدور . لا ندحة عن ابادتها كي نجيا . وليس للسم  
المودي بابي عبدالله ان يعفّ عنها !

فما ابطأت حسنة في الموافقة . قالت : هو ما اعلنت ، يا لبابة . جنت  
على المهدي باحتكامها عليه ، وستجني على نفسها ، إن يمدتها طامحها النازي  
ابداً ، بالاحتكام على موسى . فالمرت واقف لها بالمرصاد . وجلّ ما علينا ،  
قبل افنائنا ، ان ندعو امير المؤمنين الى التهرّز منها !

وتوائب فيها الكره شديد الغليان . أتستعيد الخيزران مرتبتها ، وتستعين  
بمناوئها ، حتى وهم يتقلبون في مهود النعمة ؟ ... انها لثكبة لم تنبض في  
ظن . قالت حسنة : لندفع الى امير المؤمنين ولنطلعه على الملمة المتحفزة

للانقراض . فما اراه يرضى عن سيادة عصابة الشر . والا ظلت الفخاخ  
الفارسية منصوبة ، في وسعة الدولة العربية ، للاقتناص والاعتقال !  
واندلعنا الى امير المؤمنين لسانين مسنونين ، يطعنان وينهران .  
فالخيزران ، الفارسية المنتمى ، تحاول ويجيى البرمكي ، الفارسي الجذع ،  
اطاحة الدولة العربية . فالوشاية المستفيضة في حسنة ، على مسمع من المهدي ،  
ستردد في وعي الهادي . الا ان السيدة المرموقة – وقد خلعت عنها لقب  
الجارية – نسبت انها تواطأت ، والهادي نفسه ، على نفت الاشاعة في اذن  
ابي عبدالله . فهل تفلح في اقناع من حبك ، واباها ، ديسية الامس ، بانها  
على صدق في اذاعة نية اليوم ؟  
ابداً شبح الخيزران . فكم تملأ الخيزران في فسحة العرب من مدى .  
وكم يخلع الاكباد مرآها الرهيب ، المهيب . فكأنها من دنيا العباسيين اصغراها ،  
خافق القلب ، وحديد اللسان !

يحيى بن برمك على مستطيل بسمة . هوى المهدي وما تزلزلت الارض .  
فالعز المبسوط الرواق ، لا يبرح ركين الدعامة . فما خشيت الخيزران ،  
من الهادي ، بددته حرمة الامومة . فالسيدة الاثيرة لا تزال تلك السيدة  
الاثيرة ، وقد حباها موسى السلطة والجلال

وشاق البرمكي نجح تدييره . فما كان على ضلال وهو ينادي بالتريث ،  
وبانالة الهادي حقه الصراح . فالشر لم يعصف بالخيزران ، ولا بالرشيد ،  
وهما يجريان في مشورة يحيى الصدوق . فالهادي ، وقد تسنم السدة ، لم  
ينكر لاهمه . وما هي ذي الايام توالي الخيزران ، كأنها لم تنسلخ من عصبة  
ابي عبدالله . قال البرمكي ، وهو يبدو في حضرتها منبسط الاساور ، قرير  
العين : ماذا بدأ لذات السني في اقراري على ما ارتأيت ؟ ... ألم يكن  
موفق السعي يحيى البرمكي فيما ينسادي بالتؤدة ؟ ... لا نبرح في مستقرنا  
من السؤدد ، يا مولاتي ، والهادي يهب لنا حرية المهزة . فكأن البلاط لا  
يزال مشوانا ، وانف لبابة راغم ، ونفس حسنة خانعة ، رمدها . حاول  
الكاشعون اقصاءنا عن مرتبة النعمة ، فباؤوا بالحيلة . وانهم ليجرضون كيدهم ،  
ويكتوبون بالحسرة ، وقد افلت منهم التفوق . لا عليك ، يا ذات الجلال ،  
لن يفغل الله عن متقبه !

وما خفي عليه انه يتأدى في الافك والزور . فابن اتقى الله في دفع  
المهدي الى حرمان ابنه موسى حقه بولاية العهد ؟ ... ولكنها كلمات  
تلقي جزافاً . وليس يحيى باول من استقاد البطل الى صبيح الحق . قالت

السيدة الاثيرة ، وقد غشيتها وفرّ من طرب : لا احسب من انعمتُ به  
على المكارم يزدريني ، يا يحيى . فالهادي لم يمت فيه الحفاظ . وهل يكون  
الا برعاً نما في احشائي، وخلعته على الوجود ؟ ... يخطئه شديداً من يعتقد  
ان الابن يشيح عن امه ، وهو يجد فيها من الحنان ما لا يلبس في ابيه ،  
ويسخو عليها بعطف لا يستمتع به منه ابوه . فالام تستدر بضعفها ، وحنوّها ،  
رفق ابنها بها . فيحس ابدآ بانها تحتاج اليه في مغالبة طمحات القدر . بوسعك ان  
تنشر ، منذ الساعة ، على اصدقائنا ، اننا لا نبرح راسخين في أحرارنا . فما  
نفر عنا الدهر كي ينفر بنوه . صرح اساس ما ينفك في اشراق الامس .  
فاذا مات المهدي ، فلم تمت الخيزران !

وتاهت في نشوة الاعتزاز . قال يحيى : لا ، لم يخن الحظ ، يا مولاتي .  
ويضحكني من خصومنا ان يمضوا في كيدهم لنا ، مع كلال مخابثهم عنا .  
فقد حملت اليّ الجارية ، أمة العزيز ، وهي عينٌ لنا على الهادي في صدر  
مأواه ، كما تعلمين ، نبأ استهنت به اكثر بما جزعت له . فروت لي ان موسى  
اعتق الجارية حسنة ، وتزوجها في ليلة ليلاء ، دون ان يفشو في الناس الخبر .  
فكأنه نهج نهج المهدي حيالك . وما كان يجمل به ان يتزوجها ، فور موت  
ابيه ، وقد كانت لابي عبدالله . فهل للولد ان يهتك ستر من نجله ؟

ومال يحيى الى معرفة ما يكون للنبا ، من اثر ، في نفس الخيزران .  
أترضى عنه السيدة الاثيرة ، ام تجلجل بنزق ورعدة ؟ ... وأم موسى ما  
كادت تأذن برواية البرمكي ، حتى شعرت بان جوانحها تزيغ من اماكنها ،  
وبان قلبها وهي بنياطه ، وكاد يجمد فيه الحنققان . وصاحت من نفس نجيش ،  
وقد نتأت عيناها ، ونضض فيها الهول : هل تزوج موسى الجارية حسنة ،

يا ابا الفضل ؟ ... ماذا ، ماذا تنفت في وعبي ، يا يحيى ؟

فاجاب ببرودة المستهين : مائة غير الظاهر الملموس . تزوجها ، يا ذات

الجلالة !

فاختببت ، كأن كل جارحة فيها على جيشان . هل تزوج الهادي  
حسنة ؟ ... اذن لم يبق ريبٌ بكونها قتلت المهدي . فلم يكذب من  
رماها بالظنة . بطشت بابي عبدالله حين بدا لها منه انه لن يجارها في قهر  
الخيزران ، ولا يعادها بها . والهادي دفعها الى هذه الفتكة ، بتدبير لبابة .  
على ان حسنة ابت اخترام الروح ، الا وقد قطع لها موسى على نفسه عهداً  
بان يتزوجها . وما أعلن العهد ، حتى كان ابو عبدالله ضجيع التراب . وهو  
ما اعيد سرده ، في صرح اساس ، واستعيد . غير ان الخيزران لم تؤمن  
به الايمان العريض ، الا ويحيى البرمكي يجاهرها بان الهادي ضمّ الى نسائه  
الجارية المرموقة ، بعدما اعتقها وتزوجها حرّة . وعاد فانخلع بال الخيزران ،  
وكان قد اوثقه الهادي بتمين الرباط ، وسكب عليه غمراً من بلسم . فان تكن  
حسنة اضعفت من نساء البلاط ، فاي امل سينضو عنه الغلاف ، واي مطع  
سينبلج له فجر ؟ ... لا ، لم يخفف موسى عن أمه . قالت السيدة الاثيرة :  
لكأن المهدي نُشر وطوي ، يا يحيى . هاتيك المنى الشوارد ما كادت تستقر  
بسط مفتول ، حتى عدا عليها الانتثار . لا أبا للدهر ، وهو الماذق . كل  
ما أفاء به علينا ، استرده منا . يرفعنا ليهوي بنا . فكأنه الطين اللزج ،  
وليس لقدم ان تهدأ منه في صوب . حيرني زمني ، يا ابا الفضل ، وليس  
لخطوة فيه ان تجري على غرار الاخرى . أيقطعنا الرجاء ؟

فقال يحيى بطول أناة : ليس لذي يأس نهضة ، يا ذات الجلالة . اذا

حاربنا الزمن، فلن نبيح له نواصينا ، بل سنطاوله بسلاح امضى. فان تكن حسنة ارتقت الى حظوة نساء الهادي، فما تبرح مولاتي صاحبة المقام الاسى، وهي أم الهادي نفسه . ولا ارى الخليفة يشيح عن أمه ، وقد رسخت في نهيته تعاليم السماء . الله نفسه يوصي باكرام الوالدين ، يا أم موسى !

فهزت برأسها جزعاً . وقالت بنبرة ذليلة ، لهفى : ولكن لا اكرام للخيزران حيث تكون لبابة وحسنة ، يا ابن برمك. لقد دل موسى، باقترانه بجارية ابيه ، على انه ذلك الخاطف بيديه الاثنتين روح المهدي . وهل ترقب ، بمن قتل اباه ، ان يكرم امه ؟ ... لا تزال بعيداً عن سبر غور النفوس ، ايها البرمكي . تداعى مجدنا ، ومنتنت دنيانا ، ولم يبق علينا الا ان نقعد الزاوية . وهذا منتهى الويلات !

ودم اكتاب متلاف السيدة الاثيرة . وتعب يحيى بن خالد البرمكي في ان يرد اليها الروح ، فاعياه الجهد . فلم تكن الخيزران تتأسك ، على صلابة شكيتها . بلوغ حسنة ، جلالة نساء الخليفة ، رض مهجة الفارسية ، المشيدة في دولة العباسيين بلاط الاكاسرة . وهفا اليها الرشيد وزبيدة يغالبان في المؤاساة ، وفي ازالة الكربة . فما شفيت الخيزران من كلوما . قال الرشيد : ولكنني ابذل الوسع والروح في رضى امي ! فضمته اليها ، وهي ما تزال ماضية في اساهها . وقالت بالتبايع : ابى القدر ان يكتب لنا النجع ، يا هارون . ترى ابن صرنا من الزراية باقدارنا ؟ ... اضحى عبيدنا سادتنا !

ونسيت انها من طينة حسنة ، وان الزمن الوهّاب نشلها معاً من جوف العدم . قال الرشيد يضد الكبد المقروحة : ليس من دأب الايام

ان تثبت على حال ، يا اماء . فكما والتنا ، سننأى عنا في موالة سوانا .  
وجلّ ما علينا ان نقرها بالصبر . فليس ما يذل القدر الجائر ، كالصبر على  
مكارهه . فمن ضاق به الجلد ، اكنسه الشؤم !

قالت الخيزران، وهي تنهد: انها لنصائح من ذهب ، يا ولدي. ولكن  
اي صبر ينقذني من كيد لبابة، ابنة عمك، وحسنة الجارية الوضيعة، الطافرة  
الى مستوانا ؟ ... فهل تنأى عنك ان اخاك تزوجها ، واضعت في بلاطه  
من ذوات الرفعة ؟ ... امست بمقامنا هذه المجهولة الاصل ، الدنيئة الروح !  
فلم يدهش هارون . حسنة بذلت كل سعي لبلوغ القمة . وستلقى فيها  
الخيزران عدوة جائحة . الا انه المقدور ، ولا مفرّ من حكم القضاء . وعلى  
السيدة الاثيرة ان تعالج الموقف بما تفرض عليها الحكمة من لسان . فتألى  
المادي بلطافة من يحس بانه مغبون ، مدحور ، الا ان حسن السياسة يأبى  
عليه الظهور بمظهر الكايب . وتكلم الرشيد فدل بيانه على رشد . لا ندهة  
عن مسايرة المکتوب ، واغتنام النهضة حين يبدو لها ظل . قال : علينا  
بالانحناء للشبيثة الطاغية ، يا أمي . ومهما بلغت القسوة من المادي ، فلن  
يخزيك . على ان تراعي فيه الوسع . فلا تغالي في المطلب ، ولا تعاندي .  
ولن يتفق للزوجة ان تتفوق على الام البصيرة . حسنة ادركت الشهوة  
في مقابل الضربة القدور . فما تزوجها المادي عن كلف بها . والمرأة غير  
المسكة بلب زوجها ، لا كلمة مسوعة لها عنده . فلا ترقبي اذاً من حسنة  
ان ترجحك في خاطر موسى . سينبرم بها بعد ضؤولة من الزمن ، ولا سيما  
حين يذكر انها قاتلة ابيه ، وحين يتجلى له في هيكلها شبح الجريمة . فينفر  
منها ويقصها عنه . وللبابة لن تكره امرأة عما حتى تقتل فيها كل عزة ،

وكل كرامة . فلا بد ان تجول في جبينها نضاضة من حياء . فسيري الى ابنك كلما هزتك اليه الحاجة ، وصارحيه بشؤونك ، وانا الكفيل بانه لن يحتجب عنك فراراً من التلية !

وسمع البرمكي فاستجزل الرأي . على الخيزران ان تصانع الزمن ، وقد مال عنها . فالمصانعة تستهويه . واستفاقت الخيزران من حديثها ، وبأسها ، وهي تصفي الى هارون . هذا الفتى اللدن يجيد النصح ، كأنه اختر قبل الاوان بالحكمة . ورأت ان تحاول السيدة الاثيرة . فلا خسران في مداراة الجبل لثلا ينقطع ، ولها بشرة معاوية خير عبوة . عدا ان موسى لم يقطعها ، بل ابدى لها من الملاينة ما لم تكن ترقب منه

واستعانت بدهائها ، فلوت من عنجبتها . لا هوان في اخفاء الاظفار . ومشت الى القصر في موكبها الفخم ، الجرار ، وفي مقدمته يسير الف من العبدان ، وفي مؤخرته المئات من الجوارى ، تهنى امير المؤمنين بما يرفل فيه من نعمى ومجد . وقالت بغداد ، على بكرة ابيها ، والخيزران تزحف بهذا الجيش الى الخليفة : ما تقهرت الفارسية عن قمة السعد ، مع عصف الانواء بها . ولم تزل في مناعة النسور !

وملأ الموكب ساحة البلاط . ورأت لبابة وحسنة ، فامتعضتا حنقاً ، وكوت الغيرة الحمراء اضالعهما . قالت حسنة ، وهي تزوي ما بين عينيهما : أتبصرين الوقعة ، يا لبابة ؟ ... ما تزال تترجعج في دلالها ، كأنها لم نصب بمقتل . انها لتغزو القصر ناهية ، آمرة . ألا خستت . لتذوقن النكال إن تكن تعتقد ان الحظ لا يبرح خادماً !

فاعلنت لبابة : ولكنتا ملأنا سمع امير المؤمنين بما يخذلها . وسوف



ترين اي لقاء جافّ يعدّ لها . ستأى عنه وهي تقسم بالله ، وبملائكته ، على  
انها لن تعود الى موسى !

وبدا في محيا حسنة الشحوب . لا تبرح الخيزران على جلالها الوارفة .  
فكان المهدي لا ينفك يتوهج ، في الدنيا ، عزة وخيراً . والسيدة الاثيرة  
دخلت القصر كالفاتحين . وما استطاع الخليفة ، ابنها ، الا ان يوفد للترحيب  
بمقدمها وزيره الربيع . وهو نفسه مشى الى باب الايوان ينحني للسيدة الاثيرة ،  
ويصافحها بمتناهي الايناس ، ويقبل يدها

وقبلته الخيزران في جبينه . فقبض على معصمها ، وسار بها الى صدر  
المجلس ، يفسح لها بجانبه ، قائلاً : مرحباً بام المؤمنين !

فشاقتها الحفاوة المستفيضة التبجيل . ووضع لها ان ابنها الرشيد ، ويجيى  
البرومكي ، كانا على صواب فيما يدعوانها الى الاعتصام بالامل . فما ذوت  
كل علالة من رجاء . وعرفت نداوة المسرة طريقها الى مبسم الخيزران .  
فتألت البشر في محيا السيدة الاثيرة ، كأنها لا تبرح ناوية بمهجة ابي عبدالله .  
وتراءى لها ان لبابة وحسنة كليتان عنها . فلن تظفرا بها ، مع اشراق زمنها ،  
وقد اقرّها ابنها منه مقر التجلة والاستعلاء . قالت : يسرّني ، يا ابني ،  
ان تحرص على دولة زاهرة تعب ابوك في البناء لها ، ضنيناً بغواليها . فكن  
فيها المشيد ، الساعي لزيادة المداميك ، لا المقوّض المييد . لم تهرم دولة بني  
العباس ، وانت تتولى مقاليدها . فانفحها بما يغلي في عروقك من دم الشباب ،  
وارفع لها هيكلا تنطح به عين الشمس ، وتقتعدها . اننا لنعاهدك على  
العون . فسرّ في الطليعة ، ونحن نبذل لك الارواح ، عن سماح . يفرح  
قلبي ان اسمع المعجبين بالمهدي يقولون في الهادي : هذا ابن ابيه !

فانبسطت اساريره طرباً ، وابان متحمساً : ما دامت أمي تهب لي  
النصرة، فلست بمن يرهب التبعة، مع كل ما يلوح لي فيها من باهظ العبء.  
لا يبرح الهادي نسة من انفاسك ، اينها السيدة الاثيرة . فزودبه نصحك  
الثين ، واسدي اليه المعروف . فلا يتفك يحتاج الى ساعد غلاب كساعدك  
فيتكىء عليه !

فبلا قلبها اطشئاناً، وقالت بنبرة من عتب: أترتاب باخلاص أمك?...  
ولكنها تستميت في الحدب عليك . اندفع الى المعالي، وكلنا جنودك . ففي  
رفعتك رفعتنا . فلا ترفرف الاجنحة وتصفق ، إلا حيث يرى الرأس  
ان يطير !

فهتف بجمام فيه : سلمت أمي . ان دولة لا تهتدي بهدي الخيزران ،  
لاشبه بالسفينة التائهة ، وليس من ربان يديرها . سنحرص ابدأ على رضى  
سيدة هذه البسطة ، العامرة الراي ، السلية الروح !

وطالت المجاملات ، ولبابة وحسنة تسمعان من وراء ستار ، وتكادان  
تنشقان نقمة وهولاً . اين ما نفثتا، في روعه، من تحريض على أمه الساعية  
لتقويض الدولة العربية ، واعادة مجد الاكاسرة ؟ ... أما دخلنا عليه  
مولولتين ، تنعيان على العرب سؤددهم ، وتندرانهم بالاستعباد، ما دام لألاء  
الخيزران في بزوغ ، فاوهمها انه يؤمن بمكايد أمه ، وانه سيحطم رجليها  
فلا تمشي ، ويستلّ لسانها فلا تتكلم ، ويفقأ عينيها فلا ترى ، ويقضي  
فيها القضاء الماحي على الحتل والروغان ؟

على انه ما كاد يبصر هذه الام ، حتى تناسى ما هدد به من ويل ، ورحب  
بالزائرة ترحيب المشتاق، المتهالك على التفاف الشمل . فصرفت حسنة باسنانها،

ونبرت وهي تشوى على الضيم : هذا هو المهدي بعينه . فلا نبرح نعماني  
 ميعة ذاك . كادت تنهار دعائم السماء وهو يتوعد ، وما اطلت المغضوب  
 عليها حتى امسى العباب المعتكر زلال الماء . فماذا يكمن في هذه المرأة من  
 سر قهار ، يا لبابة ؟ ... ما نوشك ان ننفسها ، حتى تضرب في كبد البقاء  
 وتبدأ . نرميها بالفرية تلو الفرية ، بما لا يثبت على هوله حي ، فتذلل مكايدينا  
 بنظرة خاطفة . ما ان تبدو ، حتى يضمحل كل ما تعبنا في نصبه من احابيل .  
 كنا نحس ، في ايام ابي عبدالله ، بانها باتت محمولة على نعش . غير انها لا  
 تنشب ان تستفيق ، وتمزق الكفن ، وتبدو كاصح عباد الله بدأ وروحاً .  
 وخيل لنا ان الحال ستبدل في عهد الهادي الكاره لها ، الراغب في افنائها .  
 الا انها ، ما نغشت في عينه ، حتى تناسى ما حشونا به ذهنه من اقاويل  
 تعرضها للذبح . ان لها من سلطانها ما يفرض على النفوس اجلالها ، ونسيان  
 مخازيها . فما العمل للنجاة من ظلها المقيت ، يا اختاه ؟

فتذكرت لبابة حُقّ السم المملوء في جرّجان ، والمهرق في ماسبّذان .  
 فما عليها وهي تفعمه في قصر السلام ، وتسكبه في صرح اساس ؟ ... هذا  
 خاطرٌ جال في نفس لبابة ، فاذاعته في سمع حسنة . وانها لتعود اليه الساعة ،  
 داعية الى الاعتماد عليه في اتقاء ويلات الخيزران . فجمجمت ، ولكن بحنق :  
 وهل لنا ان نداويها بسوى ما يجرس نامتها ، يا حسنة ؟ ... الدواء عندي ،  
 وليس يضيرنا ان نعالجها به . فليست خيراً من المهدي ، كي يموت ، وتسلم .  
 ولا هي افضل منا ، كي تتهادى على المقعد الوثير ، وتتملّل على الشوك . ما  
 فتئت تسقين المرّ دهاقاً ، وكيفما ادرنا اعيننا ، وخزمتها بسمار . فهل لنا ،  
 وقد بلغنا الذروة ، ان نظل من الانكاد ، فنحبو على مفض يبيض فينا دعة

الاطمئنان ؟ ... اقتليها ، يا حسنة ، ودما في عنقي !

فابانت حسنة ، وهي ترنمش حقدأ : لن اتهاون في تسديد الضربة ،  
يا لبابة . إن يم المهدي ، فليس ما يميز بقاء الخيزران . دهاؤها الاشام  
دفعه الى الموت . وعليها ، وقد عبثت بمهجته ، حتى اذاقته حتفه ، ان تلقى  
حظه من المحق . لي ، في صرح اساس ، من لا يحجم عن صب السم في الدم .  
هذه المتأثرة خطونا ، تأتي علينا ان ننعم لحظة بصفاء الرغد . كتبنا  
عليها الموت !

وأحستا ، وهما تبصران الخيزران في ففخختها ، وفخامة موكبها ،  
بالشارف المسنونة تحزّ في حرانيتها . ونجهتها لفرط الكسوف . اية سيدة ،  
من ربات السلطان ، تدرج في مثل هذا البذخ الجيأش ؟ ... فكأنها وحدها  
البسطة العربية . وما نأت عن القصر ، محفوفة بالبشاشات ، غارقة في مهود  
العز ، حتى انقضت لبابة وحسنة على الهادي ، ترعقان بمستطير الغيرة :  
أهذا ما عاهدتنا عليه من كسر شوكتها ، وتقليم اظفارها ؟ ... ولكنك  
تخاذلت حبالها حتى لم يكن يبدو منك انك امير المؤمنين ، سيد البدو  
والحضر ، قاهر الملوك ، ومفتتح البلدان . بل لاح منك انك من الحاشية .  
فاين استعلاء موسى بن محمد المهدي ، ابن جلا وطلاع الثنايا ؟ ... أتكيد  
لك وتكرمها ، وترفعها عنك وهي تبغي محقك ، وتلتس عونها ورضاها ،  
ولن تكون عليك الا صاعقة وبركاناً ؟ ... أترجو ان تنصرك في تدبير  
الملك ، وهي الساعة لخلعك ؟ ... انك لتروّعنا بهوانك ازاءها . فهل  
نسيت من انت ، ونسيت من هي ، وقد تهالكت على الغدر بك ؟ ... كنا  
نعتب على ابيك ، وهو ينزها منه المرتبة العليا ، ويجري في رغائبها . على

ان المهدي زوجها ، وما لقي منها ما لقيت انت من أشرها ولؤمها . وكم  
سعت لسلبك حقك وقتلك . فكيف تغفر لها ، وتشفق عليها ، وتلتس  
برّها ؟ ... أفلا تعلم انك تربي في حجرك افعى ، وانت تبسح لها منك ،  
ما رتعت فيه من ابيك ، وقد كلفت اباك الروح ؟

وفارتا كالمرجل في ابعد امد من الغليان . بل اشبه بجحيتين هائجتين  
تخدمان فحيحاً ، وتكشير انياب ، وقد هدرت فيهما لواجع الاوتار . وما  
كان يدري الهادي الى من يلتفت منها ، ومن يخاطب من هاتين الغاذبتين  
بالحمم ، المتطيرتين شظايا كواسح ، كأن في صدرهما زلزالاً يثور . وهنف  
الحليفة حبال دمامة الحطب العاصف به : ألا رويدكما . ما جنيت على  
المروءة ، ولا نخرت الفضيلة ، وانا اكرم أمي . جاءت اليّ تهنئي بروكوبي  
مقعد الخلافة ، فاحسنت وفادتها . وهل يلبق بي ألا ابدو حياها ذلك  
الابن الرفيق، المانح العفو عند المقدرة، والكاتب للامومة صفحات الاعجاب  
والاجلال ؟ ... ألا ماذا يقول الناس، في امير المؤمنين، وقد ازرى بامه،  
وضع فيها مشيئة الخلائق ، الأمر باكبار منزلة الوالدين ؟ ... أيروقكما  
ان يقال عني اني جلف ، عاق ؟ ... ألا يكفي ما لقي مني ابي من تنكيد ؟ ...  
والله ، ان هو الا التكفير عن اثم سلف ، يحملي على الاسترخاء تجاه  
الحيزران !

واصاب منها مكنن الاقناع . الا ان الغيرة ما كانت لتقع . ونضض  
مقول حسنة يروشح بالبغضاء : تكفير امير المؤمنين ، عن نيله من ابيه ، لا  
يقدر علينا احتمال الاستعباد . ما اعلناها حرباً على المهدي، الا وقد احتكمت  
علينا الحيزران ، واذلت لنيرها اعناقنا . فهل يرضي ابا جعفر ان يستمر

فينا الارهاق ؟ ... كنا نصبر على المهانة ، اكراماً لمصلحة الخليفة ، اما  
وليس في الانحناء للمكروه طائل ، فلنا باضطرار الى مكابدة احوال  
الغطسة والصلف . ففي نفس الخيزران ، من الحفاظ ، ما يقينا منها على  
خشية واحتراس . وهل يقضى علينا بان نكون في بيتنا على خطر ؟

فنبر : ما اشد جفائك لامي ، يا حسنة !

فاذاعت بجدة : وما اكفرها في التجني علينا ، يا امير المؤمنين !

– ولكنها أُمي ، وعليكم جميعاً ان تشاطروني تبجيلها !

– ونحن من نساتك ، ولست تريد لنا الزرابة باقدارنا . لو كانت هذه

الام ، على مسكة من حدب عليك ، شأنك فيها ، لافتديناها بضائرنا . الا  
انها حرب على امير المؤمنين ، حتى وهي ترضه الى صدرها ، وتقبله في جبينه ،  
وترجو له الاستمتاع بالمر الطويل . لا احسب امير المؤمنين نسي وثبة  
الخارجي عليه ، شاهراً لاغتياله سيف المنايا . فمن دفع الخارجي الى الفتك  
بابي جعفر ؟

وتناهد في الطعن على أمه . ليست تميل الى رؤية هذه المتشاحمة في  
وطيد صولة . فابتسم وقال : لن تبلغ مني ما بلغت من المهدي ، يا حسنة .  
فلا ازال املك امري !

وكانه امعن في اثاره احقادها . فدمدمت عليه لا تهيب : ان يكن  
المستهلّ يدل على الحتام ، فاني لانمي الى امير المؤمنين صلابته وعزته . لم  
يبق علينا الا ان نرفع الخيزران الى سدة الخلافة ، في هذه الدولة الناصلة  
اللون العربي ، والجائحة الى الانطباع بطابع الفرس . فالاكاسرة قوم لم  
يموتوا ، يا ابا جعفر !

فاقلقت فيه منعة الصبر . وهو نفسه تعجب من مديد جلده . فما كان ليطبق الدغدغة . فما به يحتمل الوخز ، بل الطعن ؟ ... ونهض وقد صاحت فيه سخائمه : مكانك ، يا حسنة . لا تزالين طريئة المشوى في هذه الاكناف . فان تكني دالتك علينا ، تبلغ هذا الامد في ديببك ، فكيف وقد امسيت على حجب ؟ ... لا ، لست الخليفة اذا اغضيت عن الاستطالة . ما الخيزران سوى أمي . ولا مي حرمة عندي امانع في انتهاكها . فالزمي حدك ، اذا شاقك ان تربمي في عظمي ، والا ... والا ، يا حسنة ، فالكيل يطفح . واني لاعيدك من الانفجار !

وارتجف سخطاً . ووضع الغضب في الجبين ، والعينين ، والشفتين . فاستخذت حسنة . اجتازت شرطاً بعيداً في التبكيت ، وغاب عنها انها في حضرة الخليفة . وتمتت بنامة مرضوضة : ولكن اخلاصي لاميير المؤمنين يحدوني على تحذيره من الغاشية . ليس اطلاق يد الخيزران بالامر المحمود المغبة . والايام ستوضح صدقي في النبوة ، يا امير المؤمنين !

فصرخ بها ، وحنقه يستطير شعاعاً : لست اجيز لمقول ان يتجرأ على أمي بمثلبة . فهي أم الخليفة ، لا امرأة من خليط الدهماء !

وسمعت لبابة ، فناءت بما يجلبل الهادي . ولم تستطع ان تتاسك حبال الشوادخ المنقضة على حسنة . فقالت بامتعاض شعر الخليفة باثره الناهك في نفس السيدة المجلوة : لسنا نميل الى الفصل بين امير المؤمنين وأمه ، وحق ابننا جعفر ، يا موسى . الا اننا نلفت الخليفة الى امر خطر ، قد يكون نداءً عنه . فالعفن لا يمسي عطراً . والذئب لا يصبح حملاً . فالخيزران ستظل الخيزران ، وانوفنا واغمة . فلا يطلق لها امير المؤمنين الرسن ، والا كعبه

فيها الجراح ، فيتعب حيث لا اضطراب الى الضنى !

فما انكر على لبابة استجادة البيان . انها لتتطق عن بلاء . ولكنه يضمن بامه ان تخزي ، مع ارتياحه بجنانها ، واما به بكرها له . فالخيزران لن تصبح مسكاً ، وهي الحبيثة الدخلة . الا انها من ازجاء الى مدرجة الاحياء . واضطر الى ابداء اللين تجاه لبابة . هذه ابنة عمه ، قبل ان تكون امرأته ووالدة ابنه جعفر . وانه ليجد في جعفر زينة العمر ، وبهجة الزمن . قال وهو يختبئ في حيرة عمياء : وكيف أتعبت لها ، يا لبابة ، وقد عاهدتها على المسألة ؟ ... اراني اسأت التدبير . غير اني اعلنت موقفني ، ولن ارجع عنه - مع يقيني اني فيه على غبن - الا اذا اسرفت امي في طماحها . ولا بد ان تسرف ، وهي السؤل الملحاح . وعندذاك سأقف بها عن غليانها ، فلا تعدو الامد . أترضيكما هذه العزمة ؟ ... انكما لتضيقان عليّ بسطة الجناح !

فقات لبابة : وهو ما سيضطرك اليه عاجلاً شره أمك ، ولن تشبع الخيزران . وكل ما ننهد اليه ان نفيك غوائلها . وستراها تنافس البلاط في الابهة والعظمة ، وتدعي انها الدولة العباسية حتى منتهاها . فيهرع القوم الى صرح اساس مسترفدين ، مستعطفين ، وفي ظنهم ان رب الامر هناك ، لا في هذا المغنى ، وان الخليفة اداة لينة في قبضة أمه . فما للخيزران الا ان نشاء كي تجري الامور في الصعيد المسهد . فلا حران ، ولا انحراف . وهو بما لسنا نريد للهادي الحازم ، النيرّ الذهن . زمن المهدي احى ، وليس لصرح اساس ان يقود الامر فينا . واذا جرّ زمناً في اثره البلاط ، فمن حق البلاط اليوم ان يستعيد يده الطليقة من كل قيد ، كما كانت حاله في



عهد المنصور !

وقالت حسنة ، وقد تنشقت عرف الطمانينة فيما تميل لبابة بالهادي الى الاحتراس من الخيزران: لسنا نبغي النبل من شأن امير المؤمنين، ولا الحد من سلطانه ، ونحن ندعوه الى اجتناب السقوط في الهاوي . ان هو الا الاخلاص يدفعنا الى ايضاح المخاطر ، كي يتحاشى سيد الدولة شرها . ليس في الركون الى الخيزران ذرة من رشاد ، ايها المولى المهيب !

فاشدت به حيرته حتى لم يكن يهتدي . فماد رأسه ، واصابه دوار ، فهتف بتأفف عريض : آمنت بصدقكما . والله ، لبيت الخيزران غير مداجية . تقسم لي بالسما على الحنان والامانة ، وتسمى لحذلي وتهديني . ولكن لا غنية عن انتظار غلوها في مطالبا لكرمها ، والامساك بها عن تمامها . هلا صبرتما على امير المؤمنين ؟

فما خفي عليهما انهما احرجهما . وابتعدتا عنه تحفظان من عبء الجوارح الخانق . وانزوتا في احدى حجرات القصر تتبادلان الرأي في القضاء المبرم على أم موسى . قالت لبابة : اعتقد اننا بلغنا من نفسه ما لا يزيغ به عن صبوتنا . فلن يبقى في الدولة الغربية من يقال لها الخيزران ا

فقلت حسنة بوفر من قلق : زادني يقيناً انه في طباع ابيه ، يا لبابة . هكذا كان ابوه . يقيم الدنيا ويقعدها سخطاً على الخيزران . وما ان تطلّ الخيزران حتى يمسي السخط عطفاً وحزناً . لسنا نهيب به الى ايلام أمه ، بل الى درء انياب الافعى عن صدره قبل ان تنهشه ، وتذهب به . هذه ليست أمماً ، بل نائبة من انكد نواب الدهر !

وتجلى في حسنة من القهر ما جاوز ما يساور منه لبابة . فهزّتها الهادي

بعنيف المقال بما لم تكن تلقى بعضه ، حتى ولا شبه اثر منه ، في المهدي .  
ابو عبدالله كان يضمن بها ان يقسو في الوعيد عليها . قالت لبابة : لا ارى  
عهد مودتها يطول . فقد حدثناه عن مبنها وفساد سريرتها بما يجنع به عن كل  
سكون اليها . وسوف يعاني من نعمتها ما ينهد به الى الملل ، بل الى النفور ،  
فبصرفها عنه مخذولة ، مجفوة !

على ان حسنة لم تكن ترقب هذا الجفاء . وهو اذا وقع فلن يزيد على  
مدى شعلة عارضة ، سريعة الخمود . والامثلة وافرة في عهد المهدي . ما  
ان تقع بين ابي عبدالله والحيزران الواقعة ، حتى يسود الازهان ان قصر  
اساس تداعي ، ودارت عليه الدائرة . غير ان هذا المتداعي لا يلبث ان  
يبدو كالعروس المجلوة ، كأن الكسوف لم يخضد فيه نفخة الحياء .

والهادي نطفة جاد بها المهدي . أفليس الابن من طينة الاب ؟ ... قالت  
حسنة على ياس من الغد : ان القدر ليهزأ بنا ، يا لبابة . فما من سمي  
نحاوله الا ويردّ فيه كبسنا الى نحرنا . أنرتع في الذروة ، ولا نقوى على  
محاثة مستأسة ؟

غير ان لبابة لم تستسلم الى ما يأخذ بروح حسنة من قنوط . فالحيزران  
كانت ترهبها وتثقيها فيما المهدي ينشر راية المجد ، فهل تنتشر عليها اليوم ،  
وامير المؤمنين زوجها ، والرأي في الدولة رأيا ، والمقام الاول مقامها ؟ ...  
قالت تزيل عن حسنة اشجانها : لا تخافي منها . ساسحقها . لتبخر الآن ما  
شأت ، فسوف يأتي يوم اخلع فيه قلبها . كل ما علينا ان نغمن في نفت  
البغضاء في مهجة امير المؤمنين . فنظهر له ان شأنه يكاد يحمى ازاء صولة  
الحيزران . علينا ان نمضي في ما بدأنا . ولا بسد للكيل ان يقطع ، وان

ينذهب فيضانه بلجاجة أم موسى ، الفارسية الكنود ا

ورأت حسنة ان تساند لبابة في الرغبة ، وان تبيح لها مطلق الرأي ،  
مكتفية بان تجارها في السعي ، ما دامت الميول واحدة. فلن تعرض نفسها  
لخزي آخر يفجعها به الهادي . قالت : سأزوم حدي ، يا لبابة ، لثلا اوغر  
صدر امير المؤمنين . على اني اؤيدك في جميع مساعيك ، ونحن منفتقان على  
هدم الخيزران . صدقت . لا بد ان تخرج الهادي بالحاحها المقيت ، فيتنكر  
لها ، وينفضها من طوقه ، كالحشرة الربيثة ا

وكانت الخيزران عند معتقدهما . ففصّ صرح اساس بالوفود، وقد شاع  
في القوم ان الهادي وأمه على وثيق عروة . ولم يكن هناك سوى طالب  
حظوة ، وملتمس رfd . فاضطرت الخيزران الى الاستجابة لاستبقاء مكانتها  
في النفوس . وترددت الى ابنها تسأله انجاز ما وعدت به . فلم يكن  
الهادي ليردّ الرغائب على وفرتها، ورجاحتها. من حق أمه ان تطلب، وتنال  
ولكن التذمر من فحولة الخيزران عمّ وساد . فعدا لبابة وحسنة الى  
الوزراء والقادة . وما احجم الربيع عن التظلم في حضرة الخليفة نفسه .  
قال : ادركتنا الحيرة في امر مولانا ، حتى كدنا نجعله . أهو الهادي ، ام  
انه الخيزران ؟

فابتسم الهادي ، مع شديد امتعاضه من استيضاح وزيره النّيام الارب ،  
وقال : كلانا اهل لها ، ايها الربيع . فلا انا ارجع أمي ، ولا هي ترجعني .  
أنجبل من هي الخيزران ، وقد كانت سيدتك في عهد ابي ؟ ... لسنا نغمو  
بهذه السرعة الطائرة نقوش الزمن ، يا ابا الفضل !  
الا انه حتى على أمه في قرارة ضميره . أتجببه حتى يتضاءل شأنه ،

وبيت في مسند الخلافة شعباً يبعث خياله المدهور على الشك فيه ؟... قال الربيع ، وهو من راعهم ان تستعيد الخيزران خطرهما ، وتحتل مكانتها الفارطة في صدر الدولة ، كأنها القابضة بيمينها على مخصر الخلافة ، والملتقة بعودة الرسول: ولكن الناس لا يملكون البصيرة الوقادة بما امير المؤمنين . فيؤلمهم ان يعيد التاريخ سيرته ، وان ترتقي الى سنام الحكم امرأة تسوس الامة بالعاطفة ، لا بالعدل . انصارنا يكادون يفلتون منا ، وهم يبصرون خصوم العهد في الجنة ، على حين يشقى الاخذان الاصفاء !

فصّ الهادي بريقه . هل بلغت الحال في الدولة هذا المبلغ الغضيب ، فتستسر الخيزران حيث يهون الخلان والاعوان ؟ ... لا ، ليس الهادي بالضعيف الذرع . فهو هو الخليفة ، لا ذات الحجاب والمأثر . على ان بسمة ظلت نحوم على شفتيه . فقال يجهد في ابداء البشاشة: لا تجزع ، ايها الربيع . فما تبرح الخيزران امرأة خليفة ، وأم خليفة ، وحاضنة ولي عهد . ومن تراسى عزها ، واءاء سناها ، فمن الانصاف ان ترتع في حفيبل المجد! على حين لم يكن يؤيد في سره هذا الافتئات بحقه . فهو الدولة ، لا أمه . هو الخليفة ، لا الخيزران . وتعجب من نفسه وقد اباح لاه هذا المدى ، مع متفاهم غيرته على سلطانه . وتذكر ما افضت اليه لبابة وحسنة من تحذير من الخيزران ، وما تفككان تقولان له : « ستحببك وتملك الامر في المطبئن العربي ! » . ولقد حجبته . هذا ما يعالنه به الربيع ، وزيره . فلم يبق في دنيا العرب من يبصر في بغداد صرحاً غير صرح اساس

لا ، لن يحتجب عن قومه . ان الخيزران لتعدو طورها . واعتزم ان يذل منعها بالوقوف بها عن فورانها . هذه الطفرة لن يطول امدها ، وسيقصر

منها الهادي الجناحين. ورتب ان تأتي اليه أم موسى. ومن عاداتها ان تبدو، في معظم الايام، في حضرته. غير انها لم تكن تبدو الا وفي شفيتها سؤلة. هذا القائد تريد رفعه الى مرتبة يسو بها شأوه. وهذا الصفيّ الامين لا بأس ان يقبض، في احدى الولايات العامرة، على المقاليد. وهذا الشاعر اجاد المديح، فلينعم بكتنز العطاء. وهذا النصير الوفيّ ابدى الاخلاص، فليكن له من ديار امير المؤمنين ضيعة وافرة الجنى

والهادي كان يب باسراف. فلتشخ أمه. وليعلم كل من دبّ عليها ان الخيزران ذات كلمة قاطعة. فالتكفير عن مقتل ابيه يفرض هذا السباح. غير انه منح أمه من القدرة ما اقفر به قصره، وضاق به صرح اساس. فاضحى الناس لا يلهجون بسوى اسم الخيزران. وهو ما ازمع امير المؤمنين الخوّل دونه. فيجتذب اليه الابصار، لا الى سواه من الناس، حتى وان تكن تجمعه به آصرة رحم. وما ان تمايلت الخيزران في القصر، تستأذن على الخليفة، حتى هتف الهادي بالحاجب: لتنظر أم موسى. لديّ من الشؤن ما يقدر عليّ الاعتكاف على انجازها، قبل الالتفات الى ما عداه! وتعمد إذلالها. هذه طليعة القاصات. فاضطربت الخيزران، وألمّ بها سهوً شاذخ. أيمنها ابنها من الدخول عليه?... ولكنه لم يجيبها، قبل الساعة، بهذه النواهك. فما دعاه الى كسر شوكتها بالمهانة الطحون؟

وخجلت من نفسها ازاء من يدلفون في بطانتها، وليس لباب ان يستعصي على الخيزران. وقلقته البادرة. هل من غاشية تدهمها، وتقسد عليها خاطر ابنها موسى؟... وتمثلت فوراً أخيلة لبابة وحسنة والربيع، اعدائنا الانكاد. هم من اوغروا عليها جوانح امير المؤمنين. وجمدت

مكاتها كالمصوفة . واستجبت من الالتفات الى ما حولها ، ولم تكن تدري  
ابن تخفي باصرتها . ونضع جسدها بالمرق ، يخرج فيها طلاقة الحركة .  
وتمت بجهد : أيكون لدى امير المؤمنين من المهام ما يجسه عنا ؟ ... لا  
بأس . سنتنظر . فلن نذهب باوقات ابي جعفر ، وللدولة نصيبها من سمعه  
وبصره !

واكرهت نفسها على الابتسام ، لتبديد الوهلة السائدة . وسرتي عن  
الحاشية والحيزان تبسم . فالدعوة الى الانتظار لم تؤلم روح السيدة الاثيرة .  
ولكن الانتظار طال ، وتوترت عروق أم موسى . فخاطبت الحاجب  
تستوضح : هلا ابلفت امير المؤمنين اننا ببابه ، وان لنا زمناً ليس بالقليل  
نرغب سانحة المثل بين يديه ؟

وما تموت هذا الاضطراب ، ولا سبياً في البلاط ، وهي ترى فيه مأواها .  
واحست بالمرق والحجل يقرصانها ، فهانت نفسها ، والهادي على ارتياح ،  
وقد كبح نخوتها . وما أذن لها في الوقوف في حضرته الا وهو موقن انه  
تلم شوخها . ولم ينهض لها فيما تبدو ازاءه . ولا هش ، ولا بش . بل  
خاطبها بجفاف ، كأنها امرأة غريبة لا يربطها به وشاح قرني ، فقال : ماذا  
تلتسين ، يا أماء ؟

فراعها ما يساوره من انقلاب ، وما يتلبد في اساريه من قسوة .  
وشعرت بالاعصار يب عليها ، فادركت انها على خطر . ولكنها تجاهلت  
ما وثب الى بصيرتها ، ولم تعجز عن البسمة . قالت بنديّ الموانسة : جئنا  
الى امير المؤمنين نصطح بطلعته الميسونة ، ونقرئه السلام . فمن المفروض  
علينا ان نتبرك بانس خليفة الرسول !

واجادت كلمات الاسترخاء ، وهي الداهية ، اللسان . بيد ان هذه الصفايا ما كانت لتخرج بامير المؤمنين عن كمدته ، فقال بلهجة قاطعة ، ناضبة من كل رفق : ثم ماذا ؟

فما نأت الابتسامة عن شفهي السيدة الاثيرة ، وان يكن تجلى لها انها اقبلت في السؤال في ساعة من ساعات الغضب . قالت تتناهى في المبالاة : حسبي ان ادرك ما اوضحت ، يا امير المؤمنين ! فاستوضع ينتطح للشر : أما من حاجة ؟

فرأت ان تكشف عما جاءت اليه فيه . ربما رقّ لها فؤاد ابنها ، وقضى لبانتها . قالت : هناك حاجات ، يا امير المؤمنين . غير اني لست ارى المقام مسعفاً في ازاحة الستار عنها ! فنبه بصوت أجشّ : وما هي ؟

فخيل اليها ان الدعوة الى البيان تشير الى الرغبة في الملاينة ، وان الهادي ليس متبرماً بها ، بل هناك ما ازعجه ، وما استطاع فيه تبديد الغمّ فيما تعرض له . قالت : أيجيز لي الموقف الاعلان ؟

فبال الى سماعها في طلبتها ، كي يضم شرارة الخصومة . واجاب بما يستولي على لبه من جفاء: ألا اوضحي . ليس ما ينفر بي عن الاصفاء اليك . فما تشتهين ؟

ومنذ اربعة اشهر وهو يقضي حاجاتها ، ولا يتوانى في نصرة . قالت ، وقد استدرجها الى الابانة : اقبلت استنجزك حاجة عبدالله بن مالك ، يا ابا جعفر !

وكانت قد طلبت اليه انصاف عبدالله من ريبة علقت به ، فوعد بالنظر

في الطلبة . اما الآن فما استقرّ بوعيه اسم عبدالله ، حتى كلع جبينه ، وتفتح منخره تأفأ ، وزمّ شفّيه ، ورعد بلاس نبرة ، كأن صوته السوط :  
أتخطيبي بامر هذا الزنيم ، ولا تدرين ما بدر منه ؟ ... ألا اخبريني كيف ترتضين ان ينسلّ هؤلاء الانكاس الى صرحك ؟

فهاها انفجار غيظه ، ولم تعرفه منذ ارتقائه الى سدة الخلافة في هذه الحشونة . ورسخ فيها اليقين ان الكاشعين عبثوا بها لديه ، وازالوا عنه حذبه عليها . غير انها تماسكت على الهزة ، وقالت بقوة في الاداء : لا بد من اجابتي ، وقد رعدت عبدالله بن مالك بالثلثية !

فهدر مستهيناً بجرمتها : لا تكرهيني على ما لا سبيل اليه . فالويل على ابن الفاعلة . أيتشامخ علينا ، ثم يقبل اليك في انقاذه من غضبتنا ؟ ... لا قضيتها له ابدأ . فما شأنك وهذا الحيث تشفعين فيه ؟ ... دعي عنك العورات ، وليس لك ان تستريا !

فعلا فيها الحنق ، وجهرت باحتمام : ولكنها حاجة تضمّنتها له . ولا احسبك نخيتني فيها !

فصاح بحقد : ليس لكل حاجة تعاهدين على قضاها نصيب من النجح عندنا . فاشيحي عن السفاسف ، وليس لمن في مستواك ان ينشط لها !  
فخلعت عنها كل هيبة ، وزعقت لا ترهب جلال الموقف : اذن ، والله ، لا اسألك حاجة ابدأ !

فاذاع بمتطير الاستخفاف : اذن ، والله ، لا أبالي !  
فرضّ اضالعا . واندفعت الى الباب مغضبة . فصرخ بها بفيض من حنق : مكازك تستوعبي كلامي . والله ، ائن بلغني انه وقف ببابك احد من



قادي ، او من خاصتي ، او من خدمي ، لاضربن عنقه ، واقبضن ماله .  
والافاني نفّي من قرابة الرسول . ما هذه المواكب تغدو وتروح في كل  
يوم في بابك ؟ ... أما لك مغزل يشغلك ، ولا مصحف يذكرك ، ولا  
بيت يصونك ؟ ... اياك ثم اياك ان تفتحي بابك للمي ، او ذمي ، والا  
لقيت من نقتي ما لا يثبت على هوله صوابك !

فاربدت سعنتها . وانصرفت على ارتجاف واختناق ، ما تعقل ما تطأ .  
نسف فيها الهادي كل دلال . وانكفأت الى صرحها مهضة المهجة ، دامية  
اللب . اعداؤها ظفروا بها . وارمت في صرح اساس على ذوب حشاشة .  
الا ان هذه الحشاشة ، الذائبة ، ملكت القدرة على تفجير كربتها . فصاحت  
الخيزران بجمع من ضمهم مشواها : ان الهادي ليدير اذنيه الى الشائين .  
ظلوا به حتى اقصوه عني . فالويل للاعبين بالنار ، وسيحترقون فيها . لست  
الخيزران اذا نمت على الذل . فالهادي يجهل اي سخينة أضرم ، واي  
بركان أثار !

وهاج صرح اساس ، كأنه هادر السيل . ودرى يحى البرمكي ، فتجلت  
لعينيه الدسيمة . غير انه اقبل يروض الجماح . قال يلطف من حدة  
الخيزران : ألا صبراً ، يا ذات الجلالة . هل غاب عنك من هو ابو جعفر ؟ ...  
ان لتزق الشباب مواعد يضيع فيها الهدى . ما موسى سوى ابنك ، ولملك  
ان يصفح عن زلة الابناء !

على ان الخيزران اشتعلت زفيراً . قالت وهي تلهث ، وكل ما فيها على  
انتفاض : رأيتني ازاءه احقر من بعوضة ، يا يحيى . فاهاني وتوعدي ، وقضى  
عليّ بالانزواء . والا اطلق فينا لسيفه الزمام . فهو يتهددنا بالقتل . أرايت

الى امي شرّاً انتهينا ، بعد ابي عبدالله ؟  
وناحت السيدة الاثيرة . ولكن نواح الجبروت . فالجرح الزيف ستضده  
باكباد الساعين بها . لن تطبق اهدابها ، للموت ، الا وقد اطبقت كل هذب  
في مناوئها

وحشد الهادي في ابوانه رؤوس دولته يعلن فيهم باستكبار ساخط ،  
موتور : ايما خير ، أنا ام انتم ؟  
فراعهم الاستيضاح . واجابوا بدهش ورهبة : بل انت ، يا امير المؤمنين !  
فاستطلع ، والحشونة في صوته ، والعنجية في نظرتة النائثة ، الناقمة :  
وايما خير ، أمي ام أمهاتكم ؟

فاجابوا ، وقد شاقهم ان يلمّوا بالباعت على هذا التنقيب النافل ،  
والواقع جليّ ، جهير : بل أمك ، يا امير المؤمنين !  
وساءلوا انفسهم : « هل اعترت جنة الخليفة ابا جعفر ؟ » . قال ، وما  
زال يستقصي بصارخ الاحلاح : فأيتكم يجب ان يتحدث الرجال بخبر عن  
أمه ، فيقولوا فعلت أم فلان ، وصنعت أم فلان ؟

فاوضحوا ، وقد اخذت تتضح لهم البواطن : ما من احد يجب ذلك ،  
يا امير المؤمنين !

فرعد : اذن فما بال الرجال يأتون أمي ، ويطيب لهم ان يتحدثوا  
بحديثها ؟ ... اني لامنع كل عين من الالتفات الى صرح اساس ، واحطم  
كل رجل تجبو الى عنته . ربة الحدر للخدر ، ولا محيد . والا فما كان  
للخدر ان تقوم ، ولا للرجال ان يتولوا ازمة الامور !  
فقهوا . امير المؤمنين بأبي على الخيزران ان تتصرف الى معالجة شؤون

الدولة. فالهادي نفّض منه كل وصاية عليه، وابتغى ان يقوم له في الحكم شريك. هو وحده رب الامر. وعاد العشب ينبت في طريق صرح اساس. فالتناس انقطعوا عنه هلعاً. وعادت السيدة الاثيرة الى الغوثر في عزلتها، كأنها الحبيس. وما تنكسف للمرة الاولى الانوار في صرح الحيزران. فالخذ تعوّد هذه اللطمة، كما تعوّد ان لا ينام على المكروه. فالمرذولة، المجفوة، لن تبيع للقدر، المنقلب عليها، ان يطيل نفرة الصدود

البشائر تذاع في البلاط بفيض من بهجة ، فتقع في الآذان نديّة، جنيّة،  
لتبثها الافواه صياحة ، لهي . امير المؤمنين قضي على أمه باقتعاد مطارح الزهد.  
فليس لها ان تسوس الامر في الدولة ، وما هي من اهل الرأي ، ولا من  
اصحاب القيادة. فكل ما عليها ان تلتزم صرحها للتوفر على شؤونه، ولعبادة  
ربها . وهتفت حسنة فيما تعانق لبابة : هذه هي الرجاة الطفحي ، يا أم  
جعفر . فهنئاً لنا الفوز الوثيق ، وعلى الخيزران العفاء !

ورقصنا لفرط الطرب . هذا بجلى الطمانينة . فالشوكة انتزعت من  
الجنب ، بل من الحلق ، وطُرح في النار تقنى فيها . وتمايل البلاط على  
مستباح النشوة. فالسؤدد استقر بين الحليفة. وليس لذي دعوى الافتئات  
بحق ، ولا الاستسائك برغبة . وتاه انصار الهادي عجباً . وايقنت الدولة  
العباسية انها بامير المؤمنين ، لا بمن يجرون في الحاشية . وهفت الى الايوان  
لبابة وحسنة تسجدان بين يدي الحليفة، معلنتين بحميل بسمة، وجذل نبوة:  
مرحى لامير المؤمنين . بضع الدمل بما أوتي من قدرة على الحسم الشافي .  
ماتت العقرب مكفّنة بدما ، واستراح البال ، وقد أمن سها !

فارجمه ان يقال في أمه انها عقرب ، وما يزال ابن الخيزران . بيد انه  
تصامّ عما نفتت امرأته من مطعن. وقال بلهجة خشنة، يطفو عليها الاعتداد،  
ويلتس بها لنفسه المعاذير : لم يكن بد من هذه القطيعة . والله ، ما كنت  
اريدها . الا ان الخيزران سعت لها . فالفوران المتأجج فيها يأبى عليها ان  
تهدا ، كأنها في فوهة بركان . ولقد اصبحت اخشى ان تحرقنا بنارها .

فليس لامرأة ان تقبض على الاعنة ، في دولة لا تسلس مقاورها لسوى الرجال . والرجال انفسهم يكبون في المهمة العسيرة . فكيف بالنساء ، وقائدهن الميل الاهوج ، لا الروية والسداد ؟

فقال لبابة : الحمد لله ، وقد ايقن امير المؤمنين اني وحسنة لم نكن نداجي يوم طلبنا اليه اجتناب الهفوة ، ودرء البلية . فمارقينا من اقتنات ، واحتكام ، وقع ، وليس للخيزران ان تخالف نهجها المرسوم . فهي لا تهنا الا وقد طفت كالجباب ، حاجبة من وراها . الا ان رغوتها كانت في عهد الخليفة موسى الهادي فقايع سريعة الانطفاء . سحقت رأس الافعى ، يا ابا جعفر . فابشر بالهناء المستطيل !

وهتفت حسنة : اسعد الله ايام امير المؤمنين . ان تكن الخلافة الجنة ، فالخلاص من الخيزران سدرة المنتهى . لكأنك دفعت عنك الداء العقام وانت تنفضها من طوقك ، وتقصّ جناحها . والله ، وددت لو طويتها طي القراطس ، وكان القبر لها غلافاً . فالشؤم يجنح عنك إن تفعل . والا كان لك من بقائها ما ينفث سمومها . أتدري بما اشبهها ، يا امير المؤمنين ؟ ... بالذئب الحطّاف . فلان آمن جانبيها الا وقد حطينا انيابها ، بل رأسها . والا ظل الخوف من عضّاتها يتوعدنا ، ما دامت تحتلج في صدرها نسمة . اما وقد ضربت ، فأوجع ، يا مولاي !

فضحك ضحكة مفتعبة . وقال بمتهمك البيان : حسنة لا يصفو لها خاطر الا وقد بسطت أُمي على نعش ، وجرتها الى الرمس . عندذاك يلذ لها العيش ، ونحس بانها في رعد !

فابتسبت حسنة ، وقالت بمديد السعي للكشف عن اخلاصها للخليفة

زوجها: لست اجور على أمك لعوى انقاذك من جورها، يا امير المؤمنين .  
والا فما كان لي ان اجبل فيها نظرة واخزة ، ولا ان اقول كلمة قارصة .  
الا انها الرغبة في صونك من الدواهي الدم ، وأمك ليست لك . قهرت  
فيها الحيلة ، فاسلخ منها كل رجاء . فلماذا تكون ولاية العهد في اخيك  
هارون ، لا في ابنك جعفر ؟... قد تستعين بها الخيزران على تنظيم امرها،  
والتحفز للثوب . فالناس يشوقهم ان يكونوا من خليفة الغد على مسألة  
وملاينة . وفي مثل هذا الازدلاف استبقاء لآمال الخيزران . فبجرداها من  
سلاحها ، لثلا تجرّده علينا، ايها السيد المقدى . فمن مصلحة قصر السلام ان  
يتلاشى في العدم صرح اساس !

فكانها اوحى اليه بما يبحث عنه ، ولا يهتدي الى معرفته . انها لتشق  
امامه أفقاً فسيحاً يستشق منه عرف الامان ، ويستصبح بلآلئه . وراقه  
خلع اخيه هارون عن ولاية العهد ، وإقرارها في صلبه . فيزدان بها ابنه  
جعفر، وتنحدر من الاب الى الابن . وهو الرأي الخير . فان هذا الشعب  
يبيح للاشداق النهمة المجال الى القضم والالتهام . فيضطرب الامر . وتشتى  
الدولة بالمطامع الرهاف . وبدا من الهادي انه مطرق . واذا به يطلق باصرته  
في لبابة حيناً، وفي حسنة حيناً آخر، ويقول: هذا ما لم افطن قبل الساعة له .  
صدقت حسنة ، يا لبابة . فلماذا تستقر ولاية العهد باخي ، لا بابني ؟ ...  
جعفر ارلى بها من هارون . فان ابننا خليق بركوب السدة . لا، لن استبقيا  
في هارون اخي ، وللخيزران عليه السلطان النافذ . فتضيق به علينا  
الحناق ، وتفصل عنا الناس ، وهي تعدم بالمناصب والجمائل للغد المرتجى ،  
يوم تعود فتستأثر بالحل والربط . ألا ابن الربيع ، وزيري ، اتباحث واباه

في الحاطرة الحطرة . فعلينا ، وقد ضربنا ، ان نوجع . لا فضّ فوك ،  
يا حسنة !

قالت حسنة تغلو في النصح : اذا اوجع امير المؤمنين فقد احتاط .  
فالخصوم غير نائمين عنا . ويمضنا ان يقلقونا ، ونحن في بسطة العز . انهم  
لقوم لا يركن اليهم ، يا ابا جعفر ، وفي ضائرهم نخبث وزنخ . فاعبذك ان  
تستنم الى ابالة يضرمون لك النار ، كي يشووك على وهجها . ولكنهم لن  
يفلحوا باذن الله ، وامير المؤمنين يد حاسمة ، وعين بصيرة . فيحطم فيهم  
كل منعة ، ويقلم كل ظفر ، لثلا يتطارلوا الى حيث لا يجدر بالزرارير  
ان تحوم !

فصفق بيديه ينادي حاجبه ، ويهتف به : ألا ابن الربيع ؟  
فان ابا الفضل لينضو مقوله عن التدبير السويّ ، وفي نهيته بوارق من  
حصافة نيرة . واقبل الربيع سيقاً احدب في قبضة الخليفة . قال الهادي :  
ألا ماذا يلوح لك ، ايها الربيع ، في الاستعانة من كيد الخيزران على امرنا ؟ ...  
أيجمل بنا ان ننبد هارون من ولاية العهد ، ونحبسها على ابني جعفر ؟

فادار الربيع اليقظان باصرته في من حوله ، ليعرف من افضى الى امير  
المؤمنين بهذا الرأي الجزل . ولاحت له لبابة وحسنة ، فوقع على مصدر  
الشظية العافية ، وابتمس ، وقال : ليس من منطلق يرشح بالصواب كهذا  
المقال السديد ، يا امير المؤمنين . فلا يصحو الجو ، ويصفو الاديم ، الا وقد  
حصرت بيديك السلطة بجميع اعنتها ، واستوليت على كل دعامة فيها .  
وإن أبقيتَ في ايدي اعدائك دعامة ، او شبه دعامة ، بل حجراً من الصرح ،  
فالخطر ينذر بكالح العاقبة . استأصل في أمك واخيك كل مظهر من

سؤدد ، ولك العز التليد والظريف !

فهمت لبابة وحسنة للوزير الربيع : عوفيت ، يا ابا الفضل !  
فقال متناهيأ في اللين استدرارأ لعطف الحليفة ، حتى كاد ينهار لفرط  
امعانه في العتي: والله ، لست ابغي الا الخير ، يا ابا جعفر . فان جناحك ،  
المدود عليّ ، من فضل المغيث الواقي ، ما ايقنت به اتي مها اصفيت الود ،  
فلن اقوم بوفاء بعض ما اصطنعت عندي من يانع الجميل . ان اعداءك لذو  
قوة ومكر ، مع كل ما تذلل فيهم من نخوة ، وما تطمس من عرام . فاذا  
ما استنزفت بقيا النبال في كنانتهم ، فانك لتأمن كيدهم . وبوسمهم ، بنصلة  
واحدة يجيدون رميها ، اصابتنا في مقتل لن نسلم من وباله . فانزع منهم  
كل قدرة ، وليكونوا في ركابك من احقر مواليك !

فايد الهادي ما يسخر به وزيره من سين المشورة . عليه ان يزيل عن  
أمه كل سلطة على الايذاء ، والا كابد من حقائقها ما يكفه في حكمه .  
فالحيزران ان لم تستطع ان تجرح بلسانها ، عَضَّتْ بانيابها . وإن تحطمت  
في شدقيها الانياب ، نفثت من حنجرتها سها . وان عدمت السم ، نطحت برأسها .  
وان اصاب عنقها بالشلل ، مزقت باظفارها . وان برت اظفارها ، ركلت  
برجلها . فلا نجوة من ويلها بسوى القضاء عليها ، حتى لا يبقى فيها عين  
ترى ، ولا مقول ينكلم ، ولا ظفر تحدش به

قال الحليفة يلحف في الاستشارة ، وقد استأنس بما ازجى اليه الربيع :  
وهل ترى القوم يبايعون في الامصار جميعاً ابني جعفرآ ؟

فابتسم الربيع ابتسامة يمور فيها التعجب من هذا الاستيضاح الجازع .  
واعلن بشدة : وهل من يجرؤ على التقهقر عن الموافقة ، يا امير المؤمنين ،



وبين يديك المصير؟ ... انك لتقابض على القسطاس. وليس لنا فخر في الفتنة ان يجازف بروحه ، ويتنفس عن معاندة . فالامر بين يديك على اطلاقه ، وما للخليفة الا ان يأمر لتطأ طيء الرؤوس هيبة واجلالاً !

– وما يكون من الرشيد ، ايها الربيع ؟

– سوف ينحني ، يا امير المؤمنين . فما هارون غير المطيع لمشيئة يعلنها سيد الدولة . وان هو كابر ، فليست يد الهادي بحاجة الى من يدعمها لتحوش الرقاب . فإما السجن ، وإما السيف . والا فالاذعان المحض لشهوة مولاي ا

فجلجلت حسنة : انك لتتطق عن هدى ، ايها الربيع !

وخشيت لبابة على ابنها الصغير من تطاحن الاهواء ، فهتفت : ألا لنحذر العوادي ، يا امير المؤمنين . فلا يبرح ابننا جعفر في فئة من لم يبلغوا الحلم . وعلى م يقوى ابن ست سنوات في مغالبة الرجال ؟

فالتفت اليها الربيع يقول بثقة المطمئن : لا عليك ، يا ذات السن . أخفاف عليه وقد عصه ابوه ؟ ... ان امير المؤمنين لوارف السطوة ، صلب الشوكة . وما لذي استطالة ان يسخو بروحه ، وينال من جعفر المقدسى . اقمنا حوله سوراً من الاكباد نقيه به النكد . صانه الله من ضئيل الوخزة . اننا لتبني له الغد الحُضَل فيما ننصبه خلفاً لايه !

واوضعت حسنة متحمسة : ولكننا نفقأ كل عين تنظر اليه بمقت وحقد . امير المؤمنين هذا . وخليفته هذا . ولا يحيد عن قهر الاعصاب في صرح اساس كي يسمي كوخاً مهجوراً . فالسيادة هنا مشواها ، لا في ذاك المغنى الغدور ! فقال الهادي على اقتناع بصباحة المتغنى : بقي عليك ، يا ابا الفضل ، ان تدعو الناس الى المبايعه . فتحشد في القصر القادة واصحاب الحُطَر في دولتي .

وتطلعهم على ما ازمعنا من أربة . فمن جانبنا ، خلعنا عليه الامان . ومن اجتنبنا ، انزلنا به الويل . فليحذر اللثام الماكرون !

فاذاع الربيع برحراح المسرة : ليقن امير المؤمنين ان ما من هامة تعلق مداها . فمن لم يؤيد عن رغبة ، تطامن عن رهبة . ولي العهد جعفر بن موسى ، على حدائثة عهده بالفظام !

والربيع لا ينهد الى سوى هذه الرجاة ، وبها ينحر يحيى بن خالد البرمكي ، مؤدب الرشيد . فما دام يحيى يمسك بشعرة من صولة ، فهو خطر على الربيع . ودعي قادة الدولة الى المبايعة والتأييد . ووقف فيهم الربيع خطيباً . فقال بعنجهية صاحب الامر المبروم : ايها القوم ، اسمعوا وعوا . امرني مولاي الخليفة ، ابقاه الله ركناً ايدياً لعزتنا ونعمتنا ، بان ادعوك اليوم الى القصر كي ابلغكم ما قرّ عليه الرأي من صائب التدبير . فقد رأى امير المؤمنين ، بنافذ حجه ، وثاقب حكمته ، ان يخلع اخاه هارون الرشيد عن ولاية العهد ، وان يقفها على ابنه جعفر . ولا اراني مضطراً فيكم الى استعادة كلمات يزيد بن المقفع في من جمعهم معاوية لحصر الخلافة بابنه يزيد . فكلكم بوافقتنا على ان امير المؤمنين هذا . وخليفته هذا . ومن ابى فهذا اوردد كلمات حسنة ، وهو يشير الى اثنين ، الى الهادي ، والى ابنه جعفر ، المستقر بلسق ابيه . اما الآخر ، وهو سيفه ، فهوت يده الى مقبضه تدغدغه . فهتف القادة وارباب الشأن في الدولة : الهادي خليفتنا ، وابنه جعفر ولي عهده . مرحى للربيع !

فجهر الربيع بالقول الفرحان : بورك فيكم . ما كنت لارتاب بولائكم لسدة الخلافة ، ولا بوفائكم لامير المؤمنين . هذه السيوف ، وقد صنتوها

في اغادها ليوم الفخار ، ستخترطونها في الذود عن كرامة الهادي وابنه  
جعفر ، ولي العهد . ولستم من ذرية الايرار ، اصحاب الكرامات ، اذا  
انتضيتوها لخدمة مقاصد ذوي الضلال ، الانكاس !

فرعدوا : ما نجري في سوى خدمة القابضين على ناصية الامامة .  
خليفتنا الهادي ، وخليفة خليفتنا ابنه جعفر . دامت السيادة في البيت الزاخر  
بالمجد والسعد !

ووقف الهادي ، فتناولت اليه الاعناق . فحمد رائتي ، وقال : إن  
نكن هامة هذه الدولة ، فانتم ذوائبها . والذوائب زينة الرأس . اني لوائق ،  
وانا ابدو فيكم ، بوقوفي في اكرم قوم ، واصدق عشير . فعلى سواعدكم  
تشدّ الدولة صُعداً الى مراتي الكمال والته !

ونفش جعفر الصغير ، يقول بنامة رفيقة ، كزغب المخمل : السلام عليكم !  
فارتفعت الاصوات بهتاف المرح : وعلى ولي العهد السلام . عاش ولي  
العهد الغضّ النضير !

واغرورقت اعين الهادي ولبابة وحسنة ازاء المشهد البهيج . ان من  
الفرح ما يذري الدمع . وقال الهادي ، وقد دعا الى بسط موائد الطعام ،  
يقري هؤلاء الانجاد : لنبلغ هارون ما صارت اليه ولاية العهد . فليس له  
بعد اليوم ان يتقلد شارتها ، ويباهي بعزتها !

ودفع اليه من يعالنه نبأ الخلع . والرشيذ جمع بعضه بعضاً في صرح  
اساس ، يتقي سطوة اخيه الهادي . وما كان ليندّ عنه امر ابي جعفر ،  
الصلب الشكينة ، الصعب المراس . ويثس قرّة عين الخيزران من غده .  
وهتف بامه ، وبامراته ، وبيجي البرمكي ، متأفقاً بما يدعونه اليه من رسوخ

في ولاية العهد الرجراجة : ولكني لست اريدها لنفسي . اقلقتوني برؤيا المهدي . فهل بلغ منكم السخف ان تؤمنوا بعارض الاحلام ؟ ... ان الهادي لمن عمري . وسيقيم في مقعد الخلافة حتى تبلى عظامي . فما بي أهرم بالنفخات، ولست بمن كتبت له السيطرة في هذه الدولة الرثا؟ ... حرّروني من نير كابس يثقل عنقي ، وخذوا عني ولاية العهد . لست اريدها ، وكل ما فيها يعانني انني ساشقى بها . مباركة الخلافة للهادي يرتع في نعمائها ، ولابنه من بعده يرعاها . وما بكم توقعون بيني وبينه ، وهو اخي ، وانا اتنزل له عن كل حق انالني اياه ابي ؟

فزجرت الخيزران ، وقد كوى مهبثها هذا الاصرار من الرشيد على التخلي عن ولاية العهد: أتكون من نفاذ الجلتد بما لا تصبر به على النكد؟... ألا املك بعض الرشد ، وانت الرشيد . هل اخطأ جدك المنصور ، وهو يزيناك باللقب الاثيل ؟ ... هذه الدولة ستزحف اليك بجدها وفخفتها ، وستكون سيدها . فان اخاك لقصير العمر فيها . والله ، لئن وهبت له الاقدار حظاً في البقاء ، لاصرعنّ مشيئة الدهر اللثيم . اعتزمت فيه اجتثاث الروح . لن يعيش اخوك ، يا هارون !

فلم يحفل بهذا الوعيد الاجوف ، وما ثمة غير كلمات تلقى جزافاً . أتكون الخيزران اقوى من امير المؤمنين ؟ ... قال ينفر بما تريده عليه ، مع بلبغ اثرها في نفسه : دعيني من الوعود المشاشة ، يا أمي . لقد ملّتها خاطري . ولاية العهد أبرأ منها ، ولست بمسكاً باذيالها . فإن يسلمها مني الهادي ، فله ذؤابتها وسنامها !

فزعت أمه : اراك ضيق الصدر . وليس للرجال ان يتضعوا حبال

النواب . أما تكون من نسل المنصور ؟ ... ولاية العهد مكتوبة لك ، ولا ارتضي ان تشيخ عنها . فهي في عنقك حتى الموت . فالهادي نفسه لا يقوى على خلعا عنك . فما اقرّ المهدي ، وتواضع عليه ارباب الامر في الدولة العباسية ، ليس لذي سلطان ان يهدمه ، ويعبت باحكامه . فالهادي يقوى على ان يكون خليفة . ولكن ليس له ان يمحو المنزل المكتوب !

وبوغترا بالجارية عتبة تدق عليهم الباب وتقول ، وقد مثلت بين يدي الخيزران تسدد اليها المقال المرعوب : بباب القصر احد رجال الخليفة . وهو يلتس الوقوف بين يدي الرشيد ، لابلغه رسالة امير المؤمنين ! فانتفض فوراً في ذهن الخيزران ظن السوء . وجحظت عيناها . واستفهمت بلهفة : أيكون بالباب رسول امير المؤمنين الى الرشيد ؟

فاوضحت عتبة بنغمة جازعة : نعم ، يا مولاتي . أبيع له الدخول ؟ فترددت الخيزران في الجواب . غير ان يجي البرمكي لم يجد من بأس في الاصفاء الى رسول الخليفة . قال : علينا بان نبيع له الدخول والكلام ، يا ذات الجلالة . وليس لطلبة امير المؤمنين مردّ . فلنذكر انه الخليفة ، وان اللين اجدى من الجفاء والعدا !

فنبرت السيدة الاثيرة بصوت كالح ، غضبان : لبأت البنا رسول امير المؤمنين ، يا عتبة . فماذا يريد منا الشائثون ونحن في عزلتنا ، لا نبارك ولا نلعن ؟ ... أيعكرون علينا حتى وحشة الصومعة ، وزهادة النسك ؟ فاعلن بجي : ليس لنا ان نتذمر الا وقد سمعنا ، يا ذات الجلالة . فاين هذا الرسول ، يا عتبة ؟

ولم يشأ البرمكي ان يرقب اذن السيدة الاثيرة في اباحة باب الصرح

للرافد ، وليس من دخوله بد ، وهو لسان امير المؤمنين . ولم تعترضه الخيزران ، مع متفاهم وهلتها ونفقتها . وجلّ ما بدر منها انها تمادت في البربرة . وألقت على الرسول نظرة سائكة ، فيما يقف ، ملتوي الرأس ، بين يديها ويدي الرشيد . واستقرت بعبوسها ، وما دعت الرسول الى الابانة . وخشي يحيى ان يجلو ، هذا المستأذن عليهم ، لامير المؤمنين ، ما لقي من جفوة . فدعاه الى الايضاح ، قائلاً برزاقته المثلى : كلنا اساع ، يا صاحبي . فها ما عندك . في مَ اطلقك امير المؤمنين البنا ؟

فتهب الرسول الموقف . وكادت شفتاه تعاندان في اعلان الخطب الجلل . فهو يحمل نعيّاً ، وليس الناعي كاللبشير . قال بصوت ضعيف الرنة : انتدبني امير المؤمنين لابلاغ مولاي الرشيد ، ما لست اراكم تقبلونه بمسرة . الا انها مشيئة الخليفة ، ولا ندحة فيها عن الطاعة . امير المؤمنين يقول انه نزع ولاية العهد من اخيه هارون ، وخصّها بها ابنه جعفرآ . وعلى مولاي الرشيد ان يعي ما قضى به الخليفة الهادي ، زاده الله استعلاء وهدى !  
فكأن زلزلاً يعصف بالصرح . بل كأن الرشيد يُنمى . فاعولت الخيزران وزبيدة : وارشدها !

وجحظت منها الاعين . ووثبت الدموع تترى . وكادتا تولولان لو لم يقف يحيى بن برمك مستظلاً برصين الشجر : ولكن امير المؤمنين ما برح يرى في اخيه الرشيد ولي عهده ، يا هذا . فمتى خلعه ، وأقرّ جعفرآ ؟ ... ألا تكون على خطإ في ما تذيع ، فسمعت غير ما اوضعت ؟ ... امير المؤمنين عهد اليّ في اعداد هارون لولاية العهد . وهو ما اجهد فيه وسعي . فكيف يقوّض الخليفة ما بني ؟

فقال الرسول ، وقد ملك وضاعة البصيرة في المحاررة : ليس لذي عصة ان يتقي احكام الساعة . امير المؤمنين رأى اليوم غيباً ، ما لاح له بالامس رشداً . فنفر الى احقاق الناصح ، الصراح !

فافاض الرشيد بالقول الوئيد : نحن في اكناف الخليفة على خالص الطاعة ، ايها الرسول . فعُدْ اليه وابلفه اننا ارتضينا ما خلع عنا ، كما ارتضينا بالامس ما ايد فيه اباه في خلعه علينا . فنحن ابدأ رهائن عوارفه ، ولسنا نرى في كل ما يب لنا غير فيض من منته !

فصرخت الحيزران بنواح شرس : لا ، لا ، يا هارون !  
وقالت زبيدة ملتاعة ان لا . وردد يحيى ما جهرت به المرأتان . وزاد فهتف : انا منطلق الساعة الى امير المؤمنين اقنعه بفساد التدبير . ألا انصرف ، ايها الرسول . انا في الطريق الى مولانا الخليفة !  
وصاحت الحيزران : اذهب . اذهب اليه وشدد في استبقاء الرشيد في ولاية العهد . الغد بين يديك ، يا يحيى !  
وابدت زبيدة بارتعاد : لا ترجع الينا الا وقد ثبت هارون في منصبه .  
كلنا يتكل عليك ، يا ابا الفضل !

فنبه بنفرة مما آلت اليه الحال في البلاط : لن اعود الا ظافراً ، او قتيلًا . فإما ان يثق بي امير المؤمنين ، وإما ان يقتلني . سنسمعون من اخباري ما تطمئنون اليه !

ووثب الى قصر الخليفة سهماً زفوفاً . ان الاعداء لييفون سحق العظام . وكان يقول في نفسه ، وهو يجتلس السبل الى القصر : ما سدّد الينا الطعنة غير لبابة وحسنة والربيع . كانوا حرباً علينا في عهد المهدي ، وما يزالون

يضطهدوننا ، ويجنحون الى تدويحنا . ولكننا أبقاظ !

وبدا منه انه في متفاهم الحدة. غير انه صم على خطوة لن يرجع عنها. فالرغائب لا تدرك بالحمول ، والجهد مقدور في نيلها . وما كاد ينأى عن صرح اساس ، حتى كانت الخيزران وزبيدة تدنون بغيظ من الرشيد صارختين به ، وقد كادتا تلتهمانه : ما بك تطوي جناحك لدى اضعف صرخة ؟ ... أتكون من البغاث ، وانت سليل الشواهين ؟ ... ما نراك الا ترتخي لدى كل بادرة يفجأك بها اخوك . فاين ضاعتك ؟ ... ألا تدري انك تمثل في الدولة الكفة التالية في ميزان الحكم ، وانك اشبه بالخليفة ، وانت من يجيء بعده في المرتبة ؟ ... هذه الميعة فيك تقتلنا . سيضحك منا الهادي حين يعلم انك تحاذت حبال إنذاره، كأنه قفض فيك العظام. ألا احفظ فينا ، برباطة جأشك ، صلابة المكسر ، والا اخزيتنا . أنتهار لدى الصدمة الاولى ، كأنك من خزف ؟

فهنف : لا اريدها ناراً اكلوا في دولة شيدناها بعد دهر كامل من استهانة باقدارنا . سواء قبض على الناصية موسى ، او هارون ، فالدولة ما تزال عباسية الطابع ، لا يتبدل فيها عنوان نقشه ابو العباس بناتق سنانه ، وادى عنه بنو قومنا دماً رويّاً ، زكيّاً . انه ليطيب لي بلوغ الذروة ، والاستئثار بالحكم ، ولكن هل لي ان اشغب ، واضربها معامع ضروساً ، وقد عزت عليّ الامنية ؟ ... خففا من غلوائكما . ما الهادي بذلك الغريب عنا ، وهو منا وفينا . هذا ابنك ، يا خيزران ، وابن عمك ، يا زبيدة . هذا اخي ابن ابي محمد المهدي . فكيف تدعوانني الى مناكرته ، ولن اكون عدو شقيقي ، فانحر نفسي بيدي ؟



فزجرت الخيزران ، وفي منطلقها وجبينها تعقد الشراصة عالي قباها :  
هو شقيقك ، الا انه خلعتك بما نصبتك فيه ابوك من حظوة . أيصيبك منه  
هذا الحيف ، وتظل ترعى فيه حرمة الاخوة ؟ ... انك لتلبن حتى تسمي  
بجناً مبذولاً لكل غامر . أفلست ابن المهدي والخيزران ؟ ... اذكر من  
انت ، وادفع عنك عيائك . فانك لتتضائل بما يزيل عنك مناعة العرق .  
ان يكن الهادي سيفاً، فكن مجنناً . والا فكيف تروم اقتعاد سرير الملك ،  
وكسب مودة الامة ؟ ... فالامة لا ترضي سبداً مرضوض الذرع ، وهي  
تصبو الى غطريف يقودها بصلافة تجفوا الخنوع . فاذا ما جررتها ورائك ،  
فانها لتطبعك اكثر منها وانت تسير ورائها . فقاوم الهادي اذا أصرت على  
عزلك ، ولا عليك اذا غرقت الدولة العباسية في الدم . فإن يتجهم لك  
الظفر ، فلا كان الملك ، وسواك سيحلب الضرع !

فلم يكثر الرشيد لتعريض امه وامراته ، وفيها فتخدم البغضاء  
والرهبة . وابن تسمي الخيزران وزبيدة وقد ازرى الهادي بمكانة اخيه ،  
وحرمه المقام المنيف في الرسة العربية ، وهو فيه تلو امير المؤمنين ؟ ...  
فالتعس يستصفي فيها كل ذرع ، ويبيتان اشبه بالجثث المعنطة . فيتحدث  
عنهما الناس كما يتحدثون عن هياكل الامس الدارسة ، بالكلام المبهم  
الجاف ، وقد مات فيها شأ الطماح والعزة . وما تشتهيان، من دنياهما ،  
غير السمين من العلالات . قال الرشيد يطفئ فيها جذوة النار : ألا صبراً  
ريثاً يقبل يحيى البرمكي !

واحمد غلبانها المستعر وهو يحدثهما عن يحيى . اجل ، عليهما بانتظار  
البرمكي ، ماحي المهانة ، ومقبل العثار . والبرمكي لقي من يهد له الى

امير المؤمنين. ورأى ان يستعين عليه بالدهاء. فيذلّ حباله حتى يكاد يتبحر. ويعد بالطاعة . ويدعو الى التؤدة . كأنه نسة خير ، وشعاع يمن . وقبل الارض في حضرة الهادي ، كما اعتاد تقبيلها في حضرة المهدي . ولم ينهض من سجده الا وقد اباح له ابو جعفر الوقوف . فوقف ، ولكن كالقوس . ولم يرقب ان يجيز له الهادي الكلام ، فقال : نحن في قبضة امير المؤمنين اسياف الحق ، واجناد الولاء . فاذا مثلنا بين يديه ، فلا نأقي لسوى اعلان الخضوع ، وابداء الاجلال ا

والهادي لس في يحيى المواربة ، وهو يلتوي ازاه ، ويستكين حتى يكاد يصبح هباء مذروراً . وضعك منه في نفسه . وادرك الباعث على هذا الخنوع . ما لاح وجه البرمكي لسوى دره الغاشية عن الرشيد . وتكلم الخليفة ، فقال هازئاً بالفارسي الداهية : ألا ماذا ، يا يحيى ؟ ... اي ساعة مباركة تدفعك البنا ؟ ... هل من حاجة لك فنقضها ؟

ولقد اصفى الى رسوله الى الرشيد قبل ان يأذن ليحيى في الدخول . وتبين من اقوال الرسول استغذاء اخيه ، ورضاه عما أصيب به من تنحية . كما ألم بما افاضت به الخيزران وزبيدة من احوال . بل هو اطلع على رغبة البرمكي في المجهه اليه ، قبل ان يسقط اليه ان البرمكي بالباب يلتمس الوقوف في رحاب امير المؤمنين . وتاق الى سماع هذا المتهالك على ارضاء الخيزران ، وعلى الذود عن مكانة هارون . باي كلام سيخاطبه ويستعطفه في ما لا يبيع الرجوع عنه ؟ ... قال يحيى ببسة فرض عليها الميعة والغلو في الزلفى : ادام الله عهد امير المؤمنين مشرقاً وطيداً . ليس لنا الا ان نتهج وقد تولى ابو جعفر الامر فينا . فيرفع من شأننا ، فيما

يسوسنا ، بما وهبته العناية من سخاء قلب ، وعفة ضمير . ولسنا نتردد في اقرار حكمه في ما يقدر علينا، وليس يخالنا وهم من ارتياب بصدق النية ، وصواب المرص . فما يعلن خليفة الرسول هو الحق ، والعدل ، وليس لآياته المنزلة تبديل ، ولا لحكمها التواء. الا ان المفاجأة بهذه الآيات تدعونا، احياناً ، الى الجرأة على امير المؤمنين في التماس ارجائها ، لا نحو سطورها. ولولا انها الغيرة على الخليفة ، ابقاه الله خفّاق الرابة ، لاحببنا عن كشف ما في الصدور من حوافز الاخلاص !

فتعاطف مطلب البرمكي وضوحاً . اقبل يجي للشفاعة في الرشيد ، والتطويل له في ولاية العهد . وظلت نبرة السخر فاشية في مقال الهادي ، فقال متجاهلاً : ألا افصح ، يا مجي . ليس في مقامنا متسع للالغاز . ماذا تريد ؟

فاعلن البرمكي بمتناهي الاحتشام : لا اريد ، يا مولاي ، بل ارجو ، بل اتضرع اليك في ما يوحى به اليّ ضميري من خير لدولة تعتز بانك حامياها . ثلث ان تنزع ولاية العهد من اخيك الرشيد ، ولا امتعاض مما ابرمت ، ولا جدال في ما ذهبت اليه حصافتك وبصيرتك . وما تدرك انت ليس لملتنا ان يفتن اليه ، ولا ان يشكّ في ما ينضح به من الروية اللباب . وان الرشيد ليرضى التنزل عن حقه ، وقد رأى مولاي الخليفة ان يستعيد منه ما كتب له ابوه . ولكل هل من السعي السديد ان نستلّ منه هذا الحق ، وما يروح المهدي نديّ التراب ، يملأ دنيا العرب بروحه ، وخياله ، كأنه ما يزال يسود ؟... ليس للرشيد ان يتردد على مشيئة امير المؤمنين . لا والله ، يا ابا جعفر . ولكنه الميل الى اقرار الامور في مواضعها . فاذا

ما انتظرنا النضج في جعفر ، فليس في الانتظار دليل على عناد الرشيد ، ولا على حرمان ابنك ما يشوقك ان يتبوأ من سلطان . وما لطفل ، ابن ست سنوات ، ان يتولى رتبة هي في الدولة دعامة . فهل يضير مولاي لو ابقى اخاه في المنصب ، ريثا يشبّ جعفر ، حرسه العناية ، عن الطوق ، ويمسي خليفاً باعتلاء الارائك السامقة ؟

فوقع الهادي في بيان البرمكي على مكنتز الحجا . ليس لجعفر ان يتولى مقام ولاية العهد ، وهو ذلك الطفل الجاثم في سنواته الست . بيد ان الخليفة لم يشأ ان يؤيد فوراً مؤدب الرشيد ، وفي التأييد العجلان ما يدل على طيش وعقم تدبير . فتظاهر بانه على اطراق ، كأنه ينظر في ما يعرض عليه يحيى بن برمك . ونجلى ليحيى انه اصاب من الخليفة ملمس الاقتناع ، فقال : أظن امير المؤمنين أن الناس يسلمون الى ابنه الامر ، وجعفر لم يبلغ الحنث ، ورضون به لصلاتهم ، وحجهم ، وغزوم ، وهو الحديث العهد بالقطام ؟ ... اخشى ، وقد خلعت عنها اخاك ، ان يسو اليها جلّة اهل بيتك . فتخرج من ولد ابيك الى ابناء اعمامك ، وكلهم يشحن لها المطامع . وتكون قد حملت الناس على النكث ، وهوتت عليهم أيمانهم . فلو تركت بيعة اخيك في مستقرها ، وبويع لجعفر بعده ، كان اركد . حتى اذا ما بلغ مبلغ الرجال ، سألت اخاك ان يقدمه على نفسه ، فيظل الامر في ابناء ابيك ، ولا يشره الى الامنية الحيرة من يعزلكم عنها لبسناثر بها !

فازداد الهادي يقيناً ان البرمكي يذيع حقاً . وما تمالك ان اعلن : نبتني الى ما لم اكن منه على معرفة ، يا يحيى . ليس لي ان اهدم ما بني ابي . اجل ، جعفر لم يدرك مرحلة الحلم . فلنبتق الامور كما هي ، ريثا يبلغ

ابني أشدّه . وعندذاك ادعو الرشيد الى التنزل عن حقه في سبيل جعفر ،  
وتقضي الحالة في نهجها القويم !

فابان البرمكي ، والفوز الوشيك بالارب بملأ قلبه اغتباطاً ، وقد تعجب  
من ادراكه البغية بسهولة لم يرقبها : وهو خير ما يفعل امير المؤمنين !  
على ان الهادي استوضح ببعض ريبة : وهل يوافق على هذا الرأي  
اخي هارون ؟

– ليس لهارون ان يمانع في ما يريد عليه امير المؤمنين !  
قال الخليفة : اذن فليعاهدني على اعتزال رتبته يوم يجاوز جعفر عهد  
الصبا . فلن اقدر عليه الذل وهو اخي . على ان يسرع في الموعد الى  
الوفاء . فلا يكرهني على انتزاعه عنوة من مقام تحلى عنه طوعاً !  
فاعلن يجيى : وهو ما سيفعل ، يا امير المؤمنين . ساقوده اليك لمبايعة  
جعفر ، ولك ان تعهد اليه في المنصب حتى الاجل الموعود !  
فوافق الهادي على المطلب ، قائلاً: لا بأس . ليأتِ الينا هارون ، يا يجيى .  
فليس لمن نجلها أبٌ واحد ان يتناكرا !

فهما يجيى الى صرح اساس في طفرة الصقر . ودخله هاتفاً ، لا يتاسك  
لبليغ فرحته : ابن السيدة الاثيرة ؟ ... ابن الرشيد ؟ ... ابن زبيدة ؟  
فهرع اليه الثلاثة يستطلعون عينيه ، وفمه ، ونخبره . فصاح بمديد الجذل :  
ما رغبتا فيه نعمنا به . بشراكم !

فهمت الخيزران بمخضّ البهجة : هل بقي الرشيد في ولاية العهد ؟  
– بقي فيها ، يا أم موسى !  
فراعها ما يذيع . واستفهمت بقصيّ الدهش والخبور : وكيف وفقت

للبنية ، يا يحيى ؟ ... هل أوتيت قوة السحر في موسى ؟ ... ألم تكن هناك لبابة وحسنة ؟

— كنا وحدنا ، يا مولاتي . فخطبت امير المؤمنين بما فتح عينيه للصواب . قلت : « أتولي ابن ست سنوات مقاماً لا تسعفه السن في التوفر عليه ؟ ... ما ضرك ان تستبقي الرشيد ، ريثا يبلغ جعفر عهد الحلم ؟ ... فهل يخيل اليك ان هذا الوليد يقوى على تدبير قومك في صلاتهم ، وغزومهم ، وحجهم ؟ ... ما ان يجول ابنك ، في مراتع الرجال ، حتى يتنزل له الرشيد عن حقه في ولاية العهد . أما ان تفرض عليه ، اليوم ، التخلي عن منصب لا تجحد من يتولاه من ابنائك ، فكأنك ازلت الخلافة عن بيتك لتهبها لمنافسيك . وما اكثرهم في هذه الدولة . فتق باخيك . ولا تلق الامر الى من لا يبرح لدن الاهاب ، عاجزاً عن مغالبة هوجاء الريح ! » . فما تمالك ان صدق ما كشفت له عنه . وجل ما سألتني فيه ان ادفع اليه الرشيد ليعاهده على ما استنفدت في بلوغه الجهد !

فتقلص عن الخيزران البشر ، وهي تلمّ بالتدبير . فالعزل لم يُنقض حكمه . وزعقت خشياً : ألا ماذا افدمت عليه من مستضعف البدعة ، يا يحيى ؟ ... لكأنك اضعت هارون !

فالتفت اليها باسماً ، لا يحفل فيها بسورة الحدة . وقال بمنهل الطمانينة : لا تجزع سيدتي الاثيرة . ما انتهيت الى هذا المخرج بسوى مشقة . وهو كل ما يسمنا ان ننال من الهادي . وعلى سيدتي ان تتقبل برضى ما احرزنا ببليغ الوكد . سيبقى هارون في مكانه من ولاية العهد ما يجاوز السنوات العشر . ومن يدري ما سوف يدهمنا في هذه الحقبة . فهل نسبت مولاتي ما قص

عليها المهدي من رؤيا ؟

واشار الى ما تراهى للمهدي في المنام من قضيب يورق كله ، ومن قضيب لا يورق سوى اعلاه . والقضيب المورق كله يرمز الى بقاء الرشيد طويلاً في سدة الخلافة . على حين ان القضيب المورق اعلاه ، وحسب ، يعلن قصر عهد موسى بالمنصب الاول في الدولة . فصرخت الخيزران جازعة : ولكن من يثبت لي صدق الرؤى ؟ ... قضيت علينا ، يا يحيى . عبثت بمشيئة ، المهدي واجزت لاعدائنا التفوق . لم تكن ذاك المعتكك البصير في ما بلغت . واضيعة العمر ، وقد تلاشى كل ما تعبنا ، على مدى سنوات فساح ، في إحكامه . هويتنا عن مرتبة العز . واحسرتاه !

فقال يحيى يمنع عنها التداعي : لا ارى ثمة ما يهيب بمولاي الى الاسى . فكل ما استطعت نزعته من امير المؤمنين استلته بعزيمة غلابة . واني لاخاف ان يعدل عنه اذا صورت له لبابة وحسنة الاذى في ما اتفقنا عليه . اعتمدي على الغد ، وانت الراجحة . يكفينا ان نظل على حالنا ، ومجالنا ساعة نحن فيها . وليس لاحد ان يلمّ بخفايا الآتي ، يا صاحبة الجلالة !

فنشر الصمت الحائر بساطه على المكان . فالباس والرجاء اعتلجا في كل صدر . فلم يكن للاربعة ان يرضوا ، ولا ان يفضوا . على ان الغضب رجح الرضى في ضمير الخيزران وزبيدة . اما الرشيد فما بالى . ومع اعجاب البرمكي بنفسه ، وقد عاد من المهمة في شبه غلبة ، لم يقرّ على ابداء الابتهاج بما حاز بعدما جبهته الخيزران بالنفرة . على انه ودّ لو رسخ الهادي في ما تواضعا عليه ، فلا تخرج به امرأته المرموقتان ، لبابة وحسنة ، عن العهد المقطوع واوجهه التردد في اجابة امير المؤمنين الى ما اقرّ من رغبة . على الرشيد

ان يسرع الى اخيه كي يعاهده على تخليه عن ولاية العهد، يوم يتزعر جعفر، ويمسي ذا رشد ونضج . و حار البرمكي في ما ينهج من اسلوب لدفع هارون الى البلاط، مع عناد الخيزران. فما وعد به يحيى لا بد من انجازه، والا انقطع عن صرح اساس، ان يكن فيه غير مسوع النصح. قال يجهد جهده في الاقتناع: ليس افضل بما كان، اينها السيدة الاثيرة. واحسبك موقنة باخلاص يحيى البرمكي . ان اخلاصي لهذا الصرح ينهد بي الى الايمان باننا، في ما استعدنا من حظوة، ابعد ما تقوى اليوم على استصفائه . فلينهض هارون الى اخيه ليعالنه المراءمة، ويجاهره بالطاعة ا

فهتف الرشيد : ها انذا، يا ابناه . اني لاجسد الهدى في ما ذلت وادركت . وما كان للهادي ان يهادنا بهذا السباح، لولا ان تبلغ منه بحدة ذهنك، ودهائك، ما ليس لذي لب ان يدنو اليه، بفد الازماع على المناكرة . اعدت الينا المجد فيما بوشك ان ينبر عنا، يا ابا الفضل !

فدمدمت عليه الخيزران بطلع ونقمة : أهذا الاستخذاء نحاول ان تبلغ قدر الرجال ؟ ... يا حبيبتنا فيك، وانت هذا التكلة !

فقال يحيى متأففاً : دعينا ننظم امرنا، يا ذات الجلالة . يحيى ليس على ضلال. فمن الرشد الامثل ان نرضى بالمعروض علينا. اعيد القول ان موسى لن يعمّر طويلاً . وسنظل في مرتبتنا ريثما تحطه المنون . وما ان يلتوي، حتى ننفر الى الاعنة فنقبض عليها، وندير شؤون الدولة بلا عياء، كأن ما اقرّ ابو عبدالله لم يتبدل . وليس لطفل ان ينازعنا مقاماً مكتوباً لنا، وولاية العهد لا تبرح في قبضتنا . اذا نظرت مولاتي ببعض الروبة في ما اخاطبها به، ايقنت اني انطق بالخير، واصبر الى الجدوى . مصلحتنا في



ان لا نعيد قيد ائمة عما ننعم به من مكانة آتدة !

وامسك بذراع هارون هاتفاً : هلمّ ، يا ولدي !

فاذاع الرشيد : اني لمنطلق الى حيث ترجيني ، يا ابتاه . هيا !

ويرحا معاً صرح اساس ، والخيزران تميز حنقاً . الا ان قياد الامر ، وقد افلت منها ، قضى عليها بالاذعان المكره . ربما كان الهدى في ما يدعو اليه يجيى . وارتمت السيدة الاثيرة مبرطمة ، مبريرة ، في مقعد قريب منها . تقلقل المجد ، وهانت العزة . باتت أم موسى مغلوبة على امرها . وكانت ، لبضعة اشهر خلت ، الدولة على قصي رحابها . وظهرت فيها الضعفة فاطلقت الزفرات . انها لفي ازمة منكرة من الحيبة والزراية . وتوعدت ابنها موسى . سوف يرى الانكسد . انها لطالع شؤم ساعة انتفاضه في حشاها . وصمت على ابادته ، وما تلقى خيراً في نحر ولدها . هذا جباح لواعج الاوتار . ونظرت الى الغد . فان لم تصدق رؤيا المهدي ، زوجها ، فستقدر عليها الصدق . هددت مراراً بقتل الهادي ، وسقتله إن هو مضى في معاندتها . قالت وكل ما فيها على ارتعاد لفرط غضبتها : عليّ ان ارقب مسير الاحداث . فاذا جرت في الصميد غير المؤاتي ، زجرتها بما املأ به بسطة العرب اعوالاً وزئيراً !

والاحداث لم تنصر الخيزران . فما كاد الرشيد ويجيى البرمكي يقفان في حضرة الخليفة ، حتى ابتدرهما ابو جعفر بقولة جازمة ، تقطر امتعاضاً : ما اتفقت عليه ويجيى لا سبيل فيه الى الانجاز . عزلتك عن ولاية العهد ، يا هارون ، وخلعتها على ابني جعفر . فليس لك ان تمارس سلطانها ، ولا ان تعصم بمنعتها ، وانت نفياً منها !

فاستقرت عليه الاعين الاربع بشده . ما كان هارون والبرمكي ليرقبا  
ان ينقلب المادي على نفسه في لحظة . ولاحث فوراً ليحيى اصابع لبابة  
وحسنة تلعب بنهية امير المؤمنين ، وتقوده الى ذبح أمه بمذبة الجلاد  
هدر الغلّ دم الخيزران !

لبابة وحسنة بالمرصاد. فلا يخطر الخليفة خطوة، الا وتحسبنا عليه. ولا يفضي بكلمة، الا وتدققان فيها ، وتستجليان مرماها. كأنهما، وقد لمستا فيه الضعف حيال أمه ، اضحتا نخشيان عليه الاتزلاق في فخ الخيزران. فتسلبها اباه أم موسى ، وتخذ شوخها ، وتعود الى غمرة الدلال فتتهادى فيها بمخمور الفياش

ولبابة وحسنة منذ ابصرتا البرمكي، في البلاط، رقبنا اندلاع الغاشية. ما يقبل يجيى لسوى النفس والتدمير . فيستأصل ما اجتهدنا في غرسه ، وتعللتا بنائه ، وقد بات المأمول في القبضة . وهرعتا الى مكانها من ايوان ابي جعفر ، تنتصنان كالمعتاد . وسمعتا ما ابدى البرمكي من رأي، فهزت كل واحدة منهما برأسها، وصرفت باسنانها . فما يجيى والخيزران غير ثعبان وافعى ، اندسا في بطانة الثوب العباسي للدغ كل من يحاول اصلاحاً ، ويروم إحكام ميثاق

قالت حسنة وهي تكاد تتمزق حقداً : أسمعِ ؟ ... انه ليطبخ له السم ، ويدعوه بمكر وقحة الى التهامه . لكأنه الخيزران. وانه لمنها . فلا عجب وقد تعادلا . ألا كيف يطلب اليه استبقاء الرشيد ، في ولاية العهد ، ريثما يكبر جعفر ، فيرضى موسى ؟ ... أما يعلم انه يقضي على نفسه ، وقد ابقى في الجو جرثومة من وبيل الوباه ؟

وكادت تثب الى صدر الديوان فتصبح بالبرمكي: «ألا اخرس، يا وجه الشؤم . ما تحوك الا شركاً تنزع به الى اصطباتنا . ولكننا اصبعنا على

بيّنة من نفاقك . اطرده ، يا امير المؤمنين . بل اضرب عنقه ، وانقذ الدولة من غدره ومينه . فما يريد الا فساداً وشرأا . الا ان لبابة امسكت بها تكرهها على الجلوس ، وقد قرأت في عينها ما تسعى له من فضيحة . وخاطبتها بلهجة الامر المتجلي في نظراتها ، وفي كلامها العنيفة على خفوتها : مكانك . ما فات الاوان ، وما تزال لنا الى امير المؤمنين سبيل فنعالنه بدمامة المأرب !

واختلجتنا معاً، وهما تسمعان امير المؤمنين يوافق البرمكي على مقصده ، ويطلقه الى الرشيد كي يأتي به اليه ، فيعاهده على المهادنة . وكالسيل الجارف تدفقتا على الخليفة صاهلتين : أنظّل تكبو في الخطو ، يا موسى ؟ ... أيقودك ابدأ البرمكي في خدمة مكايده ، فيضرم تحتك النار لاحراقك ، ولا تحس باللهب يلتهم جنانك ومهجتك ؟

وهتفت حسنة ، باكفهرار وغيظ ، وهي تحس بالارض تميد بها : ولكنهم يمتون النفس برؤيا ابيك . أما جاءك ما افاض به ابوك عن قضيب يورق اعلاه ، وقضيب يورق كله ؟ ... حسبوا ذلك القضيب المورق اعلاه عهدك في السدة ، وفدروه بانه غير طويل الامد . على حين يمتد عهد هارون وتندلى فيه عناقيد السعة واليمن . واذا ايد صرح اساس رغبتك في خلع الرشيد ، والمناداة بجعفر ولياً للعهد ، على ان يبقى الرشيد في المنصب لا يجلو عنه الا وقد كبر جعفر ، فانه ليتعلل بزوال ملكك في الوشيك ، وبانتقال السلطان اليه . وكأنك ما عزلت هارون عن ولاية العهد وانت تقيه فيها ، وبينما ينسو ابنك ، ويدرج في رحبة الرجولة ، وسيظل الذئب يعيث شرأ في القطيع . وان لم يكن صرح اساس ينطوي على سوى هذه المخبئة ، فمن

المفروض عليك هدم اركانها وهو يتقاسمك ، وما تبرح ملء الوجود !  
فانارت ذهنه بما كان منه على خمود بصيرة . ونظر اليها طويلاً كأنه  
يزداد من عينها المتوهجتين بالضغينة بياناً و يقيناً . ونضضت شفتاه بقوله  
مدهوشة ، كالمستيقظ بعد نشوة : صدقت ، يا حسنة . والله ، اصبت المرعى .  
ما في صرح اساس غير نيات فاسدة ، ومطامع مسنونة . لا ، وتربة جدي  
المنصور ، لن يبقى الرشيد لمحة في ولاية المهدي . كدت ابقيه فيها عشر  
سنوات ، وربما اثنتي عشرة سنة . ولكنه غير جدير بها . فالمتفقون لهم من  
عقاب ربهم ما يعرقل مسعاهم الدنيء ، ويقوّض امنيتهم السفهية . وضع لي من  
مكرهم ما لم اكن منه على جلاء !

فقلت لبابة : اراك استسلمت اليهم بما اضاع فيك البغضاء . ومن لا  
يغض ، يا امير المؤمنين ، فلن يظن الى المكارة يتقيا . ليظل فؤادك محضباً  
بالخذ . فالخذ وحده ينير سبيلك ، ويكشف لك عما يحاول فيك اعداؤك  
من ضم ، فتعزز من دسائسهم واحابيلهم !

فنبه : واني لهذا الخفود ، يا لبابة . غير ان رفيقي بامي يقدر عليّ صفاء  
النية . اما وقد وضع لي مكر الثعالب ، فاني لانتزل مني الضغينة منزلة الحلم .  
سوف يبدو لكما من نعمتي على اولئك المهازيل ما يخضض فيهم الروح .  
فالبرمكي مقبل اليّ بهارون ، وستريان وتسعان ما يكون مني فيهما .  
فصبراً !

وهاله ما يلوح له في أمه من خدعة . أيفصح عن مكايدها لحرمانه حقه  
في الخلافة ، كي يلقي منها هذا الحتل الدميم ؟ ... أتظل الخيزران تلك  
الخيزران ؟ ... ورقب عودة البرمكي بصحبة هارون . واقام على فائز

الحنق ومتفاهم الجفاء . سيزلزل الارض بالانكاد . وما كانت لتهدأ فيه  
الغصص ، وقد امسكت بخنقاه . فالفلّ فيه على طفاح . وعقد ناصيته ،  
وغارت عيناه نحت رفرف من حاجبيه ، لتجحظا في وقيهما وتطلقا السهام  
الرهاف . لم ينصفه حظه ، وقد اقام له من أمه واخيه عدوين يسميان لاذلاله .  
عدوه في عبّ . وما انحنى بين يديه الرشيد ، والبرمكي ، حتى استدلا من  
اساريه انه على قطوب ونفرة . بيد انهما علّلا هذه البادرة بطبع فيه  
غليظ . اما وهو يفجأهما بقولته اللاطية ، فايقنا ان الرأي المعلن التوى  
فيه ، فمحا معالم ما اتفق عليه والبرمكي ، وقد عكّر الحُصوم ، المقيّمون على  
خشية ، زلال الماء . واستوضح البرمكي والبشر يفيض فيه ، والاضطراب  
يسود نهيته : ولكن هل يذكر امير المؤمنين ما اذن فيه ، ودعا اليه ؟ ...  
ما جئنا الا امتثالاً لمشيئته ، ننادي بالتزل عن ولاية العهد ، ونبايع بها  
جعفراً المغبوط اليمن !

فهدر موسى : والله ، انك وصعبك لمن الغش في منتهى آماده ، يا يحيى .  
أيطيب لكم ان تثبتوا هارون ، ولو لزمنا موقوت في ولاية العهد ، كي يرثني  
حين اموت ، استناداً الى ما ذاع فيكم من رؤيا المهدي ؟ ... ألا سفه ظنكم .  
لا عيشن في جلباب الخلافة حقبة ما احسب ايامكم تمتد اليها . فما انتم الا  
كالخنافس ، يسحقها وطئي . ألا خففوا من عنجيتكم ، والا نثرت لحومكم في  
مهب كل عصف . اهرب نعتي ، يا يحيى ، ولا تطوح بهذا الغلام الرخص .  
فانك لتقوده الى المهالك وانت تزين له الغدر اقداماً ، والحسة رفعة . وابلغ  
الخيزران ان زمنها مضى . فان يكن لهاها يضيّق بها ، فلن أقف عن اذاعتها  
حتفها . لكأني اراها تستطيب الولوغ في دما !

فهنف البرمكي هالماً : ولكن امير المؤمنين يسيء بنا الظن . والله ، ما عرضت لنا رؤيا المهدي في خاطر . فما التسننا من ابي جعفر ، الابقاء على الرشيد، لزمان موقوت في ولاية العهد ، لسوى رغبتنا في صون الخلافة من التناهي عن هذا البيت الصفيّ . اما وامير المؤمنين ينفر عما استصوب ، فليس لنا ان نكرهه على ما لا يطمئن اليه . فالرأي ما يبدي امير المؤمنين ! فاحتمد الهادي حتى قصر عن مداه ايوانه . وجهر بمنون نبوة : انك لتبحث عن قبرك ، يا يحيى . لاهديتك اليه الطريق . ما غرقنا لولاك في هذا السيل من الدسائس . فكأنك مارق من الدين ، لا تردعك عفة من خلق عن المشايخ تنفوس فيها . اما والله ، لتكوننّ عبرة . ضلّ ابي مهيع الرشاد وهو يفسح لك الينا . بل ضلّ جدي المنصور ، على بعيد حنكته ، عن مصلحة الدولة وهو يميز لايبك الاتصال بنا ، والاندماج فينا . ستعلم من امرك ما يقهر فيك كل شغب ونفاق !

فشعر البرمكي بالزوبعة تجتاحه . بل شعر بالنار تندلع عليه ونوشك ان تلتهمه . وتذكر ما اتفق له في زمن المهدي ، وقد نقم عليه ابو عبدالله بتحريض حسنة . حسنة بعينها ولسانها . ونفاه الى ازربيجان يتولى زمامها . ولقد نجا يومذاك بغوث من الخيزران . اما اليوم فمن له ينقذه من الورطة ؟ ... قال برضوض لهجة : ابقى لنا الله امير المؤمنين ، وليس لنا ان نخالف له بغية . فان يكن يجد في قتلي ما يزيد في مجد هذه الدولة ومنعتها ، فلست اجلّ بدمي على احياء المجد ، وتوطيد الركن . ها هوذا عنقي ، يا مولاي ! فصرخ به الهادي : دمك لا يوطد ولا يحيى ، ايها المراوغ الاشأم . بل يدفع عن الاجساد عضات ذبابة موجهة . فلا يجيل البك انك ترجع ذبابة

خبيثة تزعج وتمض ، ولا خلاص منها بسوى طمسها . وكنت أطلع يدي  
بدمك . الا اني استنكف ان يصيبني منه رشاش لا يذهب عني ننته . فالى  
السجن ، يا نسل ابليس . أنتزع الى المخاتلة ، وابقيك تسرح وتمرح على  
هواك ؟ ... لا ابقاني الله اذا فعلت . ألا اقبضوا عليه واسجنوه !

ولم يكن باضطرار الى التصفيق في دعوة حاجبه اليه ، والحاجب سمع  
زئير امير المؤمنين وهفا اليه مليياً . ووقعت عيناه على يحيى البرمكي ،  
وقد طأطأ يحيى الرأس حتى كادت هامته تلتصق بالارض ، واعلن بخشوع  
وخوف : لتكن مشيئة سيد امري ونعمتي !

فاشار الهادي الى البرمكي مديعاً بسخط : اودع هذا الوقح سجن  
المطبق ، ولا تبع له ان يبصر النور ، ولا ان يخاطب مخلوقاً . وكبل يديه  
ورجليه بالسلاسل ، ولا تهب له في يومه غير كسرة من الخبز ، وطاساً  
من الماء !

فتم يحيى : ليس لي الا ان اشكر الله وقد التفت اليّ امير المؤمنين !  
فزاد هذا الاستسلام في موجدة الخليفة . ونهض ويده بمسكة بمقبض  
سيفه ، مجلجلاً ودمه في عروقه على جيشان وطفرة : صه ، لا أمّ لك . لا  
تخرجني فاخطف رأسك !

فاختق الكلام في صدر يحيى . وقبض الحاجب على ذراع البرمكي  
المكظوم الغيظ ، وجرّه الى المطبق الرهيب . وهو سجن مظلم انشاء في  
بغداد ابو جعفر المنصور لمعاينة العصاة . وشيع الهادي اسيره بنظرة تستشيط  
فيها السخائم ، وبسحنة ربداء تستطبل نزوات . وجنح الى اخيه الرشيد يقول  
بصوت أجش ، قاصم : كأنني بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا ، يا هارون .



ولكنك ترجو ما ينبو عنك ، ودون ملتسك غزو السماء !  
فما جبن الرشيد ولا تلثم . ومن العجيب ان لا يجبن ولا يتلثم في  
الموقف الصعب ، وهو المفطور على الوداعة واللبن . بل قال يندد باخيه حبال  
ما بدا له من قسوة الهادي على يحيى البرمكي ، وخروجه عما نشر من  
عهد : على رسلك ، يا امير المؤمنين . فمن تكبر اتضع . ومن تواضع ارتفع .  
ومن ظلم انخذل . لئن انتهى الامر اليّ لاصل من قطعت ، وأبرّ من حرمت .  
ولاصبرن اولادك اعلى من اولادي ، وازوجهم بناتي ، واقضي بذلك حق  
الامام المهدي عليّ !

فطمأن المقال الانيس من حدة الخليفة ، والتمع في وجه الهادي السرور  
فهتف : ألا ادنُ مني ، يا هارون . والله ، انعمت نفسي بما زففت الي من  
نضير البيان . ما غاب عني انك شقيق نفسي . الا ان للايام احكامها القاهرة ،  
يا ابن أُمي . فاذا ما نضوت عنك ولاية العهد ، فلن انسى ان ارفعك الى  
حيث تمني وكأنك الدولة . دع لجعفر ابن اخيك المجال الى السؤدد ، وكن  
له نصيراً ، فتجري الامور برأبك ، وتوقن انك قابض يجمع يدك على الناصبة .  
ان جعفرأ ليستنيم الي عمه في تنظيم الامر ، وهو يلقي في الرشيد كنانة  
الرشد !

فنهض هارون وقبل يد الخليفة ، اخيه . وتراجع الى مكانه في زاوية  
الايوان . فصاح به الهادي : وحق المنصور والمهدي ، لا جلست الا معي ،  
في صدر مجلسي !

وقرّب به اليه . وعاد الى التصفيق ينادي حاجبه معلناً : الا ابن قيم  
بيت المال ؟

فما استعان به من عنف ، على سلخ ولاية العهد من اخيه ، فرض عليه  
الاسترضاء . وبدا قيم بيت المال يسلم وينحني ، حتى يكاد ينقصف . فجهر  
المادي : احمل الساعة ، الى هارون الرشيد ، اخي ، الف الف دينار . واذا ما  
فتحت الخراج فانطلق اليه بالنصف ا

وساق قوله الى الرشيد مذيعاً : اعتمدني ، يا هارون ، كابيك . بل  
كشريك لك في الحكم . فلن اتادي برأي لا يظفر بتأييدك . ولن اعقد  
صلة لا تحوز موافقتك . هذه الدولة ، وقد احكم المهدي بنودها ، واقامنا  
على نواصيها ، تدرج بمشورتك ، وحدة فطنتك . فلا تبطن لها الا الخير . ولا  
تلتس لها غير النجع . ما جعفر ، وهو ابن اخيك ، سوى ابنك . وكأنه  
قطعة من كبدك . فاذا ما نزلت له عن حقلك ، فكأنك لا تزال تقرّ  
عيناً بهذا الحق . وليس من حقد بيننا يرين على الارواح ، ولا من عداه  
يفصل بين القلوب ا

وسمى بوفر من لين ودهاء لتضيد الجرح الزيف . فركن اليه الرشيد  
ونام على الاذى . لن ينور على اخيه ويقلق فيه الامنية الجموح . فاذا  
افلتت منه ولاية العهد ، فما برحت في بيته تنشر عليه ظلالها الوداعة .  
وحسبه ان يكون شقيق الخليفة ، وان يسمي غداً عم الخليفة ، وكأن السؤدد  
ما يزال رابضاً في العرين . قال يجيب اخاه عما ازجى اليه من انيس التصافي :  
ما كنت لابغي ان تقوم بيننا الشحنة ، يا امير المؤمنين . فالمهدي ، رحمت  
الله عليه ، ما دعا الى الحصام ، وقد قسم بيننا المجد . الا انها المطامع  
الناهدة الى الاستئثار بكل جليل ابعدت بعضنا عن بعض ، وما من دافع  
الى المصاولة . ان من يدرك شأن الاخوة ، ويدين بذهب جمع الشمل ،

مؤمناً بركة الرحم ، ليذيب من نفسه لاجل وحدة العرق . اراني واياك  
وابنك من حزمة واحدة ، يا موسى . وكل ما أسألك فيه ان تعفو عن  
البرمكي . فليس يجيى ، مؤدبي ، بالعدو ولا الشانء . ان هو الا غرسة  
عين ابينا وصنيعتك . وانت من ابقاه في سمة انتدبه لها المهدي . أما وكلته  
بي يثقف أودي ، ويشق لي الطريق القويم ؟

فابتسم الهادي ابتسامة تنهد الى الملائفة . وقال برفيق نبوة: هلا وهبته  
لي لبعض الزمن ، يا هارون ؟ ... لن تلمّ به غاشية . الا اني احاول  
ترويضه بما لا يفسد بيننا الالفة . فهو من اعداء وحدة هذا البيت ، كأن  
شهوته ان يرتع في خصومتنا . أفما تراه يلتس لنفسه الرفعة بالتاجرة  
باكفاننا ؟ ... ما دمنا على انفصال ، فهو صاحب الرأي والمشورة ، المنتفخ  
الصدر زهواً ، والمعن في حبك الدسيسة . واذا ما اتحدنا هان شأواً ،  
وضاق سعباً . على اني سأعلمه ، وهو يرسف في اغلاله في المطبق ، نبل الروح ،  
وكرم المهزة . فلا تقلق عليه . وحق جدك المنصور ، لن تصاوله داهية !  
فاعلن الرشيد : ولكني ، وقد اقبلت واياه ، يا امير المؤمنين ، يعزّ عليّ  
ان ارجع الى صرح اساس وحدي . فإما ان تسجننا معاً ، وإما ان ننصرف  
معاً ناعمين بمملك الوسيح !

فضحك الهادي بمخضّل البشر . غير انه بشرّ لا يخلو من مصانعة ،  
وقد اراد به ابو جعفر التخدير . وألقى يده الى كف الرشيد وقال : لا  
عليك . لن تطول اقامته في سجنه . أفلا تبيح لي ان اطهره من ارجاسه ؟ ...  
هي ايام قلائل وستلقاه بعدها لديك !  
فرهب الرشيد ان يعود الى أمه عاطلاً من يجيى . فما يكون من

الخيزران وهي تبصره ينكفئ اليها على رجل واحدة، مخذولاً، اقطع؟ ... فلم ينل حظوة الاعتصام بولاية العهد، ولو لمحدود الاجل، ولا تفهقر عن البلاط سليماً من المعاطب، وقد ابقى في قبضة الهادي مؤذبه يجيى. وعاد يسترحم. فاقصاه عنه الخليفة بخالب القول، وبمطول الوعد. واضطر الى الانصراف على خيبة. فماذا جاء يفعل في البلاط؟ ... ما كان له ان يجاري البرمكي في الاجابة. والبرمكي جنى على نفسه، وقد امسى في المطبق، ذلك المعبس الرابع، ولدى السماع به تنهدت العزائم، وتنخلع الافئدة. وجنى على الرشيد، وهو يسوقه الى الخليفة ليجرّده عفواً من ولاية العهد، كمن يمدّ عنقه طوعاً لنصلة البئار. والخيزران رقت هذا الانتقام الاسام، وابت على الرشيد ان يدرج الى اخيه. ولكن يجيى انتصب كالقضاء، يمانع في ان تعاني كلمة يذيعها الامتهان والفشل. آه، كم يجهل ابن برمك ما ينضح به البلاط من اخاديع، وقد حفل بلبابة وحسنة!

ودلف هارون، على ارتباك، الى صرح اساس. وودّ لو كان هذا الصرح بعيداً فلا يبلغه، وهو الملمّ بما سوف يصدمه من نقبة وبغضاء. فلن تبقي الخيزران على شتية الا وتلطمه بها. وليس يجهل امه. فالخيزران اذا فارت اشبه بالزلزلة. فتكسف الارض، ويفور الفلك

واحس بالوهن يعتريه في رجعته الى صرح اساس. فاخذ يقدم رجلاً، ويؤخر اخرى. ويجتهد في تقصير خطوه كي يطول المجال، ويبعد عنه مرأى أمه الغضوب. وضلّ عن قصده في حمى من الدهول والحشية، كأن في رأسه أتوناً يتضرم. بم سيخاطب الخيزران لاطلاعها على الفاجعة الرمداء؟ ووقف بباب الصرح وقد حرنت ركبته. فلن يمثل في حضرة أمه بمزق

الكرامة، مبدد الهمّة . وبحث عن عذر سديد يتقي به حنق السيدة الاثيرة . فكيف يدراً عنه الغضبة القاصمة ؟... والخيزران كانت تنتظر ، على غصة ، عودة هارون ويحيى ، ولا تؤمن بنجسهما . فهي على يأس من بقاء الرشيد في ولاية العهد ، مع كل ما يعلله به اخوه من منى ، لم تكن ، في عرف الخيزران ، غير طبخة خادعة من صلب الحصى . ولاح لها الموكب يعود ، وقد استقرت باحدى شرفات مخدعها ترقب اطلاله . وانحنت لترى ما يتقد في الاسارير من بوارق . أتظرب الخيزران ، أم تتلف ؟ ... وراعها ألا تبصر إلا هارون . فانسلخ وحده من الركب ، وحبا الى مدخل الصرح متضعماً ، كالأعزل في غزوة . ألا ابن يحيى ؟... وانتفضت السيدة الاثيرة . وهفت الى الباب وكل ما فيها على حيرة وجزع . وصاحت بملء صوتها صيحة مرعوبة ، دلت على ما تعاني أم موسى من وهلة : ألا ابن البرمكي ، يا هارون ؟

فتلجلج . أياصارعها بمقر يحيى بن برمك ، ويحدثها بما نالها من قسوة الهادي ؟ ... ونظر اليها ، مشدوهاً ، وقد عصاه البيان . فتبينت في ناظره النكبة الصاهلة . وصاحت هالعة : ألا اطلعني على امره ؟ ... هل بطش به موسى ؟

فظل راسباً في صمته ، كأنه اضاع النطق . فصرخت به وكل ما فيها على احتدام وذعر : ألا ما بك كالجماذ الاصم ؟... هلا تكلمت ، وزحزحت عني الوهلة ؟

وودت لو انسلت فوراً الى جنازه تكشف عن سره . فمطمط بمنجل ورهبة : نقض الهادي ما ابرم . فما كدنا نقف بين يديه لمعالنته النزول عن

حقي بولاية العهد ، حتى اذاع فينا انه يؤيدني في خلع الولاية عني ، ولكنه لا يعهد اليّ فيها ريثما يتعرع ابنه جعفر. مخافة ان نكون استندنا في التخلي عنها الى رؤيا المهدي من طول عهدي بالحكم ، وقصر عهد موسى . فتصانعه لتظل سادة الموقف . ويدركه الموت ونحن ارباب الامر . فينتهي البناء الحل والعقد ، وكأننا لم ننفذ منا الحق الاثيل . وتضعب على جعفر السدة العليا . فابان يجيى خطل الرأي . فغضب الهادي ، وندد بجيى ، واتهمه بالزندقة والزيفان والافساد . ودفعه الى المطبخ !

فزعت ولم تكن تتمالك لشدة غيظها وذعرها: هل دفعه الى المطبخ?...  
ويحك ! ... أتهدّي ، يا هارون ؟

فتمم بذلة والتياح : لا هديان ، يا أماء ، بل حقيقة فاختة . يجيى بات في السجن . واتي لآخاف عليه من اذى الهادي . فما اجابني الى الافراج عنه وانا اسأله فيه . بل دعاني الى التريث لبعض الحين . ففي نيته ان يكسر شوكة العداة في جيى !

فهزت الطعنة الخيزران وحطبت اضالعا . واحتدمت فيها سورة الخنق ، واستأسد فيها الوجل ، فساد الشعوب بحياها . ان حجب البرمكي عنها لتدويخ لها . فتضعب في تدبير شؤونها ، وتبيت هزيمة القدرة ، مرضوخة العصا . وتولاها العمي ، كما تولى ابنها . فالمصاب عقد لسانها وأذلها . ويجهد استطاعت ان تستوضح بكلام عليل ، مكفر : أيكون جيى في المطبخ ؟ ... واريلاه !... قسم الهادي بهذه الضربة ظهري . ألا من هتجه علينا بعد رأفته بنا ؟

ودنت من الرشيد تقول بشبه انهار في عزماتها : عدمت أمك .  
أرأيت مبلغ انتقام اخيك منا ؟

وشاع في صرح اساس نبأ اعتقال يحيى اليرمكي في المطبق ، فارتجّ الصرح، كأن احدى العوادي الشداد صبّت عليه مراهبا. بل كأنه فوجيء بصاعقة احرقت ودمرت وروّعت ، لا تبقي على حلم ، ولا على دعامة . ووقف الجميع واجبين لا يفيضون بنأمة. وشعرت الخيزران بوهن في همتها، فدعت اليها عتبة تتكىء عليها ، كما تتكىء على الرشيد. وماجت في الصرح غمفة ناعبة تعلن : أصيبت ذات الجلالة بشبه غيوبة ا

والخيزران بلغت مضجعها لتنبطح فيه ، كفضن كسرتة العاصفة. وتعالى اينها كأن الداء فتك بها . وانطقات فيها جذوة الابانة . فعصف الرعب بجميع من يظلمهم الصرح ، وخيم عليهم كابس البحرين . فهم حبال رزيثة غاشمة . على ان هذه العانية، المهيضة الذراعين والرجلين ، الشلاء اللسان ، المحتضرة ، ما لبثت ان زحزحت عنها شبح الموت ، ووثبت من فراشها تصبح بمستطير الضفن: ولكن موسى لن يريح في المصاولة. بل سوف يندم على ما يكلفنا من ارهاق . نحن لن نموت ، والروح ملء الوهج فينا . فالموت للمعتدي العاق . ألا سوف ترى من ينهدم منا ، يا موسى !

وما كانت في هذيان محموم . فالانقلاب من العلة الى البرء تجلّي فيها ، كأنها تجتاز اعجوبة. فعادت فجأة الى الزهو والوعيد، كما كان شأنها في اوج سلطانها. وتعجب جميع من حولها من هذا التبديل الرهيب. أتكون اقوى من الداء والعياء ؟ ... أما تذمها الخطوب على احتدامها وغنفا ؟ ... ورنّت اليها العيون متهيبة مرتاعة. وظل السهو سائداً، وقد شعر القوم بانهم حبال الخوارق . فتفتحت الشفاء دون ان تجود الالسن بنطق ، وليس في جميع هؤلاء المبصرين من لا يؤمن بالمعجزة. ومضت الخيزران في تهديدها تقول :

وقعت الواقعة ، يا بني أُمي . ولم يبق علينا الا ان نتشابك في معركة تحرق  
الاحياء ، كأنها تقضض في هشيم . فالويل لموسى ا

وحثت على اضرام الفتنة . ستندلع من صرح اساس لهبة تصوح البلاط  
ومن فيه ، لا ترعى حرمة للخليفة ، ولا لنسائه واولاده . وشعر الناظرون  
الى أم موسى بان الخيزران لن تذهب ضحية مبتذلة . فستكافح الضيم حتى  
آخر نسمة بين حوانبها . وتكلمت عتبه ، فقالت بحماسة غضبي : لا يزال  
في هذا المعقل ، من دنيا العرب ، بأس وشمم لا تلوى لها هامة . فمن  
وهب لنا عز الامس فما يتفك ينفعنا بالمناعة ا

وسكت الرشيد . ما حاول اتقاءه تسمى أمه لاشعال ناره . فالتنافس  
في الجاه والسؤدد يقضّ المضاجع ، ويؤرث بين القصرين . ولكن أيشهد  
الرشيد المعركة ؟

خطر له ان يرحل عن بغداد في جولات شواسع ، في اطراف البلاد ،  
يلهو فيها بالصيد ريثما تنجلي القمامة الفاحمة . وليصقّر الهادي ولينقر ما شاء .  
خلا له الجو . الا ان الرشيد حاذر ان يفضي ، على مسمع من أمه ، بما في نفسه ،  
ولن يسلم من سخط الخيزران . فهي تريده رجلاً لاخشي ، حتى اذا ما احتدمت  
بينها وبين الهادي ، كان الرشيد فارس الرهان

وتعجبت من هذا التقهقر في هارون عن اخيه ، وهو من هزم الروم  
في حربين جارفتين . أيججم المقدام ؟ ... على انه اذا ججم ، فلن تهون هي ،  
ولها من صلابة جأشها ما لا يقرّ بانكسار . ستفرغ الى كل حيلة في محو ابنها  
البكر . ولن يلومها اهل النظر ، وموسى ينتهك فيها رهبة الجانب ، وشيوخ  
الناصية



واطرقت تفكر في ما تعتمد عليه من عدّة في النفس . ولم نجد غير السم منقذاً من الدهمة . فتوفد الى موسى من يطبخ له ، في قدر الطعام ، الموت . وصهلت كالجواد في معترك الاسنة : اليّ ، يا عبّة ! وارادتها على خلوة . ستباحث واياها في ما تقرّ من تدبير . ولن تعدم من يلقم الهادي المنية ، وقد بثت في البلاط العيون على وفرة . وثمة من يحسبهم الهادي من الخلتص ، وهم جواسيس عليه للخيزران

قالت السيدة الاثيرة تعالن عبّة ، وقد ضمتهما حجرة خالية ، أحكمت الخيزران ايضاد بابها : لا غنية عن الفتكة الحاسمة ، يا عبّة . هلا دعوت اليك أمة العزيز ، جاريتنا في بلاط المهدي ، فنبلغها ما ننوي ؟ ... هي نفسها ستدس السم ، ولها مني جائزة ترفعها الى ذروة الرغد . سيروي اليها واطلمعها على اللبانة . بل اوفدي اليها من يهوس في سمها انك تحتاجين الى محادثتها في امر جسيم . وليكن لقاءكما في دار نائية ، من دور انصارنا . فلا تبصر كما عين . واليك بالسم . ما على أمة العزيز الا ان تصبّ بضع قطرات ، بما في هذا الحقّ ، في طعام الهادي . وعلى موسى العفاء !

ولم تتلعم الخيزران وهي تحرض على البطش بابنها . ولم ترهب . كأن هذا المنبتق من احشائها ليس منها . وكأن في موته فرحتها . فقالت عبّة وهي على دين مولاتها : سمعاً وطاعة ، يا ذات الجلالة . رسولنا الى أمة العزيز يرقب ايماءة . سأزجيه على الفور الى البلاط . وسألقي في العشية أمة العزيز حيث تعودت ان اراها !

فتنازلت الخيزران من صدرها حقاً صغيراً ، أعدته للحواسم . وألقته في بين عبّة دون ان ترتجف يدها ، وهي تقول : لتكن الحكمة رائدها . فلا

تعرضنا ولا تعرض نفسها للفضيحة . فالموقف يفرض السرعة والحذر !  
قالت عتبة بثقة غلابية : لنطمن مولاتي . سيجري الامر على هواها !  
وأخفت الحق في عبها ، وهي تعاهد الخيزران على الصدق في الوكد ،  
والنجع في المسمى . وانطلقت الى من تعودت ان توفده الى أمة العزيز  
تدعوه الى التسربل باطمار ذوي الحصاصة ، والنفاذ الى قصر الخليفة مدعياً  
الرجم بالغيب . ولا بد ان تبصره أمة العزيز وهي تعرفه ، فتناديه ، وتخلو  
به فيطلعها على رغبة مولاتها

وفي الغروب كانت عتبة تلقى أمة العزيز، وتذيع فيها مشيئة أم موسى.  
فارتجفت أمة العزيز حيال العبء الفادح، وتمتمت بوهلة: أنطلب مني السيدة  
الاثيرة الفتك بامير المؤمنين ؟

وما أوتيت القدرة على اداء الكلام ، وقد طاو لها العمي ، وشاعت في  
قسباتها الصفرة . اي مهمة كاسحة فتندبها لها الخيزران ؟ ... ولماست فيها  
عتبة الملح ، فقالت ببسمة تحيي بها المهمة الخائزة : هل تعدوك المهمة ؟ ...  
ولكنني اعرفك ذات مضاء . فاين ما كنت تتباهين به من وسع ؟ ...  
أنحشين سوء المعبة ؟

فنظرت اليها أمة العزيز نظرة من تضطرب فيه الروح، كأنه على اصفاء.  
وقالت وهي تغصّ بريقها : أيجنى عليك ما تفوض اليّ السيدة الاثيرة من  
رهيب الجهد، يا عتبة ؟ ... ألا ما يكون مني وقد انكشف امري، وافترض  
سري ؟ ... اي عذاب جائح ألقى ؟ ... سيتفتن ارباب القصر في الانتقام  
مني بما لم يسبق لذهن ان ابتدع من ضروب التنكيل !

فلم تتقشع بسنة الاغراء عن محبا عتبة . قالت : ولا تنسي اي نعمة

ستبغثين فيها وقد فزت بالارب. فالخيزران ستهب لك من الوفر ما تنوين  
 به . فيحالفك السعد ، وتفوصين في البهجة . لم تدخلي القصر لسوى العمل  
 برغبة السيدة الاثيرة . وهذه احدى رغباتها . فما عليك وانت تقدمين على  
 تحقيقها?... اذا كنت ذات اقتدار ودهاء، فليس من يدري بك. وستضربين  
 ضربتك وتتنصلين منها . وبوسعك ان تنوحى على الهادي، وقد اوديت به،  
 شأن حسنة في المهدي . اذاقته السم وملأت الارض لولة تفجعاً عليه .  
 وربما نالك من الحظوة ما تستمتع به حسنة نفسها . فيتزوجك الرشيد ،  
 وتستقر بك القدم في حرم امير المؤمنين . فإن تكوفي ذات طماع، فاجيبي  
 أم موسى الى ملتسها . انت حبال وجهين. إما اليمن الاوفى، وإما البؤس  
 الاسام . والا بقيت كما انت. جارية مغمورة، محبوسة على زريّ الخدمة !  
 ووقع مقال عتبة من نفس أمة العزيز موقع الاغراء . فومضت عينها  
 ببارق الحيرة ، ولكنها ما خلنا من دفة المواءمة . وتقاسمها الخوف  
 والطمع . فاذا رفضت مطلب الخيزران، هانت. واذا اخفقت في صبّ السم،  
 دهمها الموان. فلن تنجو في الحالين من مييد المكروه. على حين اذا توفرت  
 على رضى السيدة الاثيرة، وافلحت، فاليسر مكتوب لها. وقد تبلغ ما تحتلج  
 به نفسها من منى . قالت والآمال تزدحم في اعماق الضمير ، وتطفى بعض  
 طفيان على فورة الوسوس: ابلفي السيدة الاثيرة، يا عتبة ، اني ساكح  
 في شهوتها. هاتي الحقّ. سأتكلم في امري على القدر. فاذا ادركت المرئجي،  
 فلي من حسن حظي ما يجلع عليّ الانس. والا انتهيت الى اسوأ ما ينسكع  
 فيه ذر شقاء وحسرة . سأخطو خطوة مكتوبة عليّ ، يا ابنة أمي ، فلا  
 حول ولا ...

فسرّ عتبة ان تبلغ من أمة العزيز مكن الاقتناع . قالت : لا اراك في خطر . فاذا اتقيت بصيص العيون ، فانت سالمة . كوفي من امرك على يقظة ، وليس لبال ان ينالك بظنة . فان للاقدار يداً تسعف في الشدة . ولا احسبك تذريرين وقد ارتقيت بجذك الى اخدار امير المؤمنين ! فسكتت أمة العزيز . فالمهمة الثقيلة العبء ، الرهبة التبعة ، مالت بها الى التفكير الشاقّ . فهي في ذهول عن نفسها . بل هي في خوف من نفسها ، وستندفع في وثبة مجهولة العاقبة . فإما تبلغ بها القمة ، وإما تفرق في فعر اللجة . بل في لجة لا فرار لها

وانفصلت عن عتبة على اطراق شفّ عن خاطر شتيت ، وذهن تعبان ، احست بها انها مكروهة على امرها . فليس لها ان تعاند الخيزران في الامنية ، والا لقيت حقتها، حتى وهي تعتقد انها من الامن والطمانينة في امنع مقام . كأن الملكة ترقبها اني مالت . وكادت تضع عن طريقها لفرط ما ساورها من مخاوف . كيف تدس السم للهادي ؟ ... أنلقه في طعامه ، أم تمزجه بشرايه ؟ ... أتغفل الطهارة، وتصبّ القطرات القاتلة في قصعة الخليفة ؟ ... ولكن قد يأكل من هذه القصعة كل من جلس الى مائدة ابي جعفر ، فهل تقدم أمة العزيز على محوة جارفة ؟

ودخلت البلاط متجهمة المعيا ، مرتعشة الخطوة . انها لمدعوة الى زعزعة ركن دولة ، وتبديل مسير الزمن . على انها ، مع كل ما يمتلج فيها من بلبله ، ما استطاعت ان تحيد قيد هذب عن شهوة الخيزران . وما غاب عنها انها مجبرة على الامتثال لطلبة السيدة الاثيرة ، وانها اذا افلحت فالخير أجبرها ولم تكن نجعل طهارة القصر ، وقد توسمت في رئيسهم الحنين اليها . فهو

يسمى حُطْب مودتها ، وفي عينيها السوداوين ، الواسعتين ، ما يتمثل به  
ظبيات الصحراء . وكذّ في الازدلاف اليها . وانشدها فتبتق الشعر . الا  
انها حبزت عنه الصبوة . فلن تبذل نفسها لحادم ، وهي بغية امير المؤمنين .  
فكان يجد الهادي في انوتها الريتا ما يهيج فيه الشوق . فيرشف الوجد من  
ناظرها الدعجاوين ، كأنه يقع فيهما على مبعث فتنة

وهي ذات رقة وغنج . الا ان الحُبث المنشور فيها لا يبيح جلبيها  
الركون اليها ، وملامسها اللينة تقبطن الانياب الحداد . والهادي ، مع شغفه  
بها ، اتقى فيها عضات المكر . فيهتف بها وهي تتودد اليه : والله ، ان  
عينيك لتجمعان الضدين ، يا أمة العزيز ، وفيها الروعة والغدر . فاني لاستنشق  
منها عرف الصبابة . واخشى عمقهما وليستا تستقران على ولاء . فكأنك من  
فتة الثعالب ، يا فاجرة !

فتضحك حتى لا تكاد تفتيق . ويدغدغها الهادي فتزداد ضحكاً . وتبيت  
كتلة مائعة لا تتسك . وتجاهد في البيان وقد ثابت الى رشدتها : عفو مولاي  
عني . انه ليظلمني في سوء ظنه بي !

ومن كانت في هذا الموقف السامق من الخليفة فلن تلقي قبادهما الى رئيس  
طهارة . الا ان حاجتها اليه نزعته بها الى المسألة . فهي باضطرار الى استعدادته  
على امير المؤمنين ، بل الى الانتفاع من غفلته للقضاء على الخليفة . فان  
ولية نعمتها ، الحيزران ، لتقدر عليها اختلاس روح الهادي . وستختلس أمة  
العزيز هذه الروح ، اجابة لالتباس أم موسى ، المالكة منها الناصية ، والمتلاعبة  
بها كمصفور مقيد بحيط ، تتجاوزه يد طفل حرك

ونادت أمة العزيز رئيس طهارة القصر تقول بفضاض الغنج : ماذا

اعددت لنا اليوم من فاخر الحلوى ، يا ابن سكباجة ؟ ... أليس لديك ما يروق العين والغم ، من شهية مأكّل ، وطيب فاكهة ؟  
فادهشت فيها هذه الطلبة المعسولة الاداء، الحيلة الرنة، رئيس الطهارة، وما عودته اياها أمة العزيز، المسرفة في الصدّة والدالّة. فهتف بنبرة من مرح: ولكن اذا خلا القصر، على روجه، من الطعمة الزكية ، فسأعدّ لك منها ما تبتهج به نفسك . بروحي انت من روعاء خلوب . الا ان لديّ طبقاً من الفطائر جهزتها لامير المؤمنين . فاذا شئت ان اجيئك ببعضها فعلت، وانت الغافّة. ستدرकिन منزلة ابن سكباجة وانت تذوقين فطائره اللذيذة . فمن المعال ان تكوني وقعت على هذه المنعة. قليلاً واعدود اليك بما يملأ شهوتك، ويميل بك الى الرضى عن هذا المجفوف ، المستमित بمودتك ، والراجع عنك بالاخفاق والمذلة !

وهمّ بالانطلاق الى البغية . فنادته أمة العزيز بحدة : يا ابن سكباجة ، لا تتعب نفسك في حمل الفطائر اليّ ، وساجري الى التهامها في وكرك . اني اللاحقة بك فوراً !

وهزت اليه ركبتيها، فصاح: ألا مرحباً بالكوكب الزاهي بنير ظلمات أنسكع فيها !

وما ابطأت في اقتناع مخدع الطعام ، ويدها نجسّ حقّ السم . ستنتر قطرات الموت على الفطائر ، وتحقق رغبة الخيزران في نسف امير المؤمنين . واقبلت على الطبق ببسمتها القانصة ، تذيب باكبار حفيّ : انك لسيد من أعدّ طعاماً ، وارضى معدة ، يا عطاء. فانت تهب عمراً آخر لمن تجود عليه بلذوى اطايبك . سلمت يداك ، ودامت ايامك . ان امير

المؤمنين لهي الروح ، وهو ينعم من يدك بالأكل السين ا  
واكتبت على طبق الفطائر تلتهم باعجاب هذه المبعونات المقلية بالسن ،  
الطرية ، المحشوة باللحم والصور . واتسعت في فم عطاء بن سكباجة ،  
رئيس الطهاة في قصر الهادي ، ابتسامه حقاء ، لفرط ما انطوت عليه من  
مبعة الافتتان والصبوة . أمة العزيز لانت في مخاطبته ليناً فيأحاً تكاد به تسخر  
عليه بنفسها ، وقد اصلته بعد جفاء . وتمتعه هذا الانقلاب الموالى فيها . فقال ،  
وهو لشدة فرحته لا يكاد يجيد البيان : لست ارى من هو أحقّ منك بهذه  
الصفايا . كلي وابتهجي . فالرائع للرائع . والشهيّ للشهيّ . انت خير من  
يدرج في هذه البسطة من ديانا ، فتمتعي بما جادت به عليك نفعة الدهر !  
فاكتفت بان تضحك ، وبان نعمن في اللتهام ، كأنها على ناهش جوع .  
وظلت مخضبة المحيا ببسمة المرح والدلال . واذا بها تجلجل : ولكن ابن  
الماء ، يا ابن سكباجة ؟ ... أفطائر تهيج العطش بافواؤها الحرار ، ولا ماء ؟  
فنبز : حباً وكرامة ، يا سليلة السحرة !

وانفتل الى ابريق الماء بلاءه ، ويعود به الى الجارية المخاتلة . وكانت أمة  
العزيز قد رشت السمّ على الفطائر ، حتى لم تبقى في الحلق قطرة . واخفت  
الحقّ برشاقة في عبها يتوسد مكانه ، وهي تجيل عينيهما في ما حولها ، وتتنفس  
عالياً بارتياح . ما من عين رأت . وضحكت لعطاء وهو يرجع اليها بالابريق  
الطفعان . وقالت بمازحة ، آسرة : في عينيك بريق تحرقني ومضاته ، يا عطاء .  
أفتكون بهذا المقدار على جنون بي ؟

فصاح : وحق من يراني من عدم ، اني لاجد السعادة في نظرة يتكشف  
لي عنها كحيل اهدابك . فكأن الحياة لم تفضح لي سرها الا وقد رنوت

اليك. الا انك بالفت في تعذيب هذا المستهام، حتى لكأنك تستحلين دمه.  
فاشفقني على عبدك !

فتطايرت في سماعها فقهة جمدها قلباها رعباً ، وقفـت شعر رأسها  
هلعاً . وأطلت عليها وجه ساخر ، مخوف ، ما بصرا به حتى تلاشت فيها  
كل عزيمة ، وران عليها الاصرار . وفتحا فمهما بارتباع ، وما كانت  
أمة العزيز لتقوى على ابتلاع آخر لقمة قضمتها . واتسعت الاعين وهلة ،  
وارتجفت الركاب . وسقط من يمين ابن سكباجة الابرئق فتحطم . فاشتدت  
السخرية بالوجه الناقم، المخوف. وجهر بنبرة قفضت لها عظام الجارية ورئيس  
الطهاة : تابعا ما بدأنا من مؤانسة . فما بكما تغوران في الوجوم ؟

فاحس كل منها بان الروح على وشك ان تلتوي عنه . وايقنا ان الموت  
ارحم لها من هذه الوقفة الماحقة . وشزر الوجه الرهيب أمة العزيز بعينه  
الشرستين مدممات عليها : أأنت على غرام بعباء بن سكباجة ، يا كريمة  
النبعتين ؟ ... والله ، لقيت غطاءك . ما اراك الا من هذا العجين . لو  
ابلغتني انك منه على هوى لعقدت له عليك . ولكنك تداهينيه كما تداهين  
مولاك امير المؤمنين . الا ان زيفك وضع لعيني ، ومزق عنها الستر . بل  
انا احرفك حرباءة ، لصة ، يا ابنة الفاعلة . ما نغشت في حجري الا لتخدعيني  
وتغدري بي . انت جاسوسة الخيزران عليّ ، حلت بك النعمة . فماذا  
رشت على هذه الفطائر من حُقّ اخفيته في كحك ؟ ... ابصرتك بعيني .  
هاتي الحُقّ . هاتيه والا سللت روحك . أتكيدني لي وانا على ركون اليك،  
فاطمين الى نذالتك وانت لا تحرصين على عهد، ولا تتصونين عن كفران ؟  
روثب اليها يقبض على شعرها صارخاً بها بزجرجة الضواري : ابن



الحقّ؟ ... هاتيه ، والا فالمرت يشويك . كنت بالباب وانت ترطين هذه الفطائر بما لست ادري ما هو !

وكان الخليفة بنفسه ، موسي الهادي . جال في مقاصير جواربه طلباً للعبث ، فلاحته له أمة العزيز تندفع الى مخدع الطعام في اثر رئيس طهاته . فمال الى معرفة ما هما فيه من سعي . بل وقف حبال مشهد بعث في نفسه الغيرة ، فاستطاب هتك الخفيّ . وما ندّ عنه انهما يتجاذبان الاثم وهو يسمع ما يتبادلان من حديث الهوى . فان في نفس عطاء لاشياء من الجارية ، وقد وقعت منه . وزوّى الهادي ما بين عينيه . أنخونه أمة العزيز لتهوى حقيراً في قطع خدمه ؟ ... أنتطوي عن خليفة تسبح بحمده الارض ، لتعشق خادماً لا يرتقي ، مها تطاول ، عن طهي الاطعمة ، وغسل الصحاف ؟ وبلع امير المؤمنين ريقه ، وقد ضاق صدره بانفاسه . وسمع أمة العزيز تطلب من رئيس الطهاة شربة ماء ، بنبرتها المغناج ، الخليفة . فهدق اليها بباصرتين تلفظان الجمر سخطاً وتنديداً . غير ان أمة العزيز ما كانت لتروى الى الباب ، وقد تناولت ، عجلي ، الحقّ من عبها ، ونثرت ما فيه على الفطائر . فاختبأ امير المؤمنين حيث تبدو له ، ولا يبدو لها ، ليتبين ما تقدم عليه من نكر . وما غاب عنه انها دسّت له السم في الفطائر ، وهي واثقة ان الاكلة صائرة اليه . وانتظر ريثما اخفت الحقّ في كمها ، وعاد اليها عطاء بالابريق . ففاجأها بتلك الغضبة الشادخة ، يشقّ بها كبديهما ، حتى خيل اليهما انهما اصبحا نهياً لحشرات القبور . وسقطت أمة العزيز الى الارض وامير المؤمنين يقبض على شعرها . ونزعت الى ابتلاع الحقّ . ستودعه احشائها ، ولا بأس ان تتزق هذه الاحشاء وتقضي أمة العزيز على حياتها بيدها .

فالموت نازل بها في كل حالة . لتقتل نفسها قبل ان يبادر الهادي الى الفتك بها . غير ان امير المؤمنين ابصر ابن اخفت الحقّ، وفتن الى سعيها لابتلاع اثر الحيانة والغدر . فهوت يماه الى يدها المسكّة بالحقّ لاذرداده، وانتزعه منها هادراً : هل اغرتك الخيزران بدمي ، يا منتهكة الحرمه ؟ ... والله ، لاقتلنك بسلاحك . قومي الى هذه الفطائر وكلي منها . فاذا سلمت من الغائلة، فانت حرّة لوجه الله . والا فتكون نصلتك قد غرزت في فحرك . ما عرفتني رحب الصدر كما ابدو الساعة . انهضي وكلي بما عطرتِ او دتستِ . ربما ظننت بك الاثم وانت منه براء !

فتعالى انبها . وما برحت مكبّة على الارض . لا تجرؤ على الالتفات الى الخليفة . وادرك الهادي من وعدتها ، ومن برودة يدها ، انها غير ناصعة البال . فرفعها اليه بشدة . وأمال بها على طبق الفطائر صارخاً بها وكل ما فيه على احمرار نعمة ، وكلوح بال : هلا أكلتِ ؟ ... إما الفطائر ، وإما هذا السيف !

وهدها بحسامه بشهره عليها . فأثرت الموت بالسم . وامتدت يدها الى الفطائر تبتلعها برغبة عزوم في الخلاص من جحيمها . فلم يبق لها في لوح العيش وسعة . وأكات بسرعة ونهبة ، كأنها باتت لا تطيق البقاء بعد اقتضاح امرها ، وظهور مكيدتها . فنظر اليها الهادي مدهوشاً . أياكون الحقّ خالياً من السم ؟ ... ألا كيف يطعمها فيها في التهام الملكة ان تكن الفطائر تبطن الردي ؟

وما برح الخليفة على دهشه ، وقد وقفت عيناه الجاحظتان على الجارية المقبلة على مضغ الفطائر بلا تؤدة . فساوره شتات فكر، واضطراب ضمير .

وحاول الكلام فبلي بالمى . ماذا له ان يعلن ، وان يستوضح ؟ ... خاف ان يكون اذاع نمة باطلة افترى بها على أمة العزيز ، وان يكون الحق حوى طيباً لا ساءً . وهذه الرعدة في الجارية ربما كان مصدرها الحشية من غيرة امير المؤمنين، وقد فاجأ جاريته في وقفة تبعت على الريبة ، لا الرهبة من دس السم في الاكلة المصطفاة ، وقد هام بها كايه . فهل يموت بها كايه ؟ ... وانتظر الهادي لاتعلو له نامة، بل هو لم يتنفس بسوى جهد. فضاقت عنه صدره ، ولم تتسع الحنايا لكل ما يعرض للخليفة المشدوه من الاحاجي وظل يجهد الى أمة العزيز، ويرقب ما يجلب بها. أياكون بطيباً هذا السم فلا يصعق فوراً ، ام ان لا سم هناك ؟ ... ولم يلتفت الى رئيس الطهارة المرتمي في الارض يودّ لو ينطفىء في العدم. فمن هذا المغفور المزدري ؟ ... وأمة العزيز امتنعت من الكلام ، وقد سُئلت عنه حنجرتها بابتلاع الفطائر ترجيها الى امعاتها، بلا رفق. ولم يجد الهادي بدأ من قولة يعلنها، فاستطلع: يشوقني ان اراك ذات معدة لا تسبب النخمة ، يا أمة العزيز . عوفيت . اصبحت اخشى منك حتى على الطبق . والله ، ما ادري ما يجب اليك هذا الشره . لكأنك قضيت عاماً على الطوى. ألا اخبريني، أيجيد ابن سكباجة اعداد الطبيبات ؟

فاجابت ببرطمة: ما أكلت بنمة لسوى اقتناع امير المؤمنين ان الفطائر خالية من كل خطر . لتشلّ يميني ان تكن تمتد الى اذاك ، يا ابا جعفر ! على أن ما اطلقت من صيحة حادة ، تمور بالالم ، اردفتها بصيحات رهاف تنبىء بالفاشية ، دحض ما حاولت ان تبدو فيه من طيب سريرة . فالسم، وقد مشى في دمه، نهش اعصابها، فاحتمت فيها الاوجاع الكاوية.

وامتقع لوئها امتقاعاً فاضحاً ، رجح ما بليت به من شحوب فيا يدهبها  
الحليفة وهي تقدم على النكر. بل ازرقّ هذا اللون وارمدّ، كأن أمة العزيز  
جمرة انطفأت ، فكساها الرماد الادكن . وتغلمت وتدحرجت في الأرض  
تطلق الأنتات الناتة ، المولولة ، كأنها تتمزق . وصاحت بالهادي: اقتلني ،  
اقتلني . دمي لك حلال . ابن سيفك تغمه في صدري ؟

فجالت في شفتي الهادي بسمة صفراء ، غضبي . ودمدم على الجارية  
المطروحة عند قدميه يتشمسي ويستقصي : والله، ما است منك طرفاً بوخزة.  
سأبقيك لاوصابك تقنين فيها . هذه خير مية اختارها لك حظك الاشأم .  
اذن لقد شئت ان تطعيني السم ، يا ابنة الزنادقة . أكلتك النار، ما الأملك .  
كنت على ارياب بخلقك. الا اني ما اعتقدت انك ستستطيلين حتى تكبيدي  
لي . ألا من علمك الدسّ لامير المؤمنين، بل من زخرف لك اهلاكي?...  
أتعيشين في ظلي ، وتنعين بخيري ، ولا تتورعين عن قصف عمري?... ألا  
تكلمي ، من اغراك بدمي ، يا فاجرة ؟

فظلت على مسنون صبحاتها : اقتلني . اقتلني وادراً عني كافر اوجاعي !  
فرعد : لن انقذك بما تكابدين من لذعة الا وقد بحت باسم من حرضك  
عليّ . فمن حثك على التنكيل بالحليفة ، من ؟ ... ألا تكون الخيزران  
هذه الافى ؟ ... اوضحي وانت بمنجى من عذابك . أأست جاسوسة  
الخيزران علينا ؟ ... أما رشقتنا بك أمي ؟

فمضت في صباحها : انزع روحي من جنبي . اطمن بسيفك قلبي . انا  
لست حقيقة بان ارتع في نعمتك واحبا بفضلك . فاقتلني !  
ومانعت في بيان ما يدعوها الى الجهر به . واحرجت طول أناته فعاد

الى الاستنباء بغيظ : ولكني اريدك على الجلاء ، والا زدت في تعذيبك .  
فمن زيتن لك اجثاث جذعي ؟

فأبت الايضاح . واكتفت بصيحتها : اقتلني ، اقتلني !  
قال وما يفتأ يجاول جرّها الى مصارحته بما في نفسها ، مع كل ما  
تختلج به عروقه من نفاذ صبر : سأقتلك وانت تذيمنين في مسمي اسم من  
رما في بك . فمن هو ؟

فلم تخرج عن كتم تعصم به . لن تنكلم ونجهر باسم الخيزران . محال . فلا  
بأس ان تموت فدى السيدة الاثيرة ، وهي غرسة يمينها . واستبطأها الخليفة في  
الاعلان ، فانتفضت فيه نغمته ، وقد تلاشى في صدره كل ما تصّع من حلم .  
وصاح ويده تمسّقت بآثره : اذن موتي في كيدك ، يا مشؤومة الطلعة . لا  
دفع الله عنك مقدوراً !

وغاص سيفه في جوانحها . فاهتزت وتنفست عن اغتباط . نجت من  
آلامها السخان . وتمتت سفتها فيما تلفظ روحها : انقذك الله من أمك ،  
يا امير المؤمنين !

وكأنها ابت الا ان تكافئه على ما اسدى اليها من جميل ، وقد ازال  
عنها الشدة . فاسارت الى من ساقها الى الشر تقتمعه ، وجادت ببقوى  
انفاسها . ووقعت كلاماتها الناضحة بالتهمة الجهرية في مسمع الهادي ، ففرز  
عينيه في المنكودة ، الرازحة بجوارحها في لجة الموت ، وهو يصرف باسنانه  
حرقه وقهراً . ايمن انه كان يربي في حجره صلاً . هذه جاسوسة أمه عليه .  
فالخيزران غرّرت بها وقادتها الى بؤرة التلف لا تبالي فيها حرمة المهجّة .  
أفليس من وزن للارواح لدى الخيزران ، وليست تصون حتى ابنها من ويلها ؟

وطارت عن الهادي نغمته الجارفة على أمة العزيز ، الجارية المسوقة على  
رغمها الى النيل منه ، لتحط على أمه المستفحلة في الكيد والعداء . أمه تسفو  
به على المتالف تطيحه . وما استنكفت أمة العزيز ، وهي تودع دنياها ،  
من مجاهرته بالواقع . فافاضت بالقول الفاشي الظنة ، بل الحقيقة الراهنة على  
متأدي رحبها . ودعت للخليفة بالخلاص من شر أمه ذات البغي الجموح .  
وهذا الدعاء اوكد حجة على . كمر الخيزران ونحريضا الجاني . فغمم الهادي  
وهو لا يتأسك : ليس لي ان ابقى عليها وبين اضالعها للدنايا المرعى النجيع .  
حياتها اضعت بخطر . إما انا ، وإما انت ، يا اخبت من عرفت من بني البشر!  
وازمع القضاء على أمه . لن تعيش الخيزران ما دامت لا تكف عن  
الذس والخلل . فما اسعد بسطة العرب وقد انقشعت عن افقها هذه الغمامة  
الربداء . وانثنى ابو جعفر عن مخدع الطعام بوجه اسحم ، لا يكاد يختلف في  
كمدته عن محيا أمة العزيز ، العالقة بانياب الفناء . هذا السعي الملحاح في  
نفس الخيزران لقهره ، يدل على ما ينغش في السيدة الاثيرة من غلّ وسخية .  
فكأنها مركّبة من امهن معدن ، وفي قلبها الكبريت ، وفي لسانها النار !

انقضّ الهادي على ديوانه وفي صدره لظى ، وفي عينيه عسى . اية امرأة  
كأمة تنفجر اضطغاناً ، وتميل الى استئصال ابنها ، كي تسود ؟ ... ونادى  
امرأته لبابسة وحسنة ، ووزيره الربيع . وزجر على مسامعهم بلهجة تغلي  
حنقاً وارتماضاً : ما اعلم بما احدثكم ، وقد دعوتكم اليّ لابلاغكم ما يموج به  
القصر من دسائس وعجن . أمي اهابت بجارياتي أمة العزيز الى دس السمّ في  
طعامي . ولقد فعلت الزانية . واتفق لي ان اباغتها في محاولتها الزنيمة .  
فخدعت رئيس الطهاة عن نفسه ، وقد توددت اليه ، وكشفت له تلقأ عن  
ثناياها . ودلفت الى مخدع الطعام تنفت السم في فطائر جهزها لي عطاء بن  
سكباجة . ولو لم ابصرها في مسaire المفقّل ، وادهش من انحدارها اليه ،  
وهو احقر من نعلي ، لكنت الساعة من المالكين . الا ان غنجها ، ودالتها  
عليه ، ارجبا اليّ ان نمة خسة تحاك . فاندست في اثر الشقين ، ورأيت ما  
هاج له خاطري . نضت المستهرة عن حُوقٍ مخبؤ في كهها ، ورشت بسائل  
منه الفطائر المعدة لطعامي . فوثبت عليها اطلب الحقّ . فماندت في الاجابة  
منادية بالامانة ، وهي ترتعش رعشة المسبوع . ففضيت عليها ان تأكل من  
الفطائر كي اؤمن بصدق طويتها . فاعتكفت عليها تودّ لو تبتلعها حتى بطبقها .  
وراعتني فيها القحمة . فخيّل اليّ اني تحاملت على البراءة الناصعة . الا ان السم  
لم ينشب ان كوى عروق الجارية المالعة اللب . فتساعد انبتها وتدرجت  
في الارض تستصرخني ان انقذها من رزيتها . فعالتها اني لا اهرص فيها  
الروح الا وقد باحت لي باسم من اغراها بي . فلاذت بالكتمان . فعالجتها

بالحسنى ، فاعتصمت بصمتها . فنقد صبري وشققت اضالهما برأس مهندي .  
فاطرهما ان تنجو من اوصابها واوزارها . ومالت الى حسن الجزاء تكافى .  
به صنيعي . فاذاغت وهي تطلق روحها : « ويلك من أمك ، يا امير  
المؤمنين ! » . فزعزت تقني بالخلق اجمعين . فان تكن أمي تهبني للموت ،  
فمن لي يدرأ عني فتكات المنون ؟

فهتف الثلاثة ، وكانهم ينطقون من حنجرة واحدة : كلنا فداك ، يا امير  
المؤمنين !

على ان الهادي لم يكن يتماسك . فقدحت عيناه بالشرر . واحس بان  
كل ما حوله يمد . وتراءى له ان اجله دنا . فان تبغ عليه أمه ، فمن ينحرف  
به عن فوهة المكروه ؟ ... فجلبجت حسنة : ليست هذه بالمكيدة الاولى  
تدبرها الخيزران لاغتيال امير المؤمنين . فهل نسي الخليفة ، ادام سعه الله ،  
ما كان عرضة له من مهلكة ، يوم هجم عليه ذلك الخارجي شاهراً سيفه ،  
يروم المضرة ؟ ... فالخيزران سدده الى كبد امير المؤمنين شفرة جائحة .  
الا ان الله ردّ كيدها الى نحرها ، فبأت بالخزي والغضاضة . ولن تختلف  
وقفه اليوم عن وقفة الامس . فمن اراد لك الاذية ، يا امير المؤمنين ،  
عاجله بمنها . فليس العفو ابدأ من شعبة المقتدرين ، وانا اراه احياناً من  
عجز الحاكين !

فجهر الهادي ، وقد تشهى الخلاص من أمه : لن اكون ذلك العاجز ،  
يا حسنة . وتربة جدي المنصور ، لن تلقاني في اكرامها واجلالها من حاولت  
تسميمي . فالموت للخيزران !

والتفت الى وزيره الربيع بن يونس يقول : من لنا بمن يطبخ لها السم ،



يا ابا الفضل ؟ ... سأنهد الى قتلها بما نهدت به الى قتلي . لا ابقاني الله إن مددت ايامها . هاتوا لي من يلقيها الموت كي انجو من قبائحها . فاني لاتعجب من نفسي كيف ابصر الحزبي بعيني واتعاصى عنه ، وانا من الكارهين لكل غدر وعصيان !

فنبرت لبابة : اضحى الصبر كلالاً ، يا امير المؤمنين . فاذا طال السكوت ادر كنا الندم . لن تقف امك في المكايدة عند امد ، وستعدو كل حد في الظفر بالقضاء عليك . فعهطتها قبل ان تحوطمك . صدقت حسنة . لا راحة الا وقد نجونا من وجه الخيزران الصفيق !

وقال الربيع : عندنا من الجوارى ، في صرح اساس ، من لا يجيبنا في النجدة . فليس لنا الا ان ندعو كي نستجاب . ماذا يقدر علينا امير المؤمنين ؟ فهزّ الهادي رأسه ألماً . واعلن ببلهجة الغضبي : يقلق روعي ان ابدى ما أحنّ اليه ، يا ابا الفضل . الا ان من لم تصون عن السمي للغدر بابنها ، فليس على ابنها ان ينام عنها . ولقد كان يتعاصى عن عوراتها لو آمن بتوبتها . الا انها توبة الحية عن اللسع ، والذئب عن النهش . لن يصفو لي عيش وامي تنفس . فاستأصلها ، ايها الربيع ، كما تجثّ الدمّل ، كما تقتلع الشوك من الخلق . فلست اطيق ان يبقى منها اثر يحدث عنها . لكأن الارحام لم تلد الخيزران !

وجاد الخليفة الشاب بكلماته بمتفاهم الخلق . هذه الممتنة عليه بالوجود سينفضها منه الوجود ، وليست تتقي الكيد ونفث الويل . قال الربيع بن بونس : سنقضي عليها ، يا امير المؤمنين . فلن يطول حبوها في وسعة الخلق ، وسيخلو منها الكون ، كأنه لم يحفل بها !

فزرق الهادي بسنعت وزيره على المضاء : ألا عجل ، يا ابا الفضل .  
 كلما اسرعت خففت . لا اراني استريح الا وقد وارت تلك الدمامة في  
 احشاء العدم . وهبت لها السؤدد والاجلال ، فأبت الا ان تريق دمي .  
 والله ، لا غيبنا تحت اطباق الثرى مرضوخة العنق . لا تترددوا في الضربة  
 البكر . في هذا الاسبوع على العرب ان يسلموا بمن افسدت عليهم الهواء ،  
 وحجبت عنهم الحق . لو انصف ابوها لدعاها الحنش ، وهي الفائزة كلفاً  
 بالعض والنهش . فليست تحتل ان ترى سواها في نضاضة من نعمى ،  
 كأن خيرات الارض والسماء وقف عليها . ألا لتتشد الحقود الملام في  
 عمايتها . فانها لتجشم ما تضيق عنه . اقتلها ودما الموبوء في عنقي ، ايا  
 الربيع !

فاعلن الربيع بن بونس بانحناء الامتثال : اضحت منذ الساعة فريسة  
 التراب ، يا امير المؤمنين !

ولم يهرب الربيع مجاهرة الهادي بسعبه لتقويض امرأة خليفة ، وأم خليفة ،  
 وقد نعاها اليه . وما استهجن ابو جعفر بيان وزيره ، فيما يصارحه الربيع  
 بانه سيقتل له أمه . فليختلس روح الدساسة الشريرة ، وعفا عنه الله . قالت  
 حسنة تخاطب الربيع باطمئنان جم الى ما ازمع الخليفة من تنكيل بالخيزران :  
 أتعرف هؤلاء المتغفلات منا في صرح اساس ، يا ابا الفضل ؟

فاختلجت في فمه ابتسامة تغري بالتواطؤ ، وقال : ولكني اتكل عليك  
 في معرفتهن ، يا ذات السنى . فلا احسبك تهاونين في ارشادي اليهن ،  
 وانت تعليين اننا على وحدة في الهدف !

قالت ولم تبخل عليه ببسمة واعدة : سادعوهن الى المؤازرة ، وانصرك

على تذليل الحوائل دون مستطاب البغية. الساعة انصف امير المؤمنين نفسه ،  
وقد هدر دم الام السؤوم !

فاضطربت شفتا الهادي بالقول الرعاد: اجبنك الى ملتسك، يا حسنة ،  
فجولي في مضمارك !

وظل ابو جعفر لا يتاسك. ناء منكباها بما احتمل من أشر وضم. فدنت  
حسنة من الربيع تمس في سمعه : جئني بالسم ، وعليّ التدبير . فلن اعيا  
عن الاهتداء الى من تحسم الداء ، وتفرّج الكربة !

قال يستهل المشود : ما أيسر ما تعهدن اليّ فيه . فالسم في القبضة .  
ولكن ابن من تنفته في قلب الخيزران ؟

فاجابت ببيان لا يقلّ عن مقال الربيع ازدراء للعقات: ألا هاته لنقتل  
به فوراً عدوة الله !

وانفجرت في الفين ضحكتان قاطعتان ترشحان ببهجة الظفر والتشفي .  
فقال الربيع بن يونس : سيكون الليلة في حوزتك . بنفسي سادفه اليك ا  
ولم يخلف . ففي الغروب كان حَقّ السم يستقر بيمين حسنة ، وترحف  
به قدمان رشبقتان الى صرح اساس ، ليقتمد صدر الجارية مرجانة ، احدى  
جاسوسات البلاط على أم موسى . ومرجانة اذنت بما نال أمة العزيز من  
اخفاق وتنكيل ، وقد رشّت السم على فطائر امير المؤمنين . فهاها ما  
تسوقها اليه حسنة . أفلا يتشابه مصيرها ومصير الجارية الناهلة حتفها من  
حيث بغت على الخليفة ؟

ونفرت مرجانة الى العصيان . لن تودي بالخيزران ، والنهاية كالحة ،  
مشؤومة . غير ان مخاطبتها برغبة قاتلة المهدي صارحتها بان حسنة تنزع عن

رأي امير المؤمنين . فالهادي ينجح الى هدم امه ، ولا يتسامح في ارجاء .  
فعلى النفثة ان تسفر عن صعقة . فتغور فوراً الخيزران في بؤرة التلف .  
فارتعدت مرجانة . قالت مخاطبتها وهي من العجايز المسنونات المقلوب ،  
الغليظات الاسارير : امير المؤمنين بدعو ، فأجيبني . فالموت صائدك وانت  
تعايندين . وما هي حياة جارية ؟ ... فطرة ماء في خضم . فاملكي رشك  
واذكري موقفك . ان انت الا قصة جوفاء في سبب الريح . وبوسعك  
ان تسمي شجرة باسقة ، ذات جذع ضليع اذا حققت طلبة مولانا . فالجوايز  
الضخام تهادي اليك . وقد يعتقك امير المؤمنين ، وتستمعين بطلاقتك على  
فضفاض ذخر . واي سعي لا يرتجي ان يفوز بك وانت تملكين  
الاعلاق ؟ ... فالتفتي الى غدك !

فما انفكت تتردد . قالت : ابصرت من مات ، وليس في نيتي ان  
انظفء كالنفاخة . أفلا اقع في هذه الدنيا على سوى التعس ؟ ... ما ذنبي  
ان اكن ابنة قوم اشقياء باعوني ، وانا على مسحة من الحسن ، كي يعيشوا ؟ ...  
أجري منذ نشأتي ، حتى يماتي ، عبدة في اهواء السادة ، دون ان يباح لي ابداء  
الرأي في ما يريدونني عليه ؟ ... ألا ابن هو الانصاف ، ولست املك ثابته  
واحدة من عمري ، فانصرف فيها الى شؤون نفسي ؟ ... لست اراني حرة  
حتى في استسلامي الى مفروض النعاس ، وقد يأبى علي من يملكونني النوم  
لحاجة من حاجاتهم السقيمة . فاقضي ليلي ساهرة ، عفواً ، في ارضاء دلال سخيف !  
وبكت مرجانة . وشعرت بكاي الظلم . فلا عدل في الناس ، وهم  
عنوان الحيف . قالت مخاطبتها العجوز على استخفاف بدموع نوافل لا تمنع  
مقدوراً : لا تنهدي الى ايلام امير المؤمنين . موتك في رضاه خير من

حياتك في نغمة . بل انت لن تعيشي اذا غضب ، وسيجرفك سخطه اني  
اعتصمت . لا ، لا غنية عن الاذعان للمطلب ، يا بنيتي . انفي السم وكوني  
من امرك على يقظة . فالقضاء على الخيزران يهب لك النعيم !

— واذا اسقاني ، واوردني حنفي ، ولقيت منه ما لقيت أمة العزيز ؟  
فاعلنت المعجوز بنبرة باردة ، دلت على ما اخمدت الايام من حس في  
القلب العتي : انك لتقامرين بغيرك . فإن يخدمك حظك ، فالسعد يجري بين  
يديك . والا نجوت بما تكابدين من جور . والموت عندي افضل من حياة  
ذليلة ننفس فيها . فإما العز ، وإما القبر لمن يريد ان يستريح !

فمسحت مرجانة دمعها وتمتت : صدقت !  
وتمثلت شبح امير المؤمنين ، فارتجفت هولاً ، وقالت : لن ازيغ عن امر  
الخليفة ، وساكشف به عن غدي . فان يكن النحس حليفي ، فما اشهى  
الثراء بحفرة ، والنجاة من الضيم . حبيت اليّ المجازفة ، ولست من الرفاه  
على قلامة ظفر !

وعاهدت على ازهاق روح الخيزران . ستصبّ لها السم في طاس اللبن ،  
وهي تحمله في كل صباح الى السيدة الاثيرة . قالت : اعتقد ان الامر اصبح  
مبرماً . فلن يبقى اثر في صرح اساس لامرأة تدعى الخيزران . سلامي على  
امير المؤمنين خليفتنا وسيدنا ، وعلى مولاتي حسنة . ابلغنيها أنها ستطبخن الى  
سعيي ، ولن يهنا لي عيش الا اذا قوّضت صرح النكد والغدر !

فضمته اليها المعجوز تقبلها ، وتقول بفيض من استحسان : بورك فيك .  
انك لمثال الطاعة والامانة . امير المؤمنين ، ومولاتنا حسنة ، يرقبان اخبارك .  
فكوني ذهنأ ثاقباً ، وحذراً راجحاً . فالضربة نستدعي الدقة والاحتراس ،

والا ذهبت بالشهوتين معاً، ببغية امير المؤمنين، وبطماحك الى الرغد الفيّاح !  
فعمغمت بلهجة خشيا : اتكلت على الله !  
وحرصت على حُقّ الموت، وقد توارى بين نهديا ينعم بالرفاهة والدفء .  
واستطابت المخاطرة . ربما بسمت لها الدنيا . ورجعت العجوز الى حسنة  
تبشّتها أئبع بشرى . قالت بغمور البهجة : عوّضنا الله من سلامتكَ ، وعظّم  
اجرك . ماتت الخيزران !

فهمت حسنة : وهل رضيت مرجانة ؟  
- رضيت نعمى عينك . ولقد عللتها بوفر من الوعود، احسبك لا تتكبين  
عن انجازها !

فقلت حسنة بسخاء في البيان : لك ان تعلليها بما شئت . سوف ترانا  
كراما في الوفاء . فكل ما نصبو اليه ان ننجو من الوجه المشؤوم . متى  
تسدد الضربة الناسفة ؟

- في الموعد الداني . مرجانة تتولى في كل صباح اعداد اللبن للخيزران .  
ومن السهل عليها ان تسكب فيه السم دون ان يقوم من يفضحها !  
فصفحت حسنة بيديها . بلغت المأمول . ووثبت بمستطير الغبطة الى  
موسى ولبابة تحدّثها بما آل اليه حدقها في تنظيم الدسيسة . سنجرع الخيزران  
السم هنيئاً مريئاً ، دون ان يخامرها خيال من ظن بما ينضح به اللبن من  
كاسحة . ويموت الشر . ويستريح البال . ويقبض الهادي على الاعنة بيد  
وثقى ، قريوة ، لا يصابها نهش الحمى . قال ابو جعفر بمخضّل البشر :  
اذن علينا ان ننتظر الخير العجلان ، يا حسنة !

فاجابت الجارية الطافرة الى مرتبة السادة بدهائها السبوح : لن ينطوي

الفوز عنا ، يا امير المؤمنين . بشرانا . فالمنى ترصدنا على طفاح !

وصرح اساس نفذ الى وعيه ما تناهت فيه أمة العزيز من وبال ، وما قدر عليها الهادي من قهر . فتاهت فيه الالباب وتقلصت الجوارح . باي نار سيحرقه امير المؤمنين ؟ ... وما شك كل من يأوي اليه في ان الارض ستزلزل به . فلا يبقى منه الهادي مدماكاً . وهلمت الخيزران . وألح الرشيد في ان يبرح بغداد هائماً على وجهه في كل سبيل . ومال على أمه يندد بها صارخاً : ألا ماذا اقدمت عليه من شنيع ، وماذا سوف نلقى من قصاص ، ايها المطامع الحقود ؟ ... فالهادي لن يصفح عن الدينثة . وانه لعلى هدى في خروجه عن التؤدة . ابدى من الحلم ما ليس لنا ان نتعاضد عن ادراكه ، ولمسه . الا انك قابلت نعماء بالكنود . ما عرفت أمأ تكره ابنها مثلك . فماذا يضيرك ، وهذا القابض على مخصر الخلافة ولدك ، من لحبك ودمك ؟ ... أنكافئنه بالموت على ما نفحك به من مكرمة ؟ ... تكررت مكيدة المحور . فعلى رسلك . ابنك الرشيد اضحى كافرأ بالمعالي ، وهذه مقدماتك لرفعه الى السدة . نفسي لا تتوق الى عرش ملطخ بدم شقيقي . سأرحل عن دار يعيش فيها المكر والغل ، والسلام على ولاية العهد ، وعلى الخلافة ، وعلى السلطان والمجد . كره ضيري الاستواء على سرير ساؤدي بدله دم ابن أبي وأمي ا

فنهضت اليه بصخبها وهديرها تفرض عليه الحرس . قالت بفيض من تحقير : ما كنت على ضلال وانا ارى فيك فتاة للخدور ، لا سيدأ للعروش . فما كان لي ان ابذل لاجلك هذا المجهود ، وانت لست به حقيقاً . الا اني انخدعت بك ، فمفرواً . حسبتك رجلاً ، فاذا بك من الرجال على براءة .

ساؤدي حياتي بدل سعي لاعلاء شأنك ، وجزائي منك التنديد والامتهان .  
ألا خسىء من هم على ساكتك من الابناء . فاني لاحسّ بنصلة سيف اخيك  
الباردة تغلغل في نحري ، وتعاقبي على جهادي في نصرتك ، وانت تنكر  
جيبلي . بل توبخني كأني اسأت اليك في كفاحي لتوطيد جاهك ، واقرار  
علاك !

وابت عليه محادثتها . ليست تريد الاصفاء الى ضعيف . واقامت تنتظر  
ما سيكون من الهادي فيها . أيأخذها بجريرة أمة العزيز ؟ ... وهل باحت  
له أمة العزيز بالسر ، فارشدته الى من حرضها عليه ، واغراها به ؟ ...  
ان تكن فعلت ، فيا للرزينة الماحقة . على ان الخيزران ، مع وجومها ،  
لم تشأ ان تقف وقفة الخنوع . فالجيرة اصرت على الرسوخ في جيروتها ،  
مع كل ما سيكتسحها من ويلات . اجل ، هي من اباح لامة العزيز يدها  
في الخليفة . فالخيزران ، أمه ، مالت الى تهشبه . وماذا له ان يحاول فيها  
وقد ظهر منها السمي لنسخه ؟ ... أيقلتها ؟ ... حسب ما كان منه ، وقد  
أذلها ورذلها حتى بات من يتردد اليها مهدداً بالبوار . وان يكن يبغى القضاء  
عليها بلا رافة ، فهذا نحرها مبسوط للبتار ، فليطعنه الهادي ، وليعبّره  
التاريخ القضاء على أمه ، بعد أبيه

ولكن الخيزران لن تموت ويعيش خصومها . فلن تطأطىء رأسها للنسبة  
الا وقد ملأت الجثث المطمن العربي ، واهتز مسند الخلافة براكبه . فاذا  
دار ، في خلد الهادي ، انها ستنتلق عفواً الى منيتها ، كالتمجة المتهادية الى  
الجزار ، تعرض عليه عنقها ، فقد ضلّ ظناً ابو جعفر ، وسيعاني كل فادحة  
قبل ان يطوي أمه . وما بالهين قضم الخيزران !



وفوجيء صرح اساس بطارق ليل ملثم ، يلحّ في المثلول بين يدي ام موسى . فخاف منه من في الصرح على مولاتهم . وسألوه عن اسمه ، فامتنع من الاعلان . وجلّ ما افاض به : صديق !

قالوا بارتباك ووهلة : واي صديق انت ، ولسنا نعرفك ، ولا انت تجلو لنا خبرك ؟ ... عُدّ من حيث اتيت . فالسيدة الاثيرة لا تجيز لمن تجهلهم النفاذ الى الصرح !

فاعلن باستعطاف : افسحوا لي اليها ، وساطلعهما على الحفيّ الحطير . جئت اردّ عنها الموت ، وسافضح على مسعها نبأ مكيدة قشوش !

فما وثقوا به ، بل قالوا: واي مكيدة تعني ؟ ... هل لك في الافصاح ؟ فنبه وهو ما يزال يستعطف : ألا ارفقوا بسيدتكم . جثتم متخفياً كي يظل امري مكتوماً . فلا تلعبوا بدمي ودم مولاتكم . اريد الوقوف في حضرة الخيزران لاطلاعا على ما يراد بها من داهية . فهلا سرتم بي اليها ؟ .. اني لاعود ادراجي وانتم تعاندون في ان تشقوا لي الى ذات الجلالة ، وعليكم تبعة دما !

فهااتهم التبعة . وانسلّ الى السيدة الاثيرة من يقول ببعض لعنة ، والجبيح يخشون ازعاج الخيزران: بالباب رجل ملثم يرجو النفاذ الى مولاتي . وتعبنا في دعوته الى الجهر باسمه ، فامسك عن الابانة . وهو يقول ان بين جناحيه سراً يتوق الى نشره على مسمعك . فهل تأذنين له في الوقوف في حضرتك ، للكشف عما بين الضلوع ؟ ... صرفناه عنا ، فألقى علينا تبعة ما سيحلّ بك وانت على جهل بما يروم اذاعته فيك !

فاوجست الخيزران سراً ، وهي المترقة جائحة تجرفها . وصاحت بوهلة وبشوق

الى الامام بالنبي الشاخي : ولكن ابن الرجل ؟ ... ليقبل اليّ !  
قال الحارس : ألا تخشى مولاتي ان يكون هذا الملتم من اعوان الهادي  
عليها ، وقد زعم انه يحمل اليها سرّاً كي يؤذيها ؟

فزلت منها كلمات الحارس منزلة الموامة ، وقالت : وابن انتم عنه ؟ ...  
ان يكن يميل الى الاذى ، فاسفكوا دمه . ليقم منكم ، وهو عندي ، رهطاً  
بالباب ، حتى اذا ما ناديتكم انجدتوني !  
وحبا اليها الرجل الملتم . وظل في حضرتها محجوب الملامح وقد سجد  
بين يديها يحببها ، ويقبل الارض . ففتفت به : ألا تدري ما عليك ، ايها  
الرجل ، وانت تمثل في مقام السادة ؟ ... أمط عن وجهك اللثام ، وانتسب .  
فمن انت ، وفي مَ جئت الينا ؟

ففعل طوعاً ، مع شديد رغبته في البقاء مسدول القناع . وتكلم فقال :  
انا من ينزعون الى هذا الصرح ، وان اكن في خدمة مناوئيه . فما يعتم  
به من قدرة يشدني اليه باسباب . انا عطاء بن سكباجة ، عبد مولاتي ،  
ورئيس الطهارة في قصر امير المؤمنين !

فاستدارت عينها فضولاً ورهبة . فما يقود اليها هذا المقيم في خدمة  
الهادي ؟ ... قالت وهي ترغب في شقّ حوائيه ، واختطاف سره في ما  
دون الومضة : ولكن ما تحمل اليّ من سر ، يا عطاء ؟ ... عرفتك .  
أيكون الامر على خطورة فادحة ؟ ... ماذا لديك عن القصر ، هل اباح  
الهادي دمي ؟

فاجاب عطاء ، وقد جنح الى سرد حكايته قبل الايضاح : اقبلتُ الى  
سيدي وانا على يقين أنّي اجازف بابامي . فالجيء الى صرح اساس اضمي

جريرة لا تصان فيها الاعناق . على اني ، بعد فجعيني بأمة العزيز ، امسبت  
لا ابالي المول . فمن مات قلبه ماتت فيه كل رجاوة ، يا ذات السني ،  
وبات يجد في الفناء الهناء . فان يكن الهادي يستلذ الفتك بي ، فيا ما احبلي  
الموت . كنت على شغف بأمة العزيز ، يا مولاتي . والتنكيل بها اثار في  
كبدي الحقد . والحقد جرّني الى حيث ترين . فما اندفعت اليك لسوى  
الانتقام لقلبي العريان كاماليد الحريف ، والباكي كاوراق الحريف . امير  
المؤمنين ينزع الى ابادة سيدي . فلتتحرّز من الفواشي !

فجمدت عليه مقتلها بمحوظ . انه ليجلو لها مأرب ابنها فيها . وما  
استكبرت السعي . الا انها خشيت مضاء الفتكة . واستطلعت رئيس الطهارة  
في قصر الهادي ، وهي تكاد تغيب في رعدتها وشحوبها : ألا من ابلغك ان  
الحليفة بيّنت لي الدواهي ، يا عطاء ؟

واعتكر صوتها واضطرب . فاجاب ابن سكباجة : سمعته ، وقد قضى  
على أمة العزيز ، وابصرها تتدحرج عند قدميه متلاشية الانفاس ، يفمغم :  
« ليس لي ان أبقى عليها وبين جوانحها للدنايا المرعى الحصيب . إما انا ، وإما  
انت يا اخبت من عرفت من بني الانسان ! » . وهو يعنيك . وما تورع ،  
فيا بودي بأمة العزيز ، عن اتهامك بتعريض الجارية عليه . فادفعي عنك  
الغائلة ، يا مولاتي . فلن يقيق الهلكة ، وفي صدره نفاثات من بطش  
وعدوان ، لا يسلم من طائلتها سوى طوال الاعمار !

فاستولى عليها غشيان من وهلة زاغ بها عن النطق . فهي تنظر الى ابن  
سكباجة بعينين يكاد سوادها يغور . قال رئيس الطهارة في قصر الحليفة :  
يعزّ علينا جميعاً ان ترزأ ذات الجلالة بما يوجع فيها الكرامة والروح .

فلتفتح عينها على جميع من حولها. ولتركن منهم الى نخبة الاصفياء. والا  
انسلّ اليها من يسومها الحسف. بل من يزهد فيها الحاشاة. ومن الغدر  
الفاضح ان تصاب مولاتي بجاتها، كرمى بال فقة من الحساد المرجفين!

فلم تبرح الخيزران على سهوها. والتفت ابن سكباجة الى نفسه، وقد  
خشي ان تعاتب أم موسى ابنا الخليفة في ما يبغي فيها، وان تبرح له  
باسم من عالنها السر، فتزل القدم برئيس الطهارة، ويحتلسه الموت عقاباً على  
جراح لسانه. فهتف يستجير بالسيدة الاثيرة من فلتنة مقولها: ولكن  
لتعرض مولاتي على دمي. فاذا ما عابت على امير المؤمنين ارتيابه بها،  
فلتنكب عن الاشارة الى ابن سكباجة بحسن او بقبیح. والا كان نصيبي  
من ولائي لذات الجلالة جنة في قبر. وهو شر ما يكافأ به الخادم الامين ا  
وابتم ابتسامة الاستعطاف الجزوع. فقالت أم موسى تبث روعه  
الطباينة: لا تخشَ شراً، يا عطاء. فلن ابدو في حضرة الهادي كي ألومه  
على مكابדתه لي. وهب اقدمت على اللوم، فلن اقلت اسمك، كأني لا  
اذكر من اهاب بي الى الخدر. ليس لي الا ان اثني على حفاظك، وارك  
لا تبرح تتحسس يدنا عليك. فانت بمن لا يذهب فيهم العرف. وساعل  
بنصيح رأيك، واستنقذ أباي من التلف. فالهادي لن ينام بعد كل ما  
لقي من إحراج يحسبني مصدره، وما انا بمن تستطيب النيل من ثمرة حشاها.  
ألا فليدرك انه ابني. فكيف تطيعني يميني، بل كيف يبيع لي ذهني نصب  
الاحبولة لاخترام من اطعمته دمي، وسقيته لبني؟ ... ان ابا جعفر لواهم.  
بدد عنه الله خدعة سوء الظن!

فقال ابن سكباجة، وقد هنّ الى الانصراف العجلان، مخافة ان يفشو

ارره في أرصاد الهادي ، فلا يأمن اجتثاث عنقه : سنجدي ابدأ مولاتي في  
ابلاغها انباء القصر ، وما ينصب فيه من فخاخ للايقاع بالزهرة من ارباب  
الشأر والرأي فينا . فلتعتمدي في مصارحتها بكل صحيح الوجه ، صادق  
المخبر . وستقع مني على ما يجلو لها المغلق الخطير !

فرمته بخاتم كان في يمينها . ولم تملك الهمة في النهوض الى خزانتها لتفتح  
منها ابن سكباجة بصرة من المال جزاء امانته . وقالت : اليك ببعض ما  
نقوي عليه الساعة في انصافك ، يا عطاء . وسارقب انباءك بشوق . ولك  
من اموالنا ما يقيق العسر ، ويكتب لك الرفاهة . نحن بحاجة في موقفنا  
الصعب الى جماعة من ذوي الولاء . فكن منهم وان نشح عليك بالوقر ،  
وما نزدخره لسوى اكرام الاوفياء ، كما تعلم !

فعاد يقبل بين يديها الارض . قالت مشفقة عليه من ذوي اللسن النامة :  
ألا ارجع الينا ، يا عطاء ، يوم تظفر بما تراه يلسع مهجتنا . وانصرف الآن  
الى موثلك ، وكن في الحرص على نفسك ذلك المغالي اليقظان . نحن  
باطرار اليك في اخلاصك ، ووضاءة خلقك . ففي المحن يُعرف الخلاق !  
فتراجع عطاء الى الباب وما انفق يقبل الارض بين يدي الخيزران .  
وانساب الى الاروقة وقد تلم ، وليس لعين ان تنفذ الى سره الكنين .  
ونادت أم موسى طاهية صرح اساس توصيها بنفسها خيراً . قالت : جاءني  
ان يداً تنهد الى طبخ السم في طعامي . غير اني لن اقع في الشرك . فاحذري  
ان تخدعيني ، او ان ينساب الى مخدع الطعام من يجتال عليك ، ويدنس بالسم  
مأكلي . فانك لتلقين حتفك اذا غفلت عن كبد ، او نواطأت عليّ في متلفة .  
ذودي عن مهجتك اذا شئت ان تستبقيا !

وبانت لا تذوق طعاماً ، ولا تستيغ شراباً ، الا اذا ألفت منها الى  
كلب يلتهم الطعام ويلغ في الماء . فاذالم يت ، اكلت وشربت أم موسى بامان  
وجرأة . وكادت تصم عطاء بن سكباجة بالكذب . لهفته على أمة العزيز  
نهدت به الى الافتراء، وما ظهرت في صرح اساس بادرة ختل ونكر. وذات  
صباح ، فيما تحمل الجارية مرجانة الى السيدة الاثيرة طاس اللبن، وقد ألفت  
ان تحبو به، في طلبعة كل صباح، الى أم موسى، لاحظت الحيزران على القينة  
ان البسة لا تنأى عن يحياها . فقالت ربة الصرح، وهي ترغب ، بالفضول  
المستحكم منها ، في الوقوف على الحافز الى الابتسام : خيرٌ ان شاء الله ،  
يا مرجانة !

فاعلنت الجارية ، وهي ما تزال تبسم : ما نمة الا الحير ، يا مولائي .  
كدت ازلق وانا اجيئك بطاس اللبن . فنلتني سيدتي زبيدة تمنع عني السقطة .  
فشكرت لها اريحيته بمفرط الحجل . فضحكت وقالت : « لا عليك، يا مرجانة ،  
ألنا هنا لنحول دون الزلة ؟ » . فابهجني مقالها وما ابرح منه على اغتباط  
بال . ففي مقاول سادتنا ، والحمد لله ، نثيرٌ من المن والسلوى !

وادنت من الحيزران طاس اللبن تقول : لتشرب مولائي . هذا لبن  
احتلبته لها بنفسي من ضرع الشاة . هناة وعافية !  
فرمت الحيزران طاس اللبن بنظرة ، والجارية بنظرة ، وقالت بدقيق  
فطنة : هلا أختبر هذا اللبن في الهرة ، يا مرجانة ؟ ... أأثق بك وانفض  
من نفسي رعشة التظني ؟

ففصت الجارية بريقها على كره منها . والنصة اقلقت خاطر الحيزران ،  
وان تكن مرجانة اتبعها بعريض بسة . الا انها بسة اطلت تنضح بالارتباك

والكلفة . فساور الريب الخيزران. وهفت تنادي الهرة المدندنة في النافذة .  
فوثبت القطة الى السيدة الاثيرة تحنك بها في تدليس خبيث . وحامت على  
طاس اللبن تميل الى الولوج فيه . فباحته لها الخيزران بسماح ، كأن نفسها  
تحدها بان الويل يكمن في الطاس . واستفاضت الهرة في الولوج في السائل  
بنهية . فالنهزة مؤاتية . غير ان اللبن لم يلبث ان جمد كالحجر . فبات قطعة  
واحدة ، كأن المعجزة نفخت فيه سرها . والهرة نفسها اطلقت المواء العالي ،  
واصببت هزة تلاها جمود ، وارتمت في الارض حطبة يابسة . فسددت الخيزران  
الى الجارية نظرة مسنونة ، نجلاء ، وصرخت بها : يا ابنة الاثم ، كيف تجرأت  
على ان تحملي الي الموت ؟ ... أهذا مبلغ وفائك لسيدتك ؟ ... ألا  
اجرعي المنية من حيث شئت ان تسقيني اياها . اجرعيها من منبعها ، يا كافرة .  
والله ، ما أبيع لك اطلاق النفس الا وقد اتيت على الطاس كله . بهذا  
القصاص عاقب سيدك الخليفة أمة العزيز ، ولن اختلف عنه في الحكم على  
من يروم اهلاكي . اجرعي ما في هذا الطاس ، ولا تبقي منه على سور ،  
وانقذي نفسك من نقمة ادهى !

وشدت بها الى الارض تجبرها على شرب اللبن المسموم . فضاعت الجارية  
عن نفسها ، وفتحت فيها هولاً . وسقطت بجانب الهرة المصعوقة ، صفراء  
اللون ، بل مكفهرة ، كأنها مصبوغة بالتراب . ولم تطلب الى الخيزران  
الرافة بها ، والكلام جفاها . ولم تجسر على الالتفات اليها ، وليست تقوى  
على احتمال نظرات أم موسى الجائحة . بل هوت على طاس اللبن ترشف ما  
بقي منه ، وقد ولغت فيه كالهرة نفسها . فخشيت ان هي حملته الى شفتيها  
ألا تساعدها يداها على رفعه الى فيها . وايقنت ان لا منجى لها من الموت ،

والضربة القاضية نارلة بها بلا هوادة . فان لم تمت بالسم ، ماتت بالسيف ،  
بل بضرب النعال ، وكل من في صرح اساس سينب عليها للتكيل بها في  
سورة الانتقام الضروس

وظلت تعبّ اللب حتى استصفت الطاس ، والحيزران تحدجها بعينين  
السمع ، فيها الارتياح ، والظفر القهّار . فضت على الثمر المندلع اللسان ،  
وسلمت من العاشية . وضحكت ضحكة طنانة وهي تبصر الجارية مرجانة  
تندلق في الارض ، وتعضّها ، على مقربة من المرة المنطفئة . ونادت زبيدة  
وسائر الجوارى تصيح بهن: ألا اسرعن وابصرن ما يحلّ بالكفرة. استطابت  
مرجانة ان تدسّ لي السم ، وتجارى عصبه الشؤم في اهوائها الدنسة ، فأبت  
القدرة الا ان تضرب النعلّ في كبده ضربة هتكت حجاب الفضيحة . لم  
تكن مرجانة في صرح اساس سوى عين الخليفة الهادي علينا . بل لم تكن  
سوى يد لبابة وحسنة ، الوقعتين المتجرتين على كل مصون . راعها ان  
يصفو لي ضمير الهادي ، ففصلنا بيني وبينه بما اوغرنا به صدره عليّ . ألا تباّ  
للغادرتين ، كم يمور بين حناياهما من وغادة ، وكم تنطويان عليه من سفال .  
ما ذنب هذه الجارية المسكينة ، الفقيرة القلب والنشأة ، كي ترمياني بها ؟...  
أما رحمتا فيها ذل العرق ، ولجاجة العوز ؟... خصاصة اهلها ازجتها الينا .  
أفنزيد في تحقيرها حتى نسوقها الى النار تحترق فيها ، مغلوبة على امرها ؟...  
اني لاشفق عليها مع كل ما حاولت من جهد لتطرحني في مبلع العدم .  
ساعها الله ، وانتقم لها بمن طوّح بها !

وانتفضت مرجانة بعنف بعد ركود . وفتحت فيها واطلقت الانين  
والفحيح . فهي كتلة تنتزى أماً ، والسم ينهشها بلا هوادة . ومثلت



الخيزران نفسها في هذا الهيكل الفاحم، تعبت به خلجات الموت، لوتناولت اللبن الموبوء. وقطبت هولاً. أريد ابنها ان يدفعها الى هذا المنحدر الزلّتي، فتندرج منه الى مهواة الاضحلال ؟ ... ولكنها لم تعفّ عن ابنها في ما رشقها به من داهية . فهي السبّاقة ، وقد كتبت مرتين على الهادي الموت، فنجاً ينصره القدر. وامسكت بذراع مرجانة تهزها وتصبح في اذن الجارية : مرجانة ، من حرضك عليّ ؟ ... من كلفك ان تسقيني الردى ؟

فبالفت الجارية في الارتثاد . وظهر منها انها غائبة عن رشدها ، ولم يبقَ بينها وبين الانطفاء غير رعشة . وطفّت على شفتيها غمضة كالحجاب في الكأس . فتمت بصوت مخلّع ، مهبّض ، توج فيه الحسرة والندامة : ما كان لي ان اطبعك في جهالتك ، يا حسنة !

وتلاشت مرجانة في خلجة عنيفة ملتاعة، عقبها سكون رهيب . فقالت الخيزران ، وقد اشتد بها العطف على هذه البائسة ، العائرة الجدد : لندفنها باكرام . ما حاولت ايداءنا الا مكرهه . فالحاجة دفعتها الينا . والحاجة قادتنا الى انتهاك حرمتنا . بيد انها لقيت جزاءها . غفر لها الله !

ومنادى في الخيزران الحذر في طعامها وشراها . فباتت لا تذوق اكلة ، ولا تشرب قطرة ، الا وقد سبقها اليها جميع من في مجلسها . وخلع كبد الهادي ان تدرأ الخيزران عنها شبح المنية ، وان تنتقم من مرجانة بما انتقم به من أمة العزيز. فعنتق وتعمد الايلام ، وكسر الشوكة . فاذاع في رجاله ألا يسيروا امام الرشيد بجزيرة ، وهي عنوان ولاية العهد . واعلن ان ولي العهد ابنه جعفر ، لا اخوه هارون . وأذلّ من شأن اخيه ، فدفع اعوانه الى التنقص في المساجد من مكانة الرشيد، والى الامسك عن السلام عليه .

وفي احدى الجولات ، في اسواق بغداد ، مرّ عفواً جعفر بن المهدي وعه  
الرشيد في زقاق ضيق ، بلغنا منه قنطرة من القناطر ، فاستوقف كبير  
الشُرط هارون ، هاتفاً به بلهجة الامر الجياشة بالامتهان : مكانك ، ربنا  
يجوز ولي العهد !

فطأطأ هارون رأسه ، وابان بمخشوع المطيع : السمع والطاعة للامير !  
فجزعت الخيزران وتلفت . ما هذه الجوائح المتساقطة عليها دراكاً؟ ...  
ورقبت سائحات الانتقام ، فما التمتت منها ومضة . وسقط اليها من انباء  
القصر ان المهدي مريض ، وانه يناديها ، فهتفت : يا ويلى . أريدني على  
الموت ، ولا ينجبل من منادائي كي اعوده ؟ ... ولكن ما يرتجي مني ،  
وكل منا يشتهي للآخر الفناء ؟

الا ان المهدي ألحّ في الدعوة . فهو مريض يخشى على نفسه من عاجل  
المنية ، ويتشهى ان يستأنس بامه ويستغفرها . فقد يكتب له عفوها عنه  
الشفاء . فقالت الخيزران ، بعدما تناهى المتوافدون اليها في الاستعطاف  
والسؤلة : انا أمه ، فلن ابخل عليه بالعبادة . الا اني اتقي بالاحتجاب عنه  
كيد لبابة وحسنة ، وهما تملآن البلاط بغطرستها ومكرها !

فهبّ من يقطع لها العهد على كونها لن تجولا في باصرتها . وعاب عليها  
ضيرها الامساك عن الاجابة ، بعد هيف الاسترحام ، فدلقت الى القصر بهمة  
متراخية ، خشياً . على انها ما ابصرت المهدي بمدوداً في سريره ، اصفر اللون ،  
ذليل العين ، حتى هوت عليه ترضه الى صدرها ، مجلجلة بامى : ولدي ، ولدي !  
فتمّ بيان عيبيّ ، تشيع فيه الفرحة : أمي ، أمي . أنت ، يا أماء ؟  
وطوّقها بشوق . وبكبا لهفة وحناناً . هل ذهب الداء بالضعف ؟ ...

وما ضمت الحجره سواها . واحتلت الجوارى المقبلات في موكب أم موسى جناحاً من القصر . وحرصت الخيزران على ان يتناوبن ، الى قربها ، خدمة الهادي . لمن وحدهن هذا الحق الاثيل . وما تصبر الخيزران على مرأى خيال بغيض عري من ثقتها . قال ابو جعفر : لشد ما سرّني ان تهرعني اليّ في الملّة ، يا أمي . أفلا يزال لابنك الهادي في صدرك ديبب من حين ؟ ... والله ، ما رأيت للام مثلاً في العطف والمودة . فكل حب زائل سوى كلف الامومة بعباياها السامح . ألا ابن اخي الرشيد يعودني ، ويخلع عليّ صفحه بما يزيل عن نفسي دواهيها ؟

واودت المحنة بالاحنة . وقهر الوثام الخصام . فاعلنت أم موسى ، وقد اطأنت الى لهجة اللين الفاشية في منطق ابنها البكر : شقيقك هارون في القنص ، يا ولدي . وقد نفر الى قصر «مقاتل» يصطاد العقبان . على اني سأوفد اليه من يدعوه الى المتول بين يديك . فالرشيد سليم القلب ، نبيل الحس ، يا ابني ، فاذا ما وهبت له علالة من حلم ، فانك لتجد فيه الوفيّ النصيح ! ففعلت من وراء ستار صيحة حادة كالمخلب الرهيف : أتؤمن باخاديع هذه المحتالة ، يا موسى ؟

فعرفت الخيزران الصوت ، وارتجفت كأنه لطمه لسعتها في حشد . هذا صوت لبابة . واصطبغ بالكمدة والحجل عجا السيدة الاثيرة . وودت لو انخفضت بها الارض . أنزل بها الاهانة وهي تنعم بضيافة امير المؤمنين ؟ ... ونهضت تعالان ابنها والسخط يخضخضها : ما كنت احسبني اعاني بين يديك المفض ، يا ولدي . فما جئت اليك كي تنشب بي الزراية اظفارها . عفواً عني وقد امثلت لرغبتك ، ووداعاً . سارجع اليك

يوم يسود اكرام الضيوف مقرك . اما وضيافانك عرضة للفضاضة ، فدعني  
ارحل بسلام . حسي ما لقيت من رحابة !  
وابنست ابتسامة صفراء تنضح بالسخية . وهمت بالانصراف . فسألها  
المادي ان تبقى . قال بمستذل الضراعة : ألا مغفرة للحمقاء ، يا امي ، لمن  
ركبت الطيش والعباية . هذه امرأة ملتوية النية ، سليطة ، فاصفحي عن  
جهلها وقفتها . ان في الخيزران من الصدق والمروءة ، يا لبابة ، ما تخلو  
منه مهجتك . هلا قطعت لسانك ، وانصرفت عنا ، خيب الله وجهك ؟

فتصاعدت من حنجرتها ضحكة كانت اشد وقعاً على الخيزران من المقال  
السهيف ، الشتام . فعادت تنفض أم موسى . على انها تحامت براح القصر ،  
وعالنت الخليفة العليل بقولها وهي تبيت امرأ ومض في خاطرها كالثرارة:  
لن اناى عنك ، يا حبيب أمك . لتضحك لبابة ومن على ساكنها . هذا  
ضحك كالبكاء . فبا للضائعات النهى من غيبات قاصرات !

واستقرت بمكانها لا تترشح . وانصرفت الى التخفيف عن امير المؤمنين ،  
وهي تتطاير حنقاً وحقداً . قالت وفي كلماتها ارتجاف من كاسح النقرة : ليس  
يخفى عليّ انهن افسدن ما بيننا من صفاء الحنين ، يا موسى . فانهن ليعاذرن  
ان اقيم واباك علي وطيد صلة ، مخافة ان ابعدهن عنك ، فلا يسرحن ويمرحن  
على هواهن . ألا خستن . فليس من حائل يصدّ الام عن ابناها ، مها اشتدت  
الاحن ، وتأصلت الحزازات . اني لاستشفع لك الى الله من هؤلاء المختالات  
المصانعات . فهن وبالّ عليك ، وما في صدورهن غير الطمع والحسة !

وتظاهرت الخيزران ، على مرأى من المادي ، بانها تناست الطعنة . على حين  
ما برحت تجيش في بالها السبّة الناهشة . لتضربن لبابة ، ولنيفها ، ضربة ماحية

لا ترسخ بها للشل قدم في صعيد. وانصرفت الى جواريا في الجناح الموقوف  
عليهن في القصر ، وهي في سهوم . فما كان ليهدأ لها خاطر ، وكل ما فيها  
على غليان . واقامت بين الجوارى اللهيقات عليها ، وقد لمسن فيها القبيظ ،  
تقول بكاوي المضض: أتدرين كيف لقي مروان بن الحكم، الخليفة الاموي  
الرابع ، مصرعه ؟ ... من تجيد منكن رواية الخبر فلتنشرها على مسمي.  
اراني بحاجة الى التمويه عن نفسي بما ألقى !

فانبوت عتبة تقول : كان ذلك في سنة خمس وستين ، يا مولاتي. وفيها  
اخذ مروان البيعة لنفسه ، ثم لخالد بن يزيد بن معاوية من بعده . الا انه  
لم يلبث ان تزعا من خالد ووقفها على ابنه عبد الملك. فتبرم خالد بالخروج  
على الميثاق . ودخل على مروان يعاتبه، ويفحش في المثلبة. فغضب مروان  
وصاح به : « أتجرؤ على مخاطبتي بهذه القوارص ، يا ابن الرطبة ؟ » .  
ومروان يومذاك زوج فاختة ، أم خالد نفسه ، وامرأة يزيد بن معاوية من  
قبل . فارتدت اليها خالد يعيب عليها قبول مروان ، ذلك القصير الاحمر ،  
زوجاً ، وقد وضع منه ، وأذلها. وقصّ عليها ما بدر من مروان في الغمز  
من انوثتها . ففارت فاختة غيظاً ، وجلجلت بحقد: « لن يعيبك بعدها ! » .  
وفي الليلة نفسها جاءت بوسادة وضعتها على وجه مروان ، زوجها ، وقعدت  
عليها وجواريا . فما نهضن الا ومروان قد مات !

فهزت الحيزران برأسها كأنها في تهويم. حسبها ما سمعت بما تريد جللاه.  
بل بما تريد ان تملأ به أذنيها . وفكرت في ما رشقتها به لبابة من سفر ،  
وفي ما لطمتها به من فادح استهانة ، فما كانت لتقومى على التناسي والغفران .  
وابت الا ان تقهر الطماح المستشري في لبابة الشامتة ، الحبيثة المقول .

لتحطم حتى لا يبقى منها جريحة ، وستلمس ما تكلفها الاستطالة على السيدة  
الاثيرة . فهذا موعد تحقيق الرؤيا من قضيب يورق اعلاه ، وقضيب يورق  
كله . وقادت سرباً من جواريا الى مرقد الخليفة ابنها ، وفي نفسها تمور  
الاحن شادخات ، نواسف . ستضرب رأساً تتدحرج بسقوطه سلسلة لا عدّة  
لها من الرؤوس

والهادي ينام معقود الاهداب ، مستسلم اللب الى مريء الناس .  
فبسطت الخيزران على وجهه احدى الوسائد، بيد لا ترتجف. وقعدت عليها.  
واهابت بجواريا الى الاقتداء بها ، تشبهاً بغاخته بنت ابي هاشم بن عتبة في  
مروان . وما ذكرت السيدة الاثيرة ان الهادي ابنها . بل رأت في القضاء  
عليه اقرب سبيل الى تحطيم الشموخ الزنيم في لبابة وحسنة ، والى استواء  
الرشيد على مسند الخلافة، والى امتلاكها، هي أم موسى، زمام دنيا العرب .  
فإن يم الهادي فقد عاشت منى خصاب

واستفاقت بغداد على ولولة البلاط . ماتت الخليفة . الا انها ولولة تلتها  
صيعتان من مانع الجذل . مات الهادي وقام الرشيد بالامر ، وورق ابنه  
الأمون . فرحان ، تضيق عنهما البسيطة ، تلالأنا في قبسة عجول . وبجئت  
الخيزران عن الساخرة امس منها ، فاذا بها تنفث شعرها ، وتكاد تقتل  
نفسها تفجماً على العز المفلول، والمجد المهدود. لسانها بجباثته دانها . ولم تصبر  
حسنة على الرزيثة ، فاعتكفت على السم تنقذ به روحها من الويل المتحفز  
للاقتضاض عليها . فلن ترحمها المقادير، وكل رجاء افلت منها ، وكل هناء زال  
انتمت الخيزران وهي تبكي بعين ، وتضعك بعين . ولامرٍ يأتلف  
الضدان !

تمت





9 789953 138053